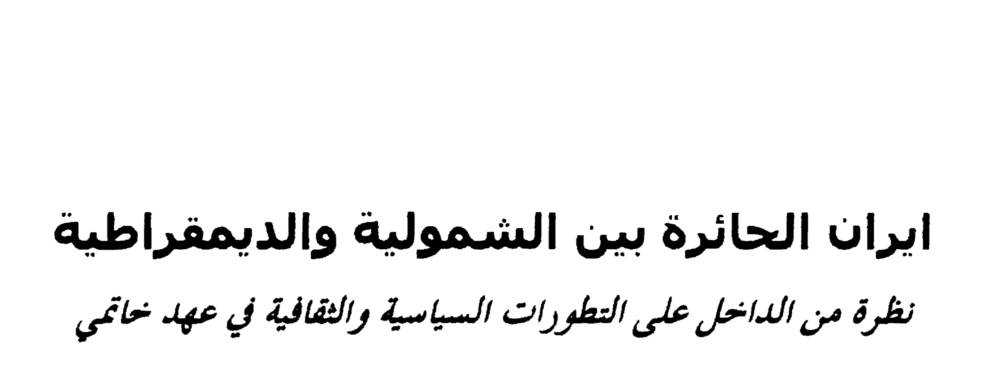
يوسف عزيزي

إيران الحائرة بين الشموليّة والدّيمقراطية

نظرة من الدّاخل على التطوّرات السّياسيّة والثقافيّة في عهد خاتمي





ايران الحائرة بين الشمولية والديمقراطية

نظرة من الداخل على التطورات السياسية والثقافية في عهد خاتمي

يوسف عزيزي

ايران الحائرة بين الشمولية والديمقراطية

نظرة من الداخل على التطورات السياسية والثقافية في عهد خاتمي

ايران الحائرة بين الشمولية والديمقراطية

يوسف عزيزي

الطبعة الاولى ٢٠٠١

دار الكنوز الادبية
ص. ب ٧٢٢٦ ـ ١١
هاتف / فاكس ٧٣٩٦٩٦ ـ ٠١
بيروت ـ لبنان

محتويات الكتاب

المقدمة

ايران والعالم العربي يشكلان وحدة حضارية مترابطة منذ ظهور الاسلام في شبه الجزيرة العربية. وهذا لا يعني أن قبل ذلك لم تكن عرى ثقافية وسياسية تربط العرب بالفرس، بل إن الاسلام ارسى حضارة عظيمة ، نواتها العرب وكان للفرس ايضاً دوراً لا يستهان به.

وقد فصلت الاسوار في القرن المنصرم وبفعل المؤثرات المختلفة، الشعوب الايرانية عن الامة العربية ، غير أن قيام الثورة في فبراير ١٩٧٩ والتطورات الاخيرة بعد رئاسة خاتمي، تنبئ بأن هذه الاسوار يمكن ان تزول يوماً بعد أن اهتزتِ واخترقت.

وأقول ــ للأسف ــ أن القارئ العربي قليل الإلمام بالحدث الإيراني لأسباب شتى، منها حاجز اللغة والحصول على المعلومات من المصادر الغربية؛ كما أن الدراسات والتحاليل المعروضة على المتلقي العربي في الأعوام الأخيرة ينقصها معايشة التجربة الإيرانية عن قرب أو الإطلاع على ما يجري في البلاد ، ومؤلف هذا الكتاب ، عايش قبل وبعد الثورة وشاهد على عهدي الشاه والثورة وتعمق في تاريخ ايران وخاصة الحديث منه.

فالتحاليل والحوارات التي أجراها أو المقابلات التي أجريت معه تتطرق الى أهم الأحداث الساخنة في عهد الرئيس محمد خاتمي بما فيها الشأن السياسي والثقافي وتحاول أن ترسم صورة واضحة للقارئ العربي عما يدور على ارض الواقع.

كما ــ وباعتباره مواطناً عربياً ــ ايرانياً من منطقة الأهواز ، لا ينسى أن يذكّر الذين نسوا أو تناسوا هذا الشعب بوجودهم وقضاياهم.

ي. ع.

طهران، فبراير ٢٠٠١

لا يمكن ان نجزم بعدم تراجع العملية الديمقراطية في ايران

أقدم سجين سياسي يتحدث عن تجربته في السجون قبل وبعد الثورة الإيرانية

حواره: يوسف عزيزي

صدر مؤخراً في طهران كتاب "ثمالة الزمان" أو مذكرات محمد علي عموئي أحد قيادي حزب توده الشيوعي الإيراني ، حيث تصدّر الكتب المباعة لمدة شهر كامل وقد نفد من الأسواق خلال فترة قصيرة وطبع للمرة الثانية خلال أقل من شهرين .

وقد قضى عموئي نحو ٣٧ عاماً في السجون الإيرانية ٢٥ عاماً منها في عهد الشاه البائد و١٢ عاماً في عهد الجمهورية الإسلامية . وكان عموئي في السجن كالمرآة التي عكست صور أشخاص ومعتقلين زاروا السجون وخرجوا منها أحياء أو أمواتاً . فقد عاشر محمد علي عموئي ومنذ دخوله السجن عام ١٩٥٤ أي بعد سقوط حكومة د. مصدق الوطنية مجموعة ضباط حزب توده، حيث أعدم البعض منهم ونجا البعض الآخر، وكان هو واحداً منهم . كما عاشر مجموعات ونشطاء وطنيين وإسلاميين مثل د.حسين فاطمي وزير خارجية حكومة مصدق ونواب صفوي ومجموعته الذين أعدموا في العام نفسه وآية الله الطالقاني والمهندس مهدي بازرغان ومنتظري ورفسنجاني وناطق نوري ومؤيدي انتفاضة آية الله الخميني في عام ١٩٦٣ وزعماء منظمة مجاهدي خلق ومنظمة فدائيي خلق .

ــ السيد عموئي متى كتبت هذه المذكرات ؟

- كما أشرت في كتابي ، أنا كنت أفكر في كتابة مذكراتي منذ سنوات أي عندما كنت في سجون الشاه محمد رضا بهلوي وقد حاولت مرتين ولكنني فشلت وذلك بسبب نقلنا من سجن لسجن آخر كل عدة سنوات.

في عام ١٩٦٣ كتبت قسماً من مذكراتي غير أني فقدها بسبب نقلي إلى سجن قلعة "برازجان" جنوب إيران، بعد عودتي إلى طهران عاودت مرة أخرى كتابة مذكراتي لكن وللأسف نفوني مرة ثانية إلى سجن مدينة شيراز ـــ جنوب إيران ـــ عام ١٩٧٢ ، حيث اضطررت أن أتلفها بسبب التفتيش الدقيق عند نقل المعتقلين من مكان إلى مكان آخر حيث لو حصلوا عليها لاستخدموها ضدي كاتهامات جديدة .

ـــ متى ولدت وأين وكيف سجنت ؟

ـــ ولدت في مدينة كرمانشاه ـــ غرب إيران ـــ عام ١٩٢٨ وترعرعت فيها وانتقلت بعد ذلك إلى طهران حيث دخلت كلية الضباط وتخرجت منها برتبة عالية واشتغلت بالتدريس هنا .

ألقي القبض علي في أواخر آب (أغسطس) عام ١٩٥٤ وبقيت في سجون الشاه المختلفة حتى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٨ أي قبل قيام الثورة بأربعة أشهر تقريباً وكنت طليقاً منذ ذلك التاريخ حتى شباط (فبراير) عام ١٩٨٣ حيث ألقي القبض علي مرة أخرى بعد الثورة في شباط (فبراير) ١٩٨٣، ومكثت في السجن حتى ١٩٩٤ . في المجموع قضيت ٣٧ عاماً من حياتي في السجن ٢٥ سنة في عهد الشاه و١٢ سنة ناقصة بضعة أشهر في عهد الجمهورية .

ـــ يبدو أنك ثاني أقدم سجين سياسي في إيران بعد "صفر قهرماني ". أليس كذلك ؟

ـــ كلا، صفر قهرماني كان في عهد الشاه أقدم سجين سياسي وذلك لوجوده في السجن آنذاك لمدة ٣٠ عاماً فيما أنا سجنت لمدة ٢٥ عاماً لكنك إذا أضفت الاثنتي عشرة سنة بعد الثورة سترى أن أحداً في إيران لم يمكث في السجن كما مكثت، أي لمدة ٣٧ عاماً .

ـــ وقياساً إلى مانديلا ؟

ـــ يبدو أنني أتفوق عليه بعشر سنوات ، نيلسون مانديلا اعتقل لمدة ٢٧ سنة وأنا لمدة ٣٧ سنة .

ـــ متى تسجل مذكراتك في سجون ما بعد الثورة، أي الفترة بين ١٩٨٢ – ١٩٩٤ ؟

ـــ أتمنى أن أجد الفرصة لهذا الأمر . وأعتقد أنه يمكن أخذ الدروس والعبر منها . فـإذا كانت هناك سنوات من العمر باقية أتمنى أن أكتب حول هذه الفترة غير أنني لم أبدأ بشـيء حتى الآن .

ـــ متى تزوجت ؟ قبل الثورة أم بعد الثورة ؟

– لقد انهمكت عام ١٩٧٩ أي بعيد إطلاق سراحي من سجون الشاه في النشـــاط السياسي، حيث تعرفت على أخت أحد رفاقي خلال نشاطي السياسي وتزوجت بها عـام ١٩٨١ .

وقد ألقي القبض علي عام ١٩٨٢ حين كان عمر ابنتنا الوحيـــدة عشـرة أشـــهر وخرجت من السجن عام ١٩٩٤ وهي يافعة عمرها ١٢ عاماً .

ـــ أنت تذكر في كتابك عن مجموعة مستقلة اعتقلت عام ١٩٦٠ يقودهـــا الدكتـــور هاشم بني طرفي وتكتفي بانتساب الدكتور هاشم بني طرفي إلى قبيلة بني طـــرف في مدينـــة الأهواز ولم تذكر عن انتمائه القومي فيما تنسب المناضلين الآخرين إلى قومياتهم مثل الأكـواد والأتراك . فما هو السبب ؟

ـــ لم يكن هناك سبب خاص، ذلك لأننا لم نر أي شيء من أصدقائنا الأهوازيـــين . في الحقيقة أنا نقلت في كتابي ما رأيته وسمعته على لسان المنتمين للقوميـــات في ســـجون الشاه . فأنت تعرف أن إيران بلد متعدد القوميات ولكل فئة من الشعوب الإيرانية الحق في التعبير عن هويتها والتمتع بحقوقها . وبالرغم من أن حقوقهم لم تراع أبداً في هذا البلد غير أننا نعتقد جداً بهذه القضية . فأحد مبادىء كفاحنا الحزبي هو التـــأكيد علـــى الحقـــوق الاساسية للقوميات والشعوب التي تعيش في إطار دولة اسمها إيران وسنستمر على هـــــذا النهج . في الحقيقة أن د. هاشم بني طرفي كان العربي الأهوازي الوحيد معنا في الســـجن آنذاك .

ـــ يبدو من كتابك الأخير " ثمالة الزمن " أنك خلافاً للأمين العام للحزب د. نور الدين كيانوري تواجه تاريخ حزب توده بنظرة انتقادية فعلية ؟

ـــ باعتقادي- وأنا مقتنع جداً بهذا الأمر ـــ أن الذي لا يعمل لا يخطـــيء ، فـــإن الذين يعملون وخاصة النشيطين السياسيين لا شك أنهم يرتكبون أخطاء ليست بقليلـــة في اللحظات التاريخية والحساسة وفي الاستواء والانحناء . إن حزب توده الذي واجـــه منـــذ تأسيسه ويفاعته في الأربعينيات أحداثاً كبيرة لا شك انه ارتكب بعض الأخطاء . وأما مـــا

يقال حول التبعية للاتحاد السوفيتي فكان للأحزاب الشيوعية أساسا ومنذ تأسيس الكومنترن علاقات خاصة بالحزب الشيوعي السوفيتي وهذا لا شك له تبعاته فكلما تطول أعمار الأحزاب الشيوعية وتتسع خبراتها التاريخية يكون اعتمادها أكثر على خصائصها الوطنية، وقصدي هو السمات الخاصة لكل حزب التي يتمايز بها عن الحركة الشيوعية أو الأخ الأكبر للأحزاب الشيوعية . فهذا الأمر يؤكد ضرورة الهوية الخاصة لكل حزب . وأعتقد ان توجيه النقد الى الأخطاء التي ارتكبها الحزب هو عمل يرفع من مكانة ذلك الحزب. وقد يتم على أساس نظرة أساسية تعتبر من مبادىء النظام الداخلي للحزب أي النقد والنقد الذاتي وهذا مبدأ من المبادىء الثابتة للأحزاب الشيوعية ومنها حزب توده في إيران .

فلعلمك أقول أن هذا النقاش لا ينحصر بإيران . الآن يطرح المفكرون العرب الانتقادات نفسها على الأحزاب الشيوعية في الدول العربية، فهم يتولون على سبيل المثل أن الأحزاب الشيوعية العربية لم تستطع جذب الجماهير العربية والقيام بتعبئتها وتنظيمها ضد الأنظمة الفاسدة والظالمة و لم تتمكن من الوصول إلى السلطة لا بالعمل الجماهيري ولا بالكفاح المسلح ولا بالثورة فهؤلاء المفكرون ــ ومعظمهم ليسوا ضد الشيوعية ــ لكنهم أيضا ليسوا شيوعيين .

ــ يعتبرون أن نقطة الضعف تكمن في تبعية الأحزاب الشيوعية العربية وانصياعها للأخ الأكبر أي الحزب الشيوعي السوفيتي السابق ويبدو أن الانتقاد يشمل أيضا حزب توده الإيراني . ناهيك عن تغلغل عناصر منظمة استخبارات الشاه "السافاك" في خلايا وقيادة الحزب وخاصة في طهران في حقبة الستينات.

فعليه أن العديد من المحللين لا يرون في ذلك أخطاء تكتيكية فحسب بل ينظرون إليها كأخطاء استراتيجية ؟

ــ أنا و كما ذكرت حول تاريخ الأحزاب الشيوعية و كيفية علاقتها بالكومنترن أرى أن القضية كانت مشكلة عامة لكافة الأحزاب الشيوعية لكن موضوع النفوذ بين الجماهير الشعبية و إمكانية تعبئتها ، قبل أن ترتبط بسياسات هذه الأحزاب و تكتيكاتها تتبع الظروف الموضوعية لهذه المجتمعات التي تقرر مدى اتساع ونفوذ الحركة الثورية في مجتمع ما . نعم يمكن لخطأ أن يحدث هنا أو هناك ويأخذ شكلا استراتيجيا وتكون له تبعات سلبية . صحيح أن الأحزاب الشيوعية لم تستطع أن تعبىء الجماهير الواسعة في بلدانها أو تصل إلى السلطة وأنا أرى أن ذلك ناجم عن الظروف الموضوعية في هذه البلدان

. فهناك تخلف عظيم في هذه البلدان؛ ليس فقراً اقتصادياً فحسب بل فقراً ثقافياً أيضاً، فللفقر أبعاد متنوعة ومختلفة وواسعة . فالأزمات القائمة في هذه البلدان تنم عن الفقر السياسي والفقر الاقتصادي والفقر الاجتماعي والفقر الثقافي .

ــ صحيح، لكن يا سيد عموئي. هذا الفقر كان قائماً أيضاً في الصين وفي فيتنام وفي كوبا ؟

ــ طبعاً إن للدين وهو عنصر من عناصر الثقافة والتراث، نفوذ جذري في فكر وعقلية الجماهير واتجاهاتها . ولا شك أن الدين الإسلامي يتمتع بموقع هام في هذا المحلل . ونحن نشاهد أنه وبظهور الحركات الشعبية في هذه البلاد يمكن للقوى التقدمية أن تتحرك بين القوى الدينية لإيجاد جبهة عريضة لتحريك الجماهير الواسعة .

ــ الأنكى من ذلك أنه حتى الأحزاب الشيوعية والاشتراكية التي وصلت إلى سدة الحكم في الدول الإسلامية لم تتمكن من الاحتفاظ بالسلطة هناك . خذ مثالاً على ذلك تجربة اليمن الجنوبي . والآن أيضاً لم يكن هناك أي نفوذ يذكر للأحزاب الشيوعية في الدول العربية، فانظر للحزب الشيوعي الأردني مثلاً حزب صغير دون أي نفوذ جماهيري والمثير للدهشة أننا نشاهد بين الحين والآخر انشقاقات متكررة تمزقه يوماً بعد آخر . وهكذا الحزب الشيوعي المصري أو المغربي أو السوري ... إلخ ؟

على كل حال – شئنا أم أبينا – نجحت المجموعات الأصولية في جذب فئات من الجماهير في الدول الإسلامية وتحاول الوصول إلى السلطة في هذه الدول . فأنا أؤكد على العينات العربية لأن هناك تشابهات كثيرة بين إيران والدول العربية . فقلت ذلك لكي لا نحدد أنفسنا وتحاليلنا بالظروف الموضوعية فقط ولا يكفي أن نؤكد على الكليات ونتذرع بوجود الفقر الثقافي أو الفقر الاقتصادي ... إلخ . فلربما لعبت الدوغماتية والتزمت أيضاً دوراً في الحيلولة دون توسيع قاعدة الأفكار اليسارية العلمانية في إيران ومنها الشيوعية ؟

ــ لا ننسى ونحن ندرس دور الدين في مجتمعنا الإيراني المعاصر، حركة لاهوت التحرير التي أخذت دورها الكبير بين الجماهير لا سيما في أمريكا اللاتينية وهي تساعد الحركات الشعبية . فنحن نشاهد مثل هذه الظاهرة في البلدان الإسلامية وباعتقادي أن لحركة لاهوت التحرير وفي بطنها المثقفون الدينيون الذين نشاهد هذه الأيام دورهم في إيران دوراً عظيماً جداً فيمكن للشيوعيين وعلى أساس مجموعة من العوامل المشتركة مع هؤلاء أن ينسقوا نشاطهم الاجتماعي والتقدمي .

فالمثقفون الدينيون في إيران يطرحون قضايا في كتبهم وصحافتهم تمنح القوى العلمانية الفرصة أن تتحرك وتتبادل الآراء في أجواء اكثر حرية ليطرحوا آرائهم للجماهير على مستوى واسع ولكن هناك قوى دينية تقليدية في إيران لا تعتقد بإمكانية إعطاء الفرصة للقوى العلمانية وهذا هو الفرق بين المثقفين الدينيين والقوى الدينية التقليدية .

ـ هل تعتقد بأن العملية السياسية والاجتماعية تسير لصالح القوى الدينية المثقفة ولا رجوع بعد الآن إلى الدكتاتورية في إيران ؟

ـ أبداً ، لا يمكن أن نؤكد عدم التراجع في عملية الديمقراطية في إيران، لكن يمكن القول أن العملية تسير في مسار تعزيز مواقع الفكر والعقل ومقبولية المثقفين الدينيين .

ـ يبدو أن التجارب المرة في التاريخ المعاصر الإيراني تمنعنا من اليقين بعدم الرجوع إلى الوراء في العملية الديمقراطية .

نحن نعيش دائماً بالأمل لأن الحركة التقدمية هي التي تتقدم في مسيرة التاريخ . هذا هو اعتقادي الأساسي حتى وإن مت ولن أشاهد هذا الأمر . فأنا أؤمن وأعتقد أن حرية الفكر والتقدمية ستنتصر في النهاية .

ـ هذه قضية عامة وتبدو كقضية رومانطيقية . غير انه ينبغي أن ندرس ونتعمق في القضايا الموضوعية. لأن حزب توده دائماً ينادي بالأمل ولم يناد يوماً ما باليأس لكننا نحن نتحدث في إطار الموضوعيات . فأستميح العذر وأقول أن الدعوة بالصبر والأمل وبشكل ذاتي يمكن أن تخدع الجماهير ؟

ـ إن الأرضية الموضوعية هي التي تؤمن الطريق لتحقيق طموحاتنا . أنا أوافق على كلامك لكن كلما كانت طموحاتنا كبيرة فإن الطريق أيضاً سيكون أصعب والاستواء والانحناء أكثر . فينبغي دفع ضريبة باهظة من أجل نيل الطموحات العظيمة وهذا سيتم في فترة طويلة وليست قصيرة، فإذا استعجلنا واكتفينا بالانتصارات العابرة فهناك احتمال كبير للرجوع إلى الوراء وذلك بسبب عدم وجود أرضية وقاعدة متينة لهذا الأمر .

ـ السيد عموئي يبدو أنك زرت بيروت وبدعوة من منظمة التحرير الفلسطينية في مطلع الثورة ولم تكتب شيئاً في الصحف حول هذه الزيارة آنذاك فهل من الممكن أن تتحدث لنا حول هذه الزيارة ؟

ـ تسلمت دعوة من صديقي نايف حواتمه بصفتي ممثلاً لحزب توده الإيراني وذلك بمناسبة الذكرى الحادية عشرة للكفاح المسلح الذي قامت به الجبهة الديمقراطية لتحرير

فلسطين حيث زرت لبنان وسوريا على رأس وفد حزبي في شتاء عام ۱۹۷۹ . فالتقيت هناك بزعماء المنظمات الفلسطينية منهم جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وياسر عرفات رئيس منظمة فتح آنذاك . كما التقيت بالشهداء أبو جهاد وأبو إياد وزعماء القوى والأحزاب السورية واللبنانية والعراقية مثل خالد بكداش والرفيق جورج حاوي وعزيز محمد حيث كانت زيارة مثمرة جداً .

ـ ماذا تقول لنا حول العلاقات الإيرانية – العربية ولا سيما حول العلاقات مع دول الجوار العربية مثل العراق ودول الخليج ؟ خاصة وأنه كانت لحزبكم مواقف في هذا المجال آنذاك ؟

ـ في الحقيقة أن المنظمة تواجه قضايا حساسة ودقيقة حيث إذا لم ينتبه إليها المسؤولون والسياسيون في دول الجوار يمكن للإمبريالية أن تقوم باستفزازاتها بسهولة. فقد قامت إيران قبل الثورة بأدوار تنم عن المهمات التي كان يلعبها النظام الإيراني في الخليج كدركي بالمنطقة .

وبالطبع كانت العلاقات غير ودية بين إيران والدول العربية . كما لم يكن حكام هذه المنطقة ممثلين حقيقيين لشعوبهم . على كل حال إن تبعية الأنظمة للإمبريالية كانت سبباً لتباعد الشعوب بعضها عن بعض . ويرجع تاريخ الفرقة والتشاؤم بينها إلى عهد جمال عبد الناصر حيث كان يحمل راية النضال في العالم العربي ، وكانت القومية العربية متطورة ومقتدرة جداً . فنحن شهدنا ما قام به عبد الناصر من حركة أمام العدوان الإسرائيلي والسياسات الأمريكية والبريطانية في المنطقة حيث استمرت لسنوات . فكشفت تلك السنوات الوجه المشرق للعالم العربي في العالم وبالرغم من رزوحنا في سجون الشاه كانت قلوبنا مع عبد الناصر وكنا نقيم الحركة الناصرية كحركة لتحقيق الاستقلال ومصالح الأمة العربية . فكان آنذاك نوعاً من الانسجام في العالم العربي لكن وبعد قضية كامب ديفيد وسياسات السادات فقد العالم العربي شأنه وموقعه الذي كسبه في عهد عبد الناصر .

وقد برزت آنذاك خلافات بين إيران والحركة التقدمية في العالم العربي خاصة وبعد أن أرسل نظام الشاه قسماً من قواته المسلحة إلى عمان لقمع حركة ظفار . وبعد سقوط نظام الشاه كنا نتوقع علاقات أخوية وودية بين إيران والدول العربية، حيث كان بإمكان المعتقدات الدينية المشتركة أن تساعد على هذا الأمر . غير أن الحرب العراقية ـ الإيرانية وضعت إيران في وجه العالم العربي مرة أخرى .

ـــ لكن بعض الدول العربية مثل سوريا وليبيا ساندت إيران بعد قيام الثورة وخلال الحرب .

ـــ أنا رأيت في سوريا ولبنان مدى الأواصر بين العرب والإيرانيين كما رأيتها في شبابي حين زرت العراق في الأربعينات أي في عهد الشاه رضا بهلوي ومكثت لمدة ثمانية أشهر هناك فرأيت الباعة في الأسواق بين حرمي الإمام الحسين والعباس يتكلمون الفارسية .

فبعد الحرب طرحت بعض الدعاوي في الخليج أهمها بين إيران ودولة الإمارات العربية المتحدة . ونحن نأمل أن تحل بالمفاوضات حتى لا يتحول هذا الجرح إلى مشاكل كبيرة في المنطقة . وأنا أرى ذلك كغدة قذرة تنشأ في السياسات نفسها التي أدت إلى زرع الصهاينة في العالم العربي لتأمين الحضور الأمريكي في المنطقة .

ـــ الأخ عموئي يبدو أن الاتجاه الشوفيني الفارسي الذي كان يحكم في عهد الشاه ويخطط ضد معظم القوميات غير الفارسية قد انحسر عقب انتصار الثورة الإسلامية في إيران غير أننا ما نزال نرى جيوب هذا الاتجاه هنا وهناك تحاول أن تستعيد مواقعها، حيث تتلبس مرات بالزي الديني وتمنع أولاً حل قضية القوميات الإيرانية – على الأقل – في إطار المادة ١٥ من الدستور الإيراني وثانياً تحول دون معالجة الخلافات مع العالم العربي ، كما أن عيونهم دائماً متجهة نحو الغرب . وأنا أرى خطوات الرئيس خاتمي للتقارب مع العالم العربي انطلاقة هامة نحو إزالة التوتر بين إيران والدول العربية وصفعة للمتطرفين من قوميين ومتطرفين . ما هو رأيكم ؟

– أنا أميز بين الاتجاه القومي والاعتزاز بالإنجازات التاريخية والثقافية والوطنية وأقدر الثقافة والقومية الإيرانيتين لكن إذا تحولت هذه الأمور إلى وسيلة للعداء ضد الثقافات الأخرى ــ إن كانت في داخل إيران أو في خارجها – سأحتج على ذلك . أنا أعتقد وبشكل أساسي أن الثقافة الإنسانية هي مجموعة واحدة وأساساً أن الإنجازات والمكاسب التي يعتز بها شعب أو آخر هي إنجازات لصالح جميع البشر ، نحن ومع كل تعلقاتنا الخاصة بهذه الأرض والتقاليد الوطنية والثقافية القومية الإيرانية لكننا لا ننسى علاقاتنا التاريخية بالمجتمع البشري . إيران بلد متعدد القوميات وعندنا شعوب مختلفة كالفرس والأكراد والأتراك والعرب والبلوش والتركمان فلجميع هذه الشعوب حقوق . وأنا مثلما أهتم بحقوق الفرس ينبغي أن اعترف بنفس الحقوق للأكراد والأتراك والعرب . فإذا اعتبرنا خصوصية متمايزة ومتعالية على الآخرين لفئة ما فهذا نوع من التمييز . نحن كنا نكره

العنصرية والأبارتايد في جنوب أفريقيا من جهة لكننا نتأثر من بعض التعصبات ونتجاهل حقوق الآخرين فالأمر أيضاً يصدق على الخارج .

ـــ السيد عموئي يبدو أنك كردي ؟

– نعم أنا كردي من أكراد كرمانشاه وأنت تعرف أن هناك لهجات مختلفة للغة الكردية . في إيران مثل كرمانجي وسوراني .. إلخ .

ـــ هناك أحزاب قومية متطرفة مثل حزب " بان إيرانيسم " تعادي اليسار في إيران وتدعو للتفريس كما كانت لهم علاقات وطيدة مع البلاط الشاهنشاهي لكننا وللأسف نرى محاولات لهذه الأحزاب كي تبرز نفسها على الساحة السياسية فكيف ترى خطر هذه الأحزاب المتطرفة على مسار الديمقراطية الوليدة في إيران ؟

ـــ أنا لا أرى حجماً كبيراً للاتجاهات القومية المتطرفة في حركة الشعب الإيراني ومساره العام وينبغي التذكير أن " بان إيرانيسم " قائم أساساً على نوع من الاتجاه القومي المتطرف وكما قلت كان يتمتع بمساندة البلاط الملكي السابق غير أنه وفي مسار الحركة الوطنية في أوائل الخمسينات بإيران تم انشقاق في هذا الحزب حيث تشكل حزب بان إيرانيسم على أسس الوحدة الإيرانية بقيادة محسن بزشكبورو الذي بقي مرتبطاً بالبلاط الشاهنشاهي واصبح فيما بعد نائباً في مجلس عهد الشاه واندمج في حزب " رستاخيز " المدعوم من قبل الشاه . الشق الأخير سمى نفسه "حزب الأمة الإيرانية" بقيادة داريوش فروهر . فمجموعة فروهر ابتعدت عن البلاط الملكي واقتربت من د . مصدق وأصبحت حليفة للجبهة الوطنية الإيرانية . فينبغي التمييز بين هاتين المجموعتين . لكن فيما يختص بنا ورفاقنا نحن نعتبر الاستقلال الوطني والحفاظ على الحقوق الوطنية مبدأ من مبادئنا وننظر إلى القوميات والشعوب والأقليات نظرة أممية أي بقدر ما نعترف بأصالة حقوقنا نعترف أيضاً بأصالة حقوق الآخرين ولا نسمح بالتمييز في الحركة التقدمية .

الطلبة في إيران؛ من الثورة إلى الإصلاح

قبل ثورة عام ١٩٧٩

تم إنشاء جامعة طهران ــ كأول جامعة في إيران – عام ١٩٣٤، وتعتبر الجامعة الأم لسائر الجامعات والمعاهد في البلاد . وقبل ذلك كانت الشرائح الميسورة من المجتمع الإيراني تبعث أبناءها إلى جامعة بيروت الأميريكية باعتبارها أقدم جامعة في منطقة الشرق الأوسط . و لم تمض أعوام معدودة حتى شهدت هذه الجامعة في عهد الشاه رضا البهلوي المعروف بحكمه الاستبدادي عدداً من الإضرابات المهنية والسياسية . وبذلك اندلعت أولى شرارات الحركة الطلابية في إيران مبشرة بعصر جديد تلعب فيه الحركة دورا سياسياً واجتماعياً لا يستهان به .

وبوقوع الحرب العالمية الأولى وسقوط الشاه رضا البهلوي تنفست إيران الصعداء وانفتحت الأجواء السياسية مما ساعد الحركة الطلابية لتقوم بخطوات هامة لإرساء أقدامها في الوسط الجامعي وخلق موطأ قدم لها بين الأوساط الشعبية .

وكان لحزب توده الشيوعي ــ الذي كان يحظى بتأييد الاتحاد السوفيتي ــ في تلك الفترة، نفوذاً كبيراً في المجتمع الإيراني عامة وجامعة طهران خاصة ويذكر لنا تاريخ الحركة الطلابية أن أول تنظيم طلابي في إيران تأسس عام ١٩٣٨ م رسمياً من قبل الطلبة الموالين لحزب توده في جامعة طهران حيث كان الشاه رضا البهلوي يحكم البلاد بيد من حديد . غير أن القوى القومية كالجبهة الوطنية التابعة للزعيم الراحل د. محمد مصدق بدأت تنافس الحزب في أواخر الأربعينات ومطلع الخمسينات .

وحتى سقوط الحكومة الوطنية للدكتور مصدق في أغسطس عام ١٩٥٣ لم يكن للإسلاميين دوراً يذكر في الجامعات الإيرانية وذلك بالرغم من النشاط السياسي لزعيمهم

آية الله الكاشاني (الذي كان حليفاً لمصدق في البدء وموالياً للشاه في النهاية) والنشاط المسلح لبعض الفصائل الإسلامية المتشددة آنئذ .

يذكر أن أول جمعية إسلامية تأسست عام ١٩٤٣ في كلية الهندسة التابعة لجامعة طهران على يد المرحوم المهندس مهدي بازرغان (والذي أسس حركة حرية إيران عام ١٩٦١) ود. يد الله سحابي (زميل بازرغان في تأسيس حركة حرية إيران) .

وشهد العام الأول عقب سقوط مصدق، انتفاضة طلابية في جامعة طهران ضد زيارة نائب الرئيس الأميركي آنذاك ريتشارد نيكسون أسفرت عن سقوط ٣ قتلى من طلبة جامعة طهران يوم السادس من ديسمبر ١٩٥٣ .

وقد حافظت الحركة الطلابية بعد سقوط مصدق وهيمنة الاستعمار والديكتاتورية على نضارتها وأصبحت النبراس الوحيد لمقاومة الشعب الإيراني ضد القمع والاحتقان السياسي في البلاد . وقد حاولت الحركة الطلابية استغلال الوضع الناجم عن الإصلاحات التي بدأها الشاه محمد رضا البهلوي عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ إثر توجيهات رئيس الحكومة الأمريكية آنذاك جون كندي حاولت استغلالها لصالح الجماهير الإيرانية .

غير أن الإصلاحات التي كانت أساساً إصلاحات من فوق ــ وتدعم من قبل الشاه والأميركان من ورائه لم تكن تحظى بمساندة شعبية كما نرى ذلك في حركة الرئيس خاتمي الإصلاحية في الأعوام الأخيرة ؛ وقد باءت تلك الإصلاحات بالفشل بعد أن واجه الشاه بالحديد والنار المظاهرات السلمية التي كان يقودها زعيم المعارضة الدينية آية الله الخميني في يونيو ١٩٥٣. وقد سيطر القوميون وخاصة الجبهة الوطنية على النشاط الطلابي في الجامعات في تلك الفترة، غير أن الطلاب وخريجي الجامعات بدأوا بالعصيان ضد ما كانوا يصفونه بالقوى المساومة مع حكم الشاه الديكتاتوري كالجبهة الوطنية (الموالية لمصدق) وحركة حرية إيران بزعامة مهدي بازرغان خلال حقبتي الستينات والسبعينات وقاموا بإنشاء فصائل مسلحة للقيام بحرب الأنصار في المدن والأرياف كمنظمة فدائيي خلق ومنظمة مجاهدي خلق .

وقد رفرف في هذه الفترة العلم الأحمر في الجامعات حيث كانت السيطرة في الأوساط الطلابية وحتى عامين بعد قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ للفكرة اليسارية العلمانية والشيوعية التي كانت تطالب بحكم شعبي ديمقراطي علماني .

الحركة الطلابية بعد قيام الثورة :

قام الإسلاميون بترسيخ أقدامهم في الجامعات الإيرانية في الأعوام الخمسة قبل الثورة لكنهم كانوا وحتى عام ١٩٨١ وبالرغم من سيطرتهم على السلطة في إيران يشكلون أقلية بين طلبة الجامعات هذا ما ينطبق أيضاً على الحركة الطلابية في الخارج (١٩٥٣ - ١٩٧٩) والتي تجلت بشكل واضح في اتحاد الطلبة الإيرانيين بالخارج (الكونفدراسيون) حيث كان للإسلاميين المنظمين في الجمعيات الإسلامية حضوراً باهتاً .

وقد احتلت مجموعة من الطلبة المنتمين للجمعيات الإسلامية في جامعات طهران والتي سمت نفسها فيما بعد بـ " طلبة نهج الإمام " ـ في أكتوبر ١٩٧٩ مبنى السفارة الأمريكية واحتجزت طاقمها لمدة ٤٤٤ يوماً. وقد ظهر خلال الحقب التالية ومن بين هؤلاء الطلبة منظرين وسياسين وصحفيين منهم : المنظر الرئيسي للإصلاحات ومدير صحيفة / صبح أمروز / سعيد حجاريان والصحفي الإصلاحي عباس عبدي ومساعدة الرئيس خاتمي معصومة ابتكار وآخرون .

وكما أسلفنا بقي تأثير اليسار العلماني مشهوداً على الساحة الجامعية وبين الطلبة حتى عام ١٩٨١ حينما أخذ الصراع بين بعض فصائل المعارضة والسلطة يتحول إلى صراع مسلح وأخذت السلطة الإيرانية تضرب بيد من حديد جميع الأحزاب السياسية والفصائل الطلابية المستقلة وقد هيأت الحكومة الإيرانية الساحة للجمعيات الإسلامية لتكون أداة بيدها لتملأ الفراغ الناجم عن قمع سائر المنظمات الطلابية الأخرى اليسارية العلمانية والقومية والشيوعية . وقد تحالفت معظم الجمعيات الإسلامية عام ١٩٨٠ لتشكل اتحاداً سمي باتحاد الجمعيات الإسلامية لعموم جامعات إيران والمعروف بـ " مكتب تعزيز الوحدة ".

وقد خيم الصمت والسكون على الحركة الطلابية خلال سنوات الحرب مع العراق (١٩٨٠ - ١٩٨٨) وتحولت الجامعات الإيرانية إلى شبه مقابر وهي التي لم تعرف الهدوء والسكينة طيلة سنوات عمرها الحافل بالنضال المهني والسياسي والصراع ضد الحكومات الاستبدادية ومن أجل الحرية والديمقراطية .

لكن ومع انتهاء الحرب وبدء عهد ما وصف بإعادة البناء الذي دشنه الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني أخذت الصراعات الطبقية الكامنة والمتخفية خلال الحرب مع إيران تظهر بين الحاكمين والمحكومين ومنهم شريحة طلاب الجامعات . وقد انعكس الوضع على الفئات الحاكمة في السلطة حيث شاهدنا بروز التيار اليساري الذي تم إقصاءه عن السلطة في عهد الرئيس رفسنجاني .

وقد حاول هذا التيار – المغضوب عليه – التغلغل بين صفوف الطلبة لإخراجهم من حالة الركود والخمود وتفعيلهم ليلعبوا دورهم التاريخي .

كما تزامنت الصحوة الطلابية الجديدة مع نفوذ اليسار الإسلامي وخاصة منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية والأسبوعية المتحدثة باسم المنظمة ــ عصرنا ــ وصحيفة / سلام / اليومية . وكان لمنظر الإصلاحات في إيران سعيد حجاريان ــ الذي تعرض لمحاولة اغتيال في آذار ٢٠٠٠ ــ علاقات حميمة وشخصية مع زعماء "مكتب تعزيز الوحدة" احتفظ بها حتى الآونة الأخيرة قبل تعرضه لمحاولة الاغتيال.

وقد حصلت الشخصيات والفصائل الليبرالية والديمقراطية على موطئ قدم لها في الجامعات الإيرانية والترويج لأفكارها المنسجمة مع العهد الذي أعقب انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة .

وفي هذا المجال كان للمفكر الديني عبد الكريم سروش وحركة حرية إيران دوراً بلوزاً . وكانت الجامعات الإيرانية عشية انتخابات مايو ١٩٩٧ الرئاسية تشبه القنبلة الموقوتة حيث أفرغت الانتخابات ــ التي جاءت بخاتمي رئيساً للجمهورية ــ الشحنة الموقوتة من طاقتها المدمرة .

وقد لعب الشباب عامة والطلبة خاصة دوراً أساسياً في فوز خاتمي وفشل منافسه اليميني ناطق نوري في تلك الانتخابات . كما وأعطى هذا الفوز زخماً جديداً للحركة الطلابية لتسير بخطوات كبيرة إلى الأمام .

وقد ظهرت أو تعززت فصائل طلابية لم يعترف بها في عهد رفسنجاني وخاصة الفصائل القومية كجماعة " طبرزدي " وما تسمى بالجبهة الطلابية المتحدة ... إلخ .

وقد عقد الاتحاد الإسلامي للطلبة الإيرانيين – جماعة طبرزدي – في أكتوبر ١٩٩٧ أول اجتماع طلابي – جماهيري له عقب انتخاب الرئيس خاتمي معلناً بدء مرحلة جديدة، طالب في بيانه الختامي بتغيير الدستور ليتمكن الشعب الإيراني من انتخاب مرشد الثورة بشكل مباشر ولفترة محددة كما يتم ذلك لرئيس الجمهورية . كما وأكد البيان على ضرورة مراقبة أداء المرشد والمؤسسات التابعة له .

واستمرت الاجتماعات الطلابية المعارضة للتيار اليميني المهيمن على العديد من مقاليد السلطة في إيران بسبب مقاومته لحركة الإصلاح في إيران . غير أن متشددين أو ما عرفوا

بأنصار حزب الله كانوا يقفون بالمرصاد لمثل هذه الاجتماعات ، ووقعت العديد من الصدامات الدامية بين الجانبين خلال الأعوام الثلاث الماضية .

وقد دفع طلاب الجامعات ضريبة باهظة لدفاعهم المستميت عن العملية الإصلاحية في البلاد حيث كان اعتداء الشرطة والميليشيات الدينية المتشددة على جامعة تبريز والحي السكني التابع لجامعة طهران في تموز عام ١٩٩٩ ذروة العداء الذي كان يضمره المتشددون ضد الإصلاحيين وفي طليعتهم طلبة الجامعات .

التنظيمات الطلابية الموجودة حاليا على الساحة

هناك عدة فصائل وجمعيات طلابية تنشط حاليا في المعاهد العليا والجامعات الإيرانية أهمها :

١- الجمعيات الإسلامية لطلبة الجامعات/ أنجمن إسلامي دانشجويان / والتي تتحالف جميعا في "اتحاد الجمعيات الإسلامية لعموم جامعات إيران " (مكتب تعزيز الوحدة) وتقول بعض الإحصاءات غير الرسمية أن " تعزيز الوحدة " تغطي أكثر من ٨٠ في المائة من الجامعات الإيرانية .

سبق وأن ذكرنا أن اتحاد الجمعيات الإسلامية / تعزيز الوحدة / تأسس عام ١٩٨٠ ؛ وبالرغم من وجود بعض الاتجاهات الليبرالية لدى بعض الجمعيات الإسلامية المنضمة للاتحاد كالجمعية الإسلامية لطلبة جامعة أمير كبير الصناعية غير أن الاتحاد عامة محسوب على اليسار الإسلامي وينتمي إلى تحالف أكبر موالي للرئيس خاتمي والحركة الإصلاحية هو تحالف الثاني من خورداد (أي الثالث عشر من مايو ١٩٩٧ يوم انتخاب خاتمي رئيسا للجمهورية).

٢-الرابطة الإسلامية / جامعة إسلامي دانشجويان / والتي تنشط في نحو ٢٠ – ٢٥ في المائة من الجامعات الإيرانية .

٣-منظمة جهاد البناء في الجامعات/جهاد دانشكاهي / والذي تعمل في ٦٠ – ٧٠ في المائة من الجامعات الإيرانية إذ ينحصر نشاطها في المجالات الثقافية والفنية والأدبية.

٤-منظمة بسيج، أي تعبئة الطلبة ؛ وهو تنظيم شبه عسكري تابع بشكل أو آخر لقوات البسيج والذي يتبع بدوره للحرس الثوري الإيراني .

٥-الرابطة الإسلامية للطلبة/ أنجمن إسلامي دانشجوئي / المعروفة باسم مؤسسها "طبرزدي" والتي تغطي ١٦ – ١٧ في المائة من الجامعات . وقد شهد هذا الفصيل الطلابي

تطورات كبيرة حيث بدأ من الاحتماء بالمرشد ومهاجمة رفسنجاني عندما كان رئيساً للجمهورية وانتهى حالياً بالارتماء في أحضان القوميين (الفرس) كالجبهة الوطنية وحزب بان إيرانيست .

كما أن هناك مجموعات طلابية صغيرة مثل الجبهة المتحدة للطلبة / جبهة متحد دانشجوئي / ذات الميول القومية والجمعية الإسلامية للطلبة / مجمع إسلامي دانشجويان / ومركز الطلاب المسلمين / كانون دانشجويان مسلمان / ... إلخ .

وقد تمكنت الفصائل الطلابية في الأعوام الأخيرة من استقطاب نحو ٥٠ – ٦٠ في المائة من طلبة الجامعات في إيران حيث معظمهم ينتمون إلى الجمعيات الإسلامية لطلبة الجامعات المنضوية تحت راية مكتب تعزيز الوحدة .

وقد لعبت الحركة الطلابية خلال النصف الثاني من القرن العشرين دوراً فاعلاً في توعية الجماهير الطلابية وفي توسيع إطار الحركة الثورية ومن ثم الحركة الإصلاحية بين شرائح المجتمع الإيراني وخاصة بين الطبقات الوسطى .

لقد صمدت هذه الحركة أمام الهجمات المتكررة للأصوليين الذين كانوا يعتدون – في عهد الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني – على الاجتماعات السلمية لطلبة الجامعات . وقد أزالت مقاومة الحركة الطلابية الخوف من قلوب الجماهير حيث تمكنت من استقطاب الجماهير المقموعة في عهد رفسنجاني إلى المعترك السياسي وأن تخلق ما وصف فيما بعد بملحمة الثامن من خورداد أي الثالث والعشرين من مايو ١٩٩٧ يوم انتخاب الرئيس الحالي محمد خاتمي .

وقد واصلت الحركة الطلابية دورها التنويري والتحريضي في الأعوام التي تلت تلك الحادثة التاريخية الهامة في حياة الشعب الإيراني؛ وأقلقت التيار الشمولي والمتشدد. ويعرب بعض المحللين عن قلقهم إزاء احتمال استغلال هذا التيار لبعض الفصائل المرتبطة به في الجامعات ليخلق نوع من المواجهة بين هذه الفصائل والمجموعات الطلابية الموالية للإصلاح في إيران .

مشاكل الطلبة في إيران

من أبرز المشاكل التي يعاني منها الطلبة الجامعيين في إيران هي مشكلة السكن . فالعديد من الذين يدخلون الجامعات في العاصمة الإيرانية، طهران، أو في عواصم المحافظات أو المدن الأخرى يعانون من مشكلة السكن خلال الفترة الدراسية . ولا

تتناسب الأحياء السكنية الخاصة بالجامعات مع عدد الطلبة مما حول المشكلة إلى قضية عويصة في الأعوام الماضية .

فعلاوة على الإحساس بالغربة الذي يراود العديد من الطلبة الوافدين من القرى والمحافظات للدراسة في الحاضرة الإيرانية طهران، هناك شعور بالنقص يسيطر على العديد منهم إثر التفاوت الطبقي والاجتماعي بين بيئتهم وبيئة العاصمة . ويثير هذا الشعور بعض الدوافع للقيام بالاحتجاجات والتظاهرات الطلابية التي تبلغ أحياناً حد أعمال الشغب .

ولا ننسى أيضاً المشكلة الكبرى وهي عدم الثقة بالمستقبل، إثر البطالة المتفشية في البلاد والتي تشمل حالياً حتى خريجي الجامعات ومن بينهم الأطباء والمهندسين .

كما وتفصل إدارة الجامعات بين الطلبة والطالبات في الصفوف الواحدة غير أن هذا الفصل يختلف في درجته بين الكامل والجزئي في الجامعات الإيرانية المختلفة .

وبينما تفصل الجامعة الحرة الإسلامية التي يسيطر عليها المحافظون الصفوف والمطاعم والحافلات وأحياناً المباني بين الجنسين نرى على سبيل المثال الطلبة في كليات جامعة طهران ـــ وهي جامعة حكومية بالطبع ـــ يجلسون في صفوف واحدة لكن كل جنس على جانب من الصف وقد حاول بعض المتشددين في السنوات الأولى للثورة فصل الجنسين بالستائر الفاصلة في الصف الواحد غير أن الخطة فشلت و لم تنجح .

ولا تختلف مشاكل الطلبة في إيران عن زملائهم في شتى أنحاء المعمورة ولا سيما في آسيا وأفريقيا غير أن الطلبة في الجامعات الإيرانية يتميزون بمستوى عال من الوعي السياسي وهم أكثر نشاطاً وحيوية من أقرانهم في العا لم الثالث .٠

مدرسة الحقاني ودورها في التشدد

تعتبر مدينة قم في إيران من أهم مراكز تربية رجال الدين الشيعة بعد مدينة النجف في العراق . وبالرغم من عراقة النجف في احتضان المدارس والحوزات الدينية — الشيعية والتي يمتد تاريخها إلى أكثر من قرنين إلا أن مدينة قم والتي لا يتجاوز عمر مدارسها الدينية سبعين عاماً، قد أخذت تنافس النجف في هذا المجال وخاصة بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران .

وقد تم إنشاء أول حوزة دينية في مدينة قم في العشرينات من هذا القرن على يد آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي حيث لم توجد مثل هذه المدارس قبل ذلك التاريخ؛ وهناك حالياً عدة مدارس دينية في مدينة قم منها مدرسة الفيضية التي أطلقت منها الشرارة الأولى للانتفاضة الشعبية بقيادة آية الله الخميني عام ١٩٦٢ ، ومدرسة الحجتية ، ومدرسة الحقاني .

وشهدت إيران بعد قيام الثورة في فبراير ١٩٧٩ محاولات حثيثة لأسلمة القوانين في الأجهزة الحكومية والقضائية والتشريعية حيث بذلت جهود كبيرة لاستبدال القوانين السابقة وتغيير تركيبة الوزارات والبرلمان والأجهزة القضائية وإعطائها صبغة إسلامية .

وقد ولج رجال الدين — وبكثرة — هذه الأجهزة والوزارات وتولوا مناصب هامة في السلطة وأجهزتها القضائية والتشريعية والتنفيذية .

ومعظم هؤلاء الوافدين من رجال الدين هم ممن درس في الحوزات الدينية بقم والنجف ومشهد وأصفهان وسائر المدن الإيرانية الأخرى التي تضم مثل هذه المدارس والحوزات غير أن حصة مدينة قم وباعتبارها المدينة التي ساهمت بشكل مباشر في تفجير الثورة عام ١٩٧٩ كانت أكثر من باقي المدن المذكورة آنفاً .

وفي خضم المناقشات والسجالات الدائرة حالياً في الصحافة الإيرانية والمتمحورة أساساً على ظاهرة "العنف" في البلاد، وهي قضية اجتماعية — سياسية شغلت بال

المنظرين والمفكرين بين متشدد موافق وإصلاحي معارض لها ، تم اكتشاف ظاهرة أخرى لم يعتن بها أحد سابقا وهي دور مدرسة الحقاني الدينية بمدينة قم في تخريج المتشددين ورغبة هؤلاء لتولي مسؤوليات هامة في القضاء والأمن والاستخبارات حيث لم يكن تواجد هؤلاء وبهذه الكثرة في المؤسسات الحساسة للدولة مجرد صدفة خلال السنوات العشرين المنصرمة .

ويمكن لنا هنا أن نذكر أسماء عدد من خريجي وأساتذة هذه المدرسة الذين تولوا مناصب هامة في القضاء والاستخبارات منهم :

علي فلاحيان، الوزير السابق للاستخبارات حيث تولى هذا المنصب في عهد الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني ولمدة ٨ سنوات (١٩٨٩ – ١٩٩٧) والذي يتهمه الإصلاحيون بتعيين سعيد أمامي مساعدا أمنيا له وذلك بالرغم من معارضة سعيد حجاريان المنظر الإصلاحي الحالي والمدير العام الأسبق لدائرة التزكية في وزارة الاستخبارات . وقد أدى الأمر إلى فصل حجاريان ــ الذي ارتقى حتى نيابة الوزير الأسبق ريشهري في وزارة الاستخبارات ــ ومؤيديه من الوزارة بتهمة الانتماء إلى اليسار والراديكالية .

وتطالب الأوساط الإصلاحية، ومنذ فترة، القضاء الإيراني باستدعاء فلاحيان للتحقيق معه حول الاغتيالات السياسية التي ارتكبها مساعده الأمني سعيد إمامي ــ والذي انتحر عام ١٩٩٩ في السجن ــ وبعض من مدراء وزارته السابقين .

علي رازيني ، رئيس دائرة العدل في محافظة طهران أو بالأحرى رئيس المحاكم في العاصمة الإيرانية والذي أظهر عداءه للإصلاحيين عشية الانتخابات الرئاسية في مايو ١٩٩٧ حين أصدر أمرا بإغلاق المكتب الرئيسي الخاص بالحملة الانتخابية للرئيس خاتمي وذلك قبل يومين من إجراء الانتخابات المقررة في ٢٣ مايو ١٩٩٧ متهما رئيس بلدية طهران السابق غلام حسين كرباسچي بمنح إحدى بنايات البلدية كمكتب رئيسي لمؤيدي خاتمي لخوض الحملة الانتخابية ولو لم يتدخل الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني آنذاك لحل المشكلة لتعقدت الأمور ولأثيرت الضغائن وحدثت المواجهات .

وواصل رجل الدين علي رازيني عمله ضد الإصلاحيين وخاصة ضد كرباسچي الذي كان يعتبره العنصر الهام والمؤثر في انتخابات خاتمي رئيسا للجمهورية الإسلامية في إيران وذلك باستخدامه كافة إمكانياته وحزبه ــ كوادر البناء ــ من أجل هذا الهدف .

روح الله حسينيان ، مندوب محكمة الثورة في وزارة الاستخبارات قبل عامين والرئيس الحالي لمركز وثائق الثورة الإسلامية .

وقد تحدى حسينيان ما أعلنته النيابة العسكرية حول سعيد إمامي من إتهامات بالتجسس لصالح إسرائيل والضلوع في الاغتيالات السياسية وذلك بمشاركته الفعالة في تشييع جنازته حيث برأ ساحته من كافة الاتهامات بل وأدان المقتولين ـ المثقفين والسياسيين المعارضين الذين قتلوا في أواخر العام الماضي ـ باستخدامه مصطلحات فقهية ـ قانونية كـ"النصابين" و "المرتدين" وما شابه ذلك .

محسني إيجئي، ويرأس حالياً المحكمة الخاصة برجال الدين حيث كان وقبل توليه هذا المنصب رئيساً للمحكمة التي أدانت رئيس بلدية طهران السابق غلام حسين كرباسجي بالسجن، وقد تحولت المحاكمة إلى حدث سياسي هام شغل بال المواطنين الإيرانيين والأوساط السياسية الأجنبية .

ومن الجدير بالذكر أن كرباسجي نفسه كان طالباً في هذه المدرسة غير انه وباتجاهاته التحديثية يشكل استثناءً في قاعدة التطرف والتشدد المذكورة آنفاً .

مصباح يزدي، وهو المفكر والمنظر لهذا التيار الفكري والسياسي حيث حارب قبل الثورة المفكر الديني ـ التقدمي د. علي شريعتي وأخذ يعارض بعد الثورة أفكار د. عبد الكريم سروش الإصلاحية .

وقد بدأت حملة صحافية وفكرية ضد مصباح يزدي في السنوات الأخيرة لدفاعه عن ظاهرة "العنف" واستخدامها في العلاقات بين التيارات السياسية في إيران وتنظيره لها . وقد رد عليه الرئيس خاتمي نفسه في مناسبتين مختلفتين دون أن يذكر اسمه .

ويعتبر فلاحيان وحسينيان وعلي رازيني ومحسني إيجئي من تلاميذ مصباح يزدي في مدرسة "حقاني ". والقائمة طويلة وتضم أشخاص آخرين يتولون مناصب هامة مثل رجال الدين " محمدي عراقي " رئيس مؤسسة الإعلام الإسلامي و " معلى " من مدراء صحيفة كيهان المتشددة و " رئيسي " رئيس مؤسسة التفتيش في إيران .

ولا ينظر هؤلاء الأصوليون بعين المودة الى الإصلاحيين أبداً، بل يخوضون حرباً سياسية وثقافية وصحافية لا هوادة فيها ضدهم .

وقد اقترح أحد الصحفيين الإصلاحيين قبل أيام إنشاء حزب جديد من رجال الدين يضم الوجوه المتشددين ليتمايز هؤلاء عن تنظيمين هامين لرجال الدين نشطا على الساحة

السياسية هما "رابطة رجال الدين المناضلين ــ روحانيون " و " جمعية رجال الدين المجاهدين ــ روحانيت "، ويضم الأول شخصيات دينية يسارية ومعتدلة كالرئيس السابق للبرلمان مهدي كروبي والرئيس محمد خاتمي والرئيس السابق للمحكمة العليا في البلاد محمد خوئينيها ورئيس كتلة الإصلاح في البرلمان ويضم الثاني شخصيات دينية محافظة كرئيس البرلمان ناطق نوري ورئيس الوزراء السابق مهدوي كني والرئيس السابق للقضاء الإيراني محمد يزدي وأمين مجلس صيانة الدستور أحمد جنتي وآخرون .

واقترح هذا الصحفي الإيراني على رجال الدين المتشددين من أساتذة وخريجي مدرسة الحقاني مثل مصباح يزدي ومحسني إيجئي وعلي رازيني وعلي فلاحيان وروح الله حسينيان وأحمد جنتي وأبو القاسم خزعلي (العضو السابق لمجلس صيانة الدستور) إنشاء حزب جديد يميزهم عن الإصلاحيين من جهة والمحافظين من جهة أخرى .

غير أن الرياح لا تجري كما تشتهي السفن، ودوامة الأيام لا تدور بما يريده المتشددون المنظرون لظاهرة "العنف" أو "النصر بالرعب" للحفاظ على السلطة بأي شكل كان . وبعد أن صوت ٨٠ في المائة من الشعب الإيراني لصالح الإصلاح في السلطة التنفيذية بانتخابهم خاتمي رئيساً للجمهورية، نشاهد قلعة أخرى من السلطات الثلاث ، أي السلطة القضائية الخاضعة لسيطرة المتشددين، تتهاوى أمام الأمواج الإصلاحية الهادرة حيث أخذت تفتح ذراعيها لرئيس جديد يؤكد ومنذ اللحظة الأولى لتعيينه على القيام بعملية التنمية والإصلاح في هذه السلطة ؛ وهذا ما كان يرفضه الرئيس السابق الشيخ محمد يزدي جملة وتفصيلا .

كما ومن المتوقع أن تحسم الجماهير الإيرانية وبأغلبيتها المؤيدة للتحديث السياسي سوف تحسم مصير الانتخابات التشريعية في ١٨ فبراير القادم لصالح أنصار الإصلاح وعلى رأسهم الرئيس محمد خاتمي إذا لم يحدث أي حديد يعكر الأجواء السياسية في البلاد .

اصطفاف القوى السياسية عشية الانتخابات النيابية في إيران (فبراير عام ٢٠٠٠)

تشهد ايران حالياً نشاط محموم من قبل ٣ تيارات رئيسية يمكـــن أن نشـــاهدها في العاصمة طهران وسائر المحافظات والمدن الإيرانية وذلك بالرغم من المسافة الزمنيـــة الـــتي تفصلنا من الانتخابات النيابية السادسة والتي من المقرر أن تتم في ١٨ من فبراير القادم .

نبدأ ، أولاً، بالتيار الإصلاحي أو مؤيدي الرئيس خاتمي أو كما يســـمون أنفســـهم أحياناً هنا بـــ "جبهة الثاني من خورداد" والاسم مأخوذ من اليوم الذي يصادف الثـــالث والعشرين من مايو ٩٧ وفقاً للتقويم الإيراني حيث تم انتخـــاب محمـــد خـــاتمي رئيســـاً للجمهورية في إيران. وينتظم إصلاحيو "جبهة الثاني من خورداد " في نحـــو ١٧ جمعيـــة ومنظمة سياسية ودينية ومهنية أهمها "رابطة علماء الدين المناضلين" – روحانيون – والـــتي يرأسها مهدي كروبي الرئيس السابق للبرلمان؛ و"جبهة المشاركة لإيران الإسلامية" برئاســـة د.محمد رضا خاتمي شقيق الرئيس خاتمي ؛ و"حزب كوادر البناء" الـــذي يضـــم وزيـــر الإرشاد د. مهاجراني وأمين العاصمة السابق غلام حسين كرباسجي والنائبة فائزة هـــاشمي ؛ و"منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية" برئاسة محمد سلامتي مساعد وزير التعاون والـــتي تضم بهزاد نبوي ووزراء سابقون آخرون .

وقدمت هذه الجبهة مرشحيها شهرين قبل الموعد القانوني لهذا الأمر حيـــث هنـــاك خلاف بين فصائلها حول ترشيح الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني . فحينما يؤكد حـــزب " كوادر البناء" وهو الجناح الوسط في جبهة الثاني من خورداد ، على ترشيحه في صـــدر لائحته الانتخابية تعارض "جبهة المشاركة" اليسارية ترشيح رفسنجاني وتطرح أشـــخاص آخرين مكانه كوزير الداخلية السابق عبد الله نوري وكروبي ورئيس الديـــوان الأعلـــى للقضاء سابقاً محمد خوئينيها . وسيهدد هذا الأمر جبهة الإصلاحيين إذا أعلن رفســـنجاني رأيه النهائي وعزمه للترشيح لهذه الانتخابات حيث يرفض حتى الآن إبداء رأي واضـــح في

هذا الشأن وكأنه يحاول أن يختبر الساحة السياسية والمواقف المختلفة ليقرر على ضوئها قضية ترشيحه للانتخابات النيابية . وقد هدد اليسار في جبهة الإصلاح بأنه سيقوم بنقد عهد رفسنجاني وأدائه في رئاسة الجمهورية والذي استمر مدة ٨ سنوات . ويبدو أن الراديكاليين مثل عباس عبدي وحجاريان ومحمد رضا خاتمي ينوون القيام بتعرية الاغتيالات التي قامت بها وزارة الاستخبارات في عهد الرئيس رفسنجاني والذي يدعون أنها لا تقل عن ٨٠ عملية اغتيال تمت دون محاكمات قانونية كان آخرها الاغتيالات السياسية التي وقعت في عهد الرئيس خاتمي العام الماضي . ناهيك عن الفساد الاقتصادي والإداري الذي كان سائداً في الوزارة في عهد الوزير الأسبق علي فلاحيان ومساعده السيء الصيت سعيد إمامي .

كما قدمت "جبهة الثاني من خورداد" لائحة بأسماء ٣٠ مثقفاً كمرشحين لمدينة طهران يوجد بينهم وجوه بارزة كالمفكر الديني د. سروش والسياسي الليبرالي المعارض المهندس عزت الله سحابي ورئيس تحرير عدة صحف تم إغلاقها من قبل الأجهزة القضائية، ما شاء الله شمس الواعظين وعبد الله نوري وآخرون. ويتوقع أن يرفض مجلس صيانة الدستور تزكية معظم هؤلاء . ويعتبر الإصلاحيون تقديم هذه اللائحة كتكتيك لاختبار لجنة التزكية حيث يقولون أن مرشحي هذه اللائحة يشكلون الخط الأمامي لجبهة الإصلاح؛ فإذا تجاوزها المحافظون المسيطرون على لجان التزكية فهناك لوائح أخرى سيتم تقديمها؛ أي أنهم، وفي صراعهم مع المحافظين المسيطرين على مجلس صيانة الدستور، يستخدمون النيران المكثفة والقوات الكبيرة .

ثانياً في الجبهة المقابلة أي جبهة المحافظين والمتشددين نرى تشتتاً ملحوظاً وعدم انسجام أدى إلى التأخير في الإعلان عن لائحة مرشحيهم إذا قارنا ذلك بما يقوم به الإصلاحيون في هذا المجال .

فرابطة علماء الدين المجاهدين – روحانيت – وهي العمود الفقري للمحافظين والتي تضم رئيس الوزراء الأسبق مهدوي كني ورئيس البرلمان ناطق نوري ووزير الاستخبارات الأسبق علي فلاحيان ووجوه دينية بارزة أخرى تحاول أن تبتعد عن منظمات متشددة كحزب الجمعيات المؤتلفة الإسلامية والاقتراب من هاشمي رفسنجاني حيث تؤكد عزمها على ترشيحه كرئيس للبرلمان السادس وهو الذي انتقدت سياساته الاقتصادية مرارا في أواخر عهده في الرئاسة وناصبت العداء لحزب كوادر البناء – الذي يعتبر رفسنجاني أبوه الروحي – في الدورة الخامسة للبرلمان .

ثالثاً المستقلون والقوى السياسية التي لم تقع في إطار ما يسمى بالقوى التي تقع في إطار النظام الإيراني .

فالمستقلون هم غالباً يترشحون في المحافظات التي تسكنها أقليات قومية أو مذهبية حيث يمكن أن تكون لهم اتجاهات إصلاحية لكنهم لا ينتمون إلى المنظمات السياسية أو الدينية التي تشكل جبهة الثاني من خورداد .

وقد رأينا فوز المستقلين في انتخابات المجالس المحلية في المناطق التي يقطنها أهل السنة مثل بندر عباس وكردستان وبلوشستان أو مناطق تقطنها قوميات غير فارسية كخوزستان / الأهواز / وكردستان وبلوشستان ونوعاً ما أذربيجان .

أما القوى التي تسمي نفسها بالقومية ـــ الدينية أو القوى القومية المحضة، فقد أعلنت، ايضاً، عن عزمها على تقديم لوائح انتخابية مستقلة أو داعمة لقوى إصلاحية أخرى .

وقد أعلنت حركة حرية إيران بقيادة د. إبراهيم يزدي أنها ستقدم لائحة خاصة بها وذلك بالرغم من أن الحركة غير مسموح لها قانونياً بالنشاط السياسي غير أن الحكومة تتحملها كما وأعلن حزب "بان إيرانيست " القومي المتطرف عن عزمه للإعلان عن مرشحين للانتخابات النيابية القادمة .

وتأتي هذه الأمور مع علم هذه الأحزاب بأن مجلس صيانة الدستور سيرفض لا محالة معظم أعضاء اللوائح المقدمة من قبل القوى السياسية القومية والقومية – الدينية بل وعدداً من الفصائل الإصلاحية .

خاتمي ــ مصدق و العالم العربي

يمكن لنا أن نعتبر إيران ومصر كطليعتين لحركة التحرر و النضال ضد الاستعمار في قارتي آسيا وأفريقيا .

فقد أنشأ الشعب العربي في مصر أول برلمان منتخب في القارة الأفريقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر و استمر في كفاحه بقيادة عرابي باشا في سبيل الاستقلال و الحرية غير أن التجربة هذه فشلت بسبب الاحتلال البريطاني لأرض الكنانة فيما اضطر المصريون أن يثوروا مرة أخرى عام ١٩١٩ بقيادة الزعيم الوطني سعد زغلول.

و كان الإيرانيون من أوائل الشعوب التي شرعت بالكفاح في القارة الآسيوية في مطلع هذا القرن حيث أجبروا الاستبداد على التراجع الى الوراء وارسلوا ممثليهم إلى أول برلمان أنشئ في آسيا .

استلهم العرب عامة و المصريون بخاصة من نضال الجماهير الإيرانية بقيادة الزعيم الوطني د. محمد مصدق في أوائل الخمسينات من القرن العشرين حيث يمكن القول أن تأميم النفط في إيران كان أحد الأسباب التي حفزت الضباط الأحرار بزعامة جمال عبد الناصر على الثورة ضد النظام الملكي البائد في مصر .

فقد أدى تأميم النفط الإيراني من قبل مصدق إلى تأميم قناة السويس و من ثم عمت موجة التأميم، صناعة النفط في العالم العربي حيث كان آخرها تأميم النفط العراقي في السبعينات .

وسميت المواليد و الشوارع في القاهرة و الخرطوم و عواصم عربية أخرى باسم مصدق. وقد تزامن فشل الثورة الوطنية – الديمقراطية عام ١٩٥٣ في إيران بتصاعد المد القومي الناصري الذي عم المنطقة بأسرها و الذي أصبح ملهماً للمناضلين في أرجاء العالم كافة من فيدل كاسترو و جيفارا في كوبا إلى الطالقاني و شريعتي في إيران .

تلت ذلك، الثورة الفلسطينية التي تحولت إلى مدرسة للثوريين الإيرانيين ــ من دينيين ويساريين ــ حيث كانوا يتوافدون إلى العراق و الأردن و لبنان ليتعلموا دروس الكفاح ضد الشاه من مدرسة الثورة العربية الفلسطينية و ليطبقوا ذلك على أرض إيران التي كانت تعاني من الاستبداد الشاهنشاهي . وقد استمر التفاعل الجدلي بين الشعبين العريقين العربي و الإيراني اللذين يجمعهما الدين و التاريخ المشترك حتى قيام الثورة الإيرانية في فبراير عام ١٩٧٩ التي هزت العالم و منه العالم العربي .

كما و كان للعالم العربي ردّ فعله على انتخاب محمد خاتمي رئيساً للجمهورية في إيران في ٢٣ مايو ١٩٩٧ .

و يمكن لنا أن نشاهد التفاعل الإيجابي الذي أبداه العرب من المحيط إلى الخليج تجاه هذا الحادث المهم في تاريخ إيران و المنطقة .

ولكن هناك فرقاً بين خاتمي من جهة ومصدق وعبد الناصر من جهة أخرى وهذا طبيعي لأن لكل عهد رجاله .

فإذا كان مصدق يعتقد بالقومية الإيرانية وعبد الناصر بالقومية العربية ومن الطبيعي أن تفصل الاتجاهات القومية نوعاً ما ما بين الشعوب ، غير أننا لا نرى مثل هذا الاعتقاد في تفكير الرئيس الإيراني خاتمي؛ وهو وبالرغم من وطنيته يتحدى الإطار الضيق للقومية الإيرانية وينظر بنظرة إنسانية إلى المنطقة والعالم . فلهذا إن تفكير خاتمي ــ البعيد عن الاتجاهات القومية الفارسية ــ هو أكثر انطباقاً من التنوع القومي للشعوب الإيرانية وشعوب المنطقة .

وباعتقادي انه إذا استطاعت إيران أن تستغل وبنحو جيد شعبية خاتمي بين المثقفين والمفكرين والشباب العرب، يمكن للعرب والإيرانيين أن يرسموا من جديد خارطة هذه المنطقة المتوترة من العالم .

ويحتاج هذا الأمر إلى دراسة وتأمل أكثر. لكنني أقول إنه إذا تمكنت الدول الأوروبية وعقب المذابح التي ارتكبت في الحربين الأولى والثانية والقتلى الذين سقطوا في ساحات القتال من الاتحاد والتحالف فلماذا لا تتمكن دول المنطقة ــ والمنبثقة من حضارة وتاريخ وثقافة ودين مشترك ــ أن تتحاور وتمهد للاستقرار وللسلام الدائمين في المنطقة ؟ !

ولا ينبغي أن ينحصر أمر الحوار على السياسيين ورجال الدولة، والذي لا يصل إلى نتائج مناسبة وطويلة الأمد حيث من الأفضل أن يشارك الكتاب والمفكرون والصحفيون ــ ومنظماتهم المستقلة حقيقة ــ في هذه العملية .

أحمد شاملوا؛ أعظم شعراء الرعيل الأول في إيران

يشمون فمك خوفاً من تفوهك بـــ " إني أحبك "

يشمون قلبك
زمن غريب يا حبيبتي
يجلدون الحب جنب عمود " السيطرة "
ينبغي أن نخبىء الحب في المختلى
وأنا أبقي على النار مشتعلة بوقود الشعر والنشيد
في هذا الطريق الشتوي المغلق الملتوي
لا تجازف بخطر " التفكير "
زمن غريب يا حبيبتي
الذي يطرق الباب ليلا جاء ليقتل النبراس
ينبغي أن نخبىء الضوء في المختلى
الجزارون يجوبون المفارق بالسواطير وزند الخشب الدامية
زمن غريب يا حبيبتي
يبترون - بالجراحة - الابتسامة عن الشفاه والأغنية عن الأفواه
ينبغي أن نخبىء الأشواق في المختلى
والكناري يشوى على نيران السوسن والياسمين
زمن غريب يا حبيبتي
يجلس إبليس المنتصر على طاولة احتفال تأبيننا
ينبغي أن نخبىء الله في المختلى

هذه قصيدة أنشدها الشاعر الإيراني أحمد شاملو أحد عباقرة الشعر الفارسي الحديث في صيف عام ١٩٨٠ أي في الشهر الأولى عقب قيام الثورة الإسلامية في إيران وقد وافته

المنية يوم الاثنين الرابع والعشرين من يوليو ٢٠٠٠ عن عمر يناهز الخامسة والسبعين وقد سار في جنازته أكثر من عشرين الف.

وللتحدث عن أحمد شاملو ينبغي أن نشير إلى " نيما يوشيج " المجدد الأول في الشعر الفارسي الحديث حيث كسر أوزان الشعر الفارسي القديم والمعروفة باسم أوزان الفراهيدي وقام ينشر أول قصيدة له على وزن التفعيلة .

ويمكن مقارنة بدر شاكر السياب الذي قام بنفس الدور في عام ١٩٤٥ بنيما يوشيج . وقد تأثر أحمد شاملو أكثر ما تأثر بهذا الشاعر الطلائعي غير انه طور أساليبه الشعرية فيما بعد وأرسى ما وصف بالشعر الحر والشعر المنثور . إذ يمكن أن نقارن أحمد شاملو في هذا المجال بالشاعر العربي علي أحمد سعيد (أدونيس) .

ولد الشاعر والباحث في التراث والمترجم الشهير أحمد شاملو عام ١٩٢٥ في مدينة طهران، وقد ترك الدراسة في السنة الأولى للثانوية واشتهر كشاعر في الأوساط الأدبية منذ سن السابعة عشر .

وعلاوة على دواوينه الشعرية قام شاملو بترجمة قصائد وأشعار من أعظم الشعراء الأوروبيين منهم سان جان بروس ولوركا وألبرتي وآخرون ؛ كما ترجم بعض الروايات وقام بأبحاث في مجال التراث الشعبي الايراني.

كما نشط شاعرنا أيضاً في مجال الصحافة وقام بإصدار أو ترأس عدة صحف؛ وكان دوره في تطوير الشعر الفارسي الحديث أكثر من أي شاعر إيراني آخر حيث كان يتمتع شعره الجميل بلغة بليغة وعمق في المفاهيم والمضامين .

ويمكن للمتلقي أن يلمس في أشعار أحمد شاملو الملحمة منسجمة مع الغزل ويرى الإنسان المعاصر حاضراً في معظم قصائده .

كما ويمكن أن نشاهد في أشعاره لغة أدونيس الفاخرة وملحمة محمود درويش وتحدي الجواهري للأنظمة .

فقد سيطر أحمد شاملو ولخمسة عقود على النشاط الشعري في إيران وأصبح مركزاً مشعاً للثقافة والأدب في البلاد .

يمجد شاملو في شعره الإنسان وشأنه ويعارض التحقير والوهن الذي يتعرض له هذا الإنسان المقهور والمقموع من قبل الأنظمة الاستبدادية التي لا تعترف بشأن له .

وقد نهل الشاعر من الأدب الفارسي القديم واللغة الفارسية القديمة حيث مزج هذا التراث مع الحداثة بإدخاله عنصر الإنسان المعاصر ومعاناته في قصائده ..

سجن شاملو ولفترات قصيرة إبان الحرب العالمية الثانية بتهمة مناصرة الألمان في حربهم ضد الحلفاء غير أنه سرعان ما قد تغيرت عقيدته وأصبح يساريا دمقراطيا وحتى آخر لحظات حياته.

كما عارض احمد شاملو بأشعاره نظام الشاه وأهدى أجمل قصائده للمناضلين اليساريين الذين كافحوا أو استشهدوا في السجون والزنازين أو في حروب الشوارع و لم تخل أشعاره بعد قيام الثورة وكما رأينا في مطلع هذا المقال من انتقادات لاذعة لما شهدته إيران من أحداث في المجتمع الإيراني بعد قيام الثورة في إيران .

بغد ديوان "القصائد المنسية" التي صدر في الأربعينات من القرن الماضي وهو ديوان لأشعار حب سطحية، كما نشر شاملو ديوان "الهواء النقي" في الخمسينات، وطرح نفسه كشاعر له وزنه ودوره في ساحة الشعر والأدب وتلا ذلك بدواوين أهمها "بستان المرائي" و " آيدا في المرأة " و " آيدا والشجر والخنجر والذكريات" و "مراثي التراب" و "التفتح في الضباب" و "إبراهيم في النار" و "خنجر في الصحن" .

وآيدا هذه هي المرأة الأرمنية التي أحبها شاملو في الستينات بعد أن طلق زوجته الأولى حيث استقرت آيدا وحبها المتوهج في نفس شاملو ملهما شعريا له .

وكان أحمد شاملو باحثا دؤوبا في مناحي الحياة الأدبية والثقافية المختلفة لا يكل ولا يتعب حيث أغنى المكتبة الفارسية بدواوينه وترجماته وبحوثه الفلكلورية .

ويعتبر الناقدون أحمد شاملو محطما للأصنام في إيران حيث لم يسلم حتى الشعراء الفرس العظام من انتقاداته ؛ إذ انتقد سعدي الشيرازي لمواقفه المحقرة للمرأة والفردوسي لمغالطته التاريخية في قصة "كاوة الحداد والضحاك " وقد جلبت هذه الانتقادات وخاصة الموجهة للفردوسي الذي يعتبره القوميين الفرس محيي اللغة الفارسية بعد الفتح العربي الإسلامي لإيران ونبيا لهم، جلبت لشاملو المزيد من الشتائم والهجمات المتعصبة من هؤلاء القوميين .

وكان أحمد شاملو طموحا في القضايا السياسية مؤمنا بالديمقراطية وحقوق الشعوب الإيرانية حيث خصص المزيد من صفحات مجلته الأسبوعية "كتاب الجمعة" لثقافة وأدب هذه الشعوب ومنهم الأكراد حيث كان يعتبر النظام الفيدرالي إطارا مناسبا لإيران و لم

تسمح وزارة الإرشاد بطبع دواوينه وسائر آثاره إلا بعد مجيء خاتمي حيث تم الحظر ولفترة ١٦ عاما – من ١٩٨١ حتى ١٩٩٧ – على كتبه . وقد تعرض أحمد شاملو ورفاقه في اتحاد الكتاب الإيرانيين لهجمات شرسة من قبل المتشددين المتمترسين في بعض الصحف تارة بحجة العلمانية وتارة بحجة العمالة للغرب. وكان أحمد شاملو في معارضته للمثالب الاجتماعية والثقافية وهفوات الحكومات والسلطات شجاعا وصريحا حيث نرى توقيعه ـــ قبل الثورة وبعدها ـــ في أي عريضة أو رسالة تحتج على انتهاك حقوق الكتاب أو الممارسات التي تستهدف حرية التعبير في إيران .

ويعد أحمد شاملو أعظم شعراء الرعيل الأول في إيران، أبرزهم نيما يوشيج ومهدي إخوان ثالث وحميد مصدق الذين رحلوا قبله في السنوات المنصرمة .

وأشعار أحمد شاملو بالفارسية كأغنيات فيروز بالعربية لا تحدها حدود طبقية أو مذهبية أو دينية حيث وكما كان يتغنى المناضلون الوطنيون واليساريون من جهة والكتائبيون من جهة أخرى في لبنان بأغنيات فيروز فقد كانت قصائد شاملو أيضا تطرب المعتقلين في السجون والمناضلين ضد حكم الشاه من جهة والملكة فرح بهلوي ـــ ملكة إيران السابقة ـــ من جهة أخرى .

هذا هو معنى الفن الحقيقي المتخطي لكل حدود طبقية ودينية حيث يصل إلى المشترك الإنساني بين أبناء البشر .

نتائج انتخابات المجالس المحلية في إيران؛ قراءة سوسيولوجية

جرت انتخابات المجالس المحلية في معظم المحافظات والمدن والقرى الإيرانية يوم الجمعة السادس والعشرين من فبراير ١٩٩٩ . وكان لهذه التجربة الديمقراطية في إيران، والتي تأخر تطبيقها عشرين عاما بعد أن جاءت في الدستور الإيراني، أصداء إقليمية وعالمية عكسته وسائل الإعلام الإيرانية والأجنبية .

وقد تم دس هذه المادة في " القانون الأساسي " أي الدستور الإيراني بسبب الأجواء الثورية التي سيطرت عام ١٩٧٩ نظرا للدور الذي لعبه اليسار العلماني آنئذ وذلك بالرغم من معارضة المحافظين لها في مجلس خبراء الدستور . وكانت الفكرة أساسا من الزعيم الوطني – الديني آية الله الطالقاني الذي أخذها من خطابين رئيسيين هما خطاب القرآن وسورة الشورى بالضبط؛ وخطاب الشورية في تجارب دول العالم وخاصة تجربة الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الأخرى. وعارض اليمين الديني في إيران تطبيق هذه المادة طيلة الأعوام العشرين المنصرمة والتي لم تكن تحلو له المصادقة عليها عام ١٩٧٩ حتى جاء خاتمي لينفذ ما وعد به أثناء حملته الانتخابية ومنها المجالس المحلية .

وبالرغم من التنبؤ المسبق باحتمال فشل المحافظين في هذه الانتخابات غير أن تزامن احتجاز محسن كديور أحد الرجال الإصلاحيين وشقيق جميلة كديور ــ زوجة وزير الإرشاد د. مهاجراني ــ مع الفرز الأولي للأصوات يوم السبت السابع والعشرين من فبراير ١٩٩٩ والتي أظهرت صعود المرشحة جميلة كديور حتى المرتبة الثانية للفائزين في العاصمة طهران لم يكن قد وقع بالصدفة بل له معانيه الخاصة .

وقد اعتقد بعض المحللين أن اعتقال كديور هو نوع من رد فعل المحافظين على انتصار الإصلاحيين الساحق على المحافظين في طهران فيما لا يرى البعض الآخر أية

صلة بين هذين الحادثين لعدم انتماء المجموعة المسيطرة على المحكمة الخاصة برجال الدين إلى المحافظين التقليديين وأرجع أمر اعتقال محسن كديور إلى رد فعل اليمين المتطرف المسيطر على هذه المحكمة على احتمالات رفع الحصار عن آية الله المنتظري وعودته إلى الساحة السياسية والاجتماعية في البلاد حيث كان كديور من الداعين والمتحمسين لمثل هذه الدعوة ، علما بأن اليمين المتطرف يكن عداء قديما خاصة لآية الله المنتظري .

الفرز السياسي والقومي للأصوات

رافق الفشل التيارات المحافظة في هذه الانتخابات خاصة في المدينتين الرئيسيتين طهران وأصفهان حيث انتصر الإصلاحيون على المحافظين بشكل ساحق أي بنسبة ٨٠ إلى ٩٠ في المائة، والفصيلين الإصلاحيين اللذين نالا الأغلبية في هاتين المدينتين هما "جبهة المشاركة الإسلامية" التي يرأسها محمد رضا خاتمي شقيق الرئيس محمد خاتمي و "حزب كوادر البناء" الذي يتزعمه عمدة طهران السابق غلام حسين كرباسجي . كما لم يتمكن المحافظون ـــ حتى في أحد أهم معاقلهم وهي مدينة مشهد الدينية شمال شرق إيران ـــ من نيل الأغلبية حيث حصلوا على ٩,٢ % من الأصوات فقط في كل محافظة خراسان التي تعتبر مشهد عاصمتها الإقليمية، وكانت قم المدينة الوحيدة التي شهدت فشل الإصلاحيين حيث ادعى المرشحون الإصلاحيون بوجود تزوير في فرز الأصوات وقدموا احتجاجا في هذا الصدد .

وخلافا للعاصمة طهران لم تتمكن الأحزاب والتيارات السياسية أن تنال في المحافظات والمدن الإيرانية إلا على ٤٦% من الأصوات فيما نال المستقلون ٥٤ % من الأصوات .

وقد كان نصيب الأحزاب والتيارات الإصلاحية ٣٤ % ونصيب المحافظين ١٢ % من الرقم الأول .

وما من مدينة أو حتى قرية في إيران و لم تنتخب فيها النساء حيث فازت أخت الرئيس خاتمي "فاطمة خاتمي " في مدينة " أردكان " الصغيرة الواقعة وسط إيران بأغلبية ساحقة .

وقد تم انتخاب ٣ نساء في مدينة "ساوه" وسط إيران و٣ في مدينة الأهواز و ١٠ في محافظة سمنان و٢٥ في محافظة جيلان حيث تظهر النتائج أن النساء دخلن معظم المجالس المحلية في إيران بنسبة امرأة أو امرأتين لكل مدينة .

كما فاز المستقلون الذين لا ينتمون إلى القوميات الفارسية ولا للأحزاب التي تتخذ من طهران مكاتب لها بـ ٥٠ – ٧٥ في المائة من الأصوات في المناطق والمحافظات التي تقطنها قوميات غير فارسية أو غير شيعية مثل الأكراد والأتراك والعرب والتركمان والبندريين، في بلوشستان وآذربيجان وكردستان وخوزستان / الأهواز / وجرجان وكنبد كاووس وإيلام وكرمانشاه وبوشهر وبندر عباس.

إن النتيجة التي يمكن استخلاصها من انتخابات المدن الكبرى وخاصة طهران هي أن الفائزين هم من العناصر النشطة المؤيدة للرئيس خاتمي والذين تحملوا اللطمات من التيارات المتشددة التي تحظى بدعم بعض المراكز في السلطة وهذا يدل على ابتعاد الجماهير عن المحافظين رويدا رويدا في مسيرة بدأت قبل ثلاث سنوات أي منذ الانتخابات البرلمانية في عام ١٩٩٦ .

هناك أكثر من ١٠ ملايين قارئ للعربية في إيران

أجرى الحوار يوسف عزيزي

مقابلة خاصة مع محمد صادق الحسيني مستشار وزير الثقافة والإرشاد ومستشار الناطق الرسمي للحكومة الإيرانية .. والحسيني صحفي وباحث سياسي واجتماعي بارز حيث سبق وأن عمل في عالم الصحافة منذ حوالي ربع قرن . بدأ في صحيفة السفير اللبنانية، بعدها أسس مع فريق صحفي بمجلة الشراع اللبنانية ، ثم انتقل إلى النهار والنهار العربي والدولي لفترة وانطلق من لبنان إلى بعض الصحافة العربية في المهجر حيث عمل في مجلة العالم اللندنية وفي السنوات الأخيرة عمل مع عدد من الصحف العربية سواء المحلية منها أو الدولية كصحيفة القبس الكويتية والشرق القطرية والدستور الأردنية. ويكتب ـــ في الوقت الحاضر ـــ المقالات في الراية القطرية وكذلك صحيفة الشرق الأوسط الدولية الصادرة في لندن بالإضافة إلى فترة عمل كمراسل مع إذاعة مونت كارلو وتلفزيون المستقبل اللبناني ، كما قدم عدة أبحاث ودراسات في عدد من الدوريات المعروفة مثل المستقبل العربي وشؤون الشرق الأوسط الصادرة في لبنان. وهو متخصص في الشؤون العربية والشؤون الإيرانية لا سيما قضيتي لبنان وفلسطين في إطار الأزمة في الشرق الأوسط.

وقد دار معه الحوار التالي :

ـــ طرح قبل أيام الدكتور مهاجراني وزير الثقافة والإرشاد الإيراني قضية هامة وهي أن الصحافة الإيرانية لم تطرح نفسها بعد لا على المستوى الإقليمي ولا على المستوى الدولي ، ما هو رأيك في هذا الأمر ؟

ـــ الصحافة الإيرانية الحديثة والمنبثقة من بطن الاستقلال والحريات التي نمت في ظل الثورة الإسلامية في إيران هي صحافة فتية و لم تتأهل بعد لأن تصبح إقليمية أو

عالمية؛ هذا صحيح خاصة وأن أغلب الكادر الصحفي العامل في إيران هو كادر جديد، حديث النشأة وبالتالي يحتاج إلى فترة حتى يكون على مستوى الصحافة الدولية المعتبرة أو حتى بالأحرى يكون بمستوى متطلبات بلد كبير مثل إيران، لكن تحديات قيام صحافة عالمية لأي بلد ليس فقط لإيران يحتاج إلى نوع من ترسيخ لعدد من القضايا الأخرى وفي طليعتها الانفتاح السياسي والفكري والثقافي ، طبعا مع الحفاظ على الهوية الدينية والوطنية الإيرانية وهذا لا يتناقض مع الانفتاح بل بالعكس يرسخ جذور الوضع الإيراني . خاصة وأن إيران لها تاريخ وجذور في الركن الرابع للديمقراطية منذ بداية القرن حيث كانت صحافتها صحافة طليعية وقوية في آسيا وفي المنطقة، أعتقد أن الدكتور مهاجراني وزير الإرشاد وحكومة الرئيس خاتمي بصدد إعادة إحياء هذا الركن الرابع للديمقراطية في البلاد .

ـ هل هناك نية في وزارتكم لإلغاء قضية الأذون أو التراخيص الخاصة بإصدار الصحف في إيران، فمن أجل اصدار صحيفة أو مجلة يتم إلزام الأشخاص لتقديم الطلبات إلى الوزارة فهل تصبح العملية مثل عملية نشر الكتاب؛ هل تفكرون بهذا الأمر ؟

ـ –ما أعرفه عن حكومة الرئيس خاتمي ووزير الإرشاد د. مهاجراني أنهم بصدد جعل الصحافة حرة مستقلة تقوم على إمكانات القطاعات الشعبية نفسها بحيث لا يبقى لوزارة الثقافة والإرشاد إلا الإشراف وتنظيم أعمال الصحافة بحيث يكون العمل متناسقا كما وكيفا حسب حاجات الناس بمعنى أنه على المدى البعيد ، فإن الاتجاه هو تحويل كل العمل الصحفي إلى عمل قطاع خاص يخص قطاعات الشعب وليس الحكومة .

ـ يعني قضية أخذ الأذون ستبقى فعلا ؟

ـ باقية حتى تتحقق الإمكانات الطبيعية الموجودة عند الناس . يعني أن الحريات برأينا تؤخذ ولا تعطى .. لا تمنحها حكومة ولا تأتي الصحافة الحرة برأيي بفرمان جمهوري ولا بفرمان جمهوري حكومي . الصحافة يجب أن تنمو وتصل إلى درجة من الرشد بحيث تستطيع أن تأخذ حرياتها ولكن نحن نعتقد أن الصحافة الحرة والمستقلة يجب أن تكون مسؤولة أيضا أمام الناس وليس أمامنا نحن .

ـ ما هو مخطط الوزارة لازدهار الصحافة الإيرانية وهل تنوي وزارتكم إعطاء التراخيص لنشر صحف عربية لعرب الأهواز ؟

ـــ التنوع الثقافي والحضاري يعطي المجال لأن تزدهر فيه الصحافة إذا ما تناسب جهد الموضوع من قبل أصحاب الرأي وأصحاب الفكر بحيث يعكس حقيقة الأوضاع القائمة في إيران؛ بمعنى أن وزارة الثقافة والإرشاد وحكومة الرئيس محمد خاتمي والنظام السياسي الإسلامي يجب أن يعود ـــ وهذا برنامج حقيقي ـــ إلى العصر الأول ، العهد الأول في الإسلام والذي كان فيه المنبر هو سيد الموقف. واليوم المنبر هو الصحافة، هو الإعلام. ولولا الإعلام الحر والقائم بذاته لا نستطيع أن نقوم حتى بالدور الأول الطبيعي من دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ناهيك عن تلبية حاجات أفراد الشعب في ظل الأوضاع المعاصرة التي تحتاج إلى كل أنواع المعلومات وإلى كل أنواع الاتصالات في عصر الاتصالات العالمية، الصحافة يجب أن تكون هي لسان حال الشعب ومنبرا لهم، يجب أن تكون السياسة العامة في الجانب الصحافي على أساس صحافة حرة ، مستقلة وغير مرتبطة بالحكومة ، نحن لا نريد صحافة تمدح الحكومة أو صحافة تذم بعضها البعض .. أي لا تكون صحافة سب وشتائم ولا صحافة مديح يعني لا مديح ولا قدح وإنما نريد صحافة تعطي للخبر دوره الحقيقي، تعطي التحليل السياسي دوره وتعكس حاجات الناس وأفكارهم وطبيعة تنوعهم الثقافي والسياسي يعني أن تعكس حقيقة ما يجري في إيران؛ وهذا يتطلب أن نركز على صحافة المحافظات التي تعكس حقيقة الأوضاع، وإذا كان في محافظة "الأهواز" هناك العرب في ظل الدولة الإيرانية يجب أن يأخذوا حقهم الطبيعي في التعبير عن أفكارهم وكذلك البلوش وكذلك الأكراد وكذلك الآذريين في ظل وحدة قوية متماسكة هي الجمهورية الإيرانية .

ـــ باعتبارك تتابع الصحافة العربية والإيرانية معا، هل يمكنك اجراء مقارنة لهاتين الصحافتين

ـــ الصحافة العربية طبعا هي صحافة متطورة في ملاحقتها للخبر وفي ملاحقتها للتطورات العالمية المتسارعة وهذا يكتب لها ، لأنها استطاعت أن تلاحق إلى حد كبير الحركة العالمية أو حركة التطور العالمي في الإعلام والصحافة، هذا الجانب الأبرز في الصحافة العربية أي أنها " أب تو ديت "يعني استطاعت أن تكون فعلا متناغمة ومنسجمة مع الحدث ومع الخبر العالمي .. في حين يكتب للصحافة الإيرانية أنها صحافة ناقدة ، يندر وجودها في الكثير من بلدان العالم الثالث لأنها تجرح أعمال الحكومة وتشرح رموز الدولة والنظام والسلطة. لا يحدها إلا المحرمات الخاصة بالدين

أو بالدستور .. فهي صحافة نادرة من حيث تشريح السلطة ورموز النظام وكذلك أعمال الحكومة .

ـ لكن كما يبدو أن الصحافة الإيرانية تعتمد في معظم أخبارها على الوكالة الإيرانية للأنباء يعني تبدو كبنت مدللة أو معتمدة نوعا ما على الوكالة ، غير أن الصحافة في العالم العربي ومنها الخليجية تعتمد على شبكة مراسلين خاصين بها في دول العالم.

ـ نعم ما قلته هو الذي ينقص الصحافة الإيرانية .. أي وجود شبكة مراسلين لها في الخارج وينقصها الاعتماد على الخبر الذي يأتي به المراسل أو المحلل السياسي أو الاقتصادي في كل صحيفة، ينقصها الارتباط بشبكة الأخبار العالمية بشكل جيد، ونحن الآن في الوزارة بصدد إعطاء التصاريح وهذا حق طبيعي لكل صحيفة أن يكون لها الاتصال بالقمر الصناعي وشبكة الأنترنيت ، يجب أن نوفر لها كل هذه الإمكانيات لكنني أقول أن هذه الصحافة المدللة الآن سواء من خلال الدعم الحكومي أو من خلال الاعتماد على وكالة الأنباء الإيرانية هي بحاجة إلى أن تنهض بنفسها وتخرج من هذا الدلال الحكومي لا أن تقع في دلال حكومي آخر بحيث تأتي الحكومة لتدعمها بشبكة مراسلين أو بإمكانات ، لأنه عند ذاك ستتحول أيضا إلى صحافة التسبيح بحمد الحكومة. هذه الصحافة لا تكون ناجحة سواء بالدعم أو بالرقابة بل يجب أن تنطلق كل صحافة ناجحة من القطاع الخاص من الاعتماد على ذاتها من أخذ حريتها بنفسها. من الجرأة والشجاعة لتتعاطى مع الملفات المختلفة ومساجلة ومجادلة الحكومة، يجب أن تسألها، يجب أن تلاحقها بالخبر .. يجب أن تأخذه منها بطريقتها الخاصة لتفرض نفسها على الحكومة كما هو حق طبيعي للناس لتقرير مصيرهم ضمن الدستور الإيراني وضمن الحق الإنساني العام .

ـ بعد قيام الثورة الإيرانية لم نشاهد أي رقابة رسمية على الصحافة الإيرانية يعني الرقابة كان معظمها رقابة ذاتية . كل صحيفة حكومية فيها رئيس تحرير يشرف على الرقابة فيها خلافا للنظام السابق الذي كان الأمن يتدخل في الصغيرة والكبيرة وذلك كنا ننتظر أن تزول كل هذه الرقابة نهائيا لكن سمعنا أخيرا أن الدكتور مهاجراني أمر أن تتم قراءة بعض الصحف المحافظة مثل مجلة " صبح " التي تنتقد الدولة بحيث تتم قراءتها في وزارة الإرشاد قبل الطبع ؟

ـ هذا خبر كذبه الوزير وكذبته الوزارة في بيان رسمي صدر من العلاقات العامة. ليس هناك أي طلب من الوزارة ولا من شخص الوزير للاطلاع على ما يكتب في الصحف قبل نشره أبدا، إن الوزارة وحكومة الرئيس خاتمي والدستور الإيراني

كلهم يتفقون بأن ما ينشر في الصحف هو حر مطلق لصاحب الصحيفة يحاسب عليه بعد نشره إذا كان مخالفا للدستور أو الأخلاق العامة في محكمة خاصة. أما أن يطلع أحد على ما ينشر، أنا أعتقد أن هذا أسوأ ما يمكن أن يحصل بالنسبة لأي كاتب أو صاحب قلم وعليه أن يكسر قلمه قبل أن يسلمه إلى أي أحد .

ـ كيف يواجه الوزير مهاجراني التيار المحافظ وخاصة أنه حصل على نسبة ضئيلة من أصوات الثقة في مجلس الشورى الإيراني؛ أعني المشاكل والعراقيل التي يضعها هذا التيار أمامه؟

- الآن ليست هناك مشاكل جدية وحقيقية بين الحكومة والبرلمان في إيران .. هناك جو من الوفاق الوطني العام .. الدكتور مهاجراني يمثل الاتجاه العام الذي تريده الأمة والرأي العام الشعبي .

ـ كيف ترى الصحافة الإيرانية الناطقة بالعربية الصادرة في طهران أعني الصحافة الإيرانية التي تنشر لعرب الخارج ؟

ـ إنها صحافة متواضعة لكن أفادت في مرحلة معينة باطلاع الرأي العام العربي سواء المقيم في إيران أو في الخارج على بعض المنجزات الإيرانية. وباعتقادي أن المرحلة تتطلب صحافة من نوع أرقى بكثير مما هو موجود . المرحلة تتطلب؛ وتطور الثورة الإسلامية في إيران يتطلب أيضا الارتفاع بمستوى الصحافة العربية والصحافة الناطقة بالعربية الصادرة من طهران إلى مستوى أفضل ومستوى أرقى، لأن تحديات المرحلة وحاجات الثورة الإسلامية في إيران وكذلك المنطقة، تتطلب التعاون والالتحام مع دول المنطقة. والوضع العالمي يحتاج إلى صحافة من نوع أكثر تأثيرا وأكثر تخصصا وأكثر حرفية.

ـ كيف يمكن إيجاد علاقات أوثق بين الصحفيين الإيرانيين والصحفيين العرب لأنه حتى الوقت الحاضر لا نرى مثل هذه العلاقات أو أنها ضئيلة جدا ، هل هذا الأمر يسهله تشكيل اتحاد الصحفيين الإيرانيين والذي بدأ خطواته الأولى أو هل عندكم اقتراح خلص في هذا المجال لأن هناك في الواقع فجوة بين الجانبين ؟

ـ أنا شخصيا منذ أن توليت هذا العمل بدأت أفكر في هذا الأمر وقررت أن أكتب إلى كافة المعنيين في المنطقة العربية لدعوتهم إلى تطوير التعاون في مجال الصحافة والإعلام بين إيران والدول العربية وأعتقد أن أفضل وأهم خطوة يمكن أن نأخذها في البداية هو أن نتبادل المعلومات ونتبادل نشر وتوزيع صحافتنا الوطنية في كل بلد .

ـ وعكسها أيضا أي توزع الصحافة العربية في إيران ؟

ـ نعم .. أنا كتبت الآن رسائل إلى كافة الدول العربية، لأنه ليس هناك ما يمنع نشر وتوزيع صحافتهم العربية في كافة أنحاء إيران .

ـ محمد صادق نحن في إيران في الواقع لا نشاهد أي صحيفة أو مجلة عربية ما عدا العالم اللندنية في أكشاك توزيع الصحف .. أنت ترى في شوارع طهران وسائر المحافظات "التايم" و الـ "نيوز ويك" و "دير شبيغل" و "اللموند" وسائر الصحف الغربية والتي تنشر في الدول المسماة بالدول الإمبريالية، لكن لا ترى أي صحيفة عربية تصدر من لبنان أو من القاهرة أو من دول الخليج أو من أوروبا مثلا، فلماذا هذا الانقطاع والفجوة بيننا كإيرانيين وجيراننا العرب ؟

ـ المشكلة حسب تحقيقاتي ودراستي وفهمي وقراءتي لموضوع ومحادثاتي الكثيرة مع عدد من رؤساء تحرير الصحف العربية وكذلك مع الأخوة السفراء العرب المقيمين هنا في طهران اكتشفت أن المشكلة تجارية بحتة يعني ليست هناك دراسة جدوى ولا جهة أخرى الآن قامت بدراسة جدوى هذا الأمر أو قدمت مشروعا عن نشر الصحافة العربية هنا لأنه ليس هناك ما يمنع من نشر وتوزيع الصحافة العربية في كافة أنحاء إيران، في أكشاك المراكز الرئيسية في العاصمة وفي المحافظات. كل ما هنالك لم يتبرع أحد و لم يتقدم أحد للقيام بهذه المهمة سواء القطاع الخاص أو الدول نفسها لذلك أنا كتبت من هنا إلى كافة الدول العربية في أول خطوة أقوم بها ، أنه نحن نود بأن نعلمكم بأن صحافتكم الوطنية باستطاعتها أن توزع وتنشر في كافة أنحاء إيران بدون أي منع قانوني وما عليكم إلا الإقدام على هذه المهمة ونحن نقدم لكم كافة التسهيلات وكذلك سأكتب إلى كافة رؤساء تحرير الصحف العربية أن بإمكانهم توزيع ونشر صحافتهم الوطنية في إيران دون أي عائق قانوني ، وأنت تستطيع أن تعلن من خلال الصحافة العربية أن إيران مفتوحة لكل أنواع الصحافة العربية وأنا عندي تعليمات من وزير الثقافة والإرشاد في هذا المجال .

ـ قبل حوالي سبع سنوات سألت زنكنة، وكان مساعد لوزير الإرشاد آنذاك محمد خاتمي، عن سبب عدم توزيع الصحافة العربية في إيران قال لي وبالحرف الواحد أنه يا أخي نحن لا نريدها لأنها تشتمنا ولهذا لن نسمح لها بالدخول وكلامك في الواقع كلام جديد، يعني في الواقع ستكون القضية هامة أن رأينا بعد فترة الصحف العربية والخليجية هنا في إيران؟

ـــ يا أخي نحن أمة واحدة والمشتركات بيننا كثيرة جدا بل إنها تكاد تكون هي الغالب على حياتنا المشتركة كأمة إسلامية واحدة يجب أن نرى على أكشاكنا في طهران وبكافة المحافظات أنواع الصحف العربية كما تفضلت وأنا أعتقد أنه من الطبيعي أن يذهب الإنسان إلى أي عاصمة عربية ليرى الصحافة الإيرانية سواء الناطقة بالعربية أو الإنكليزية بل وحتى الفارسية موجودة في أكشاكها .. من العيب أن نذهب إلى أوروبا وهي بلاد، ما نقول عنها إنها تعادي الإسلام وتحارب هويتنا وتحارب طموحاتنا الوطنية وهي ربما كذلك تعمل لمصالحها الخاصة، ولكن في كل الأكشاك في فرانكفورت وفي لندن وفي باريس وفي نيويورك نرى الصحافة الإيرانية الوطنية والصحافة العربية وكل أنواع الصحافة في العالم الثالث موجودة يستطيع الإنسان أن يتناولها في نفس اليوم ويتصل بثقافتنا وأفكارنا وبقرائنا ويتصل بحكوماتنا عن طريق هذه الصحافة في حين نحن جيران لا يفصل بيننا لا ثقافة ولا دين ولا تاريخ، بل كل هذه الأمور مشتركة بيننا .. فلماذا لا نطلع على صحافة بعضنا البعض إلا عبر وسائل الإعلام العالمية المشوهة .

ـــ الأمر الملفت للنظر أنه عندنا في إيران الكثير من القراء العرب في العاصمة وفي المحافظات وخاصة العرب في الأهواز، كما وعندنا الإيرانيون الذين يتقنون اللغة العربية أو يتابعونها لغة وأدبا وصحافة في قم وخراسان وأذربيجان وهناك شعراء فرس ينشدون الشعر العربي في هذه المحافظات ، فإذا قمتم أنت والوزير بهذا العمل ستقومون في الواقع بخطوة هامة على طريق التقارب الإيراني – العربي ؟

ـــ أنا أنقل عبر هذه الصحيفة العربية لأقول لكل إخواننا العرب أن هناك أكثر من عشرة ملايين قارىء للغة العربية ـــ كحد أدنى ـــ في إيران. فعلى الأخوة العرب أن يدرسوا الأمر ويهتموا به. فهذه فرصة للتقارب لا ينبغي أن نضيعها، وإن شاء الله نأمل أن يكون الرد إيجابيا ونشهد نوعا من التبادل الصحافي والثقافي بين إيران والعالم العربي.

العرب والإيرانيون :

علاقات ثقافية غير متكافئة

لماذا ليس للعرب حضور فاعل على الساحة الثقافية الإيرانية ؟ وهل هـــو إهمـــال رسمي أو غير رسمي لإحدى المجالات المهمة للعمل العربي ؟ هذه تســـاؤلات تطـــرح نفسها على متابعي ومحبي الأدب والثقافة العربيين في إيران .

ويمكننا القول أنه لولا الوشائج الدينية التاريخية والطاقـــات الكامنـــة والمتجـــددة للإبداع الأدبي العربي لأصبح وضع العرب أسوأ من الباكستانيين أو الصينيين في إيران.

كل يوم ونحن نسمع عن افتتاح صفوف جديدة للغة الفارسية أو مراكز ثقافيـــة في سوريا أو السودان أو لبنان أو بلدان أخرى من العالم العربي ، إذ تنشط إيـــران مـــن خلالها لتؤثر على أذهان الناس هناك ويبدو أنها تواجه إقبالا نسبيا ، فهذه أمور جيـــدة تساعد على تمتين العلاقات الإيرانية — العربية إذا لم تشبها أهداف أخرى غير ثقافيـــة، وشريطة أن تكون من الجانبين؛ لكن ماذا يفعل العرب في المقابل ؟ هل تم افتتاح مركز ثقافي سوري أو مصري أو لبناني في طهران أو المدن الإيرانية الأخرى لـــترويج اللغـــة العربية للهواة ؟ هل هناك ناد أو مركز ثقافي أدبي أو فني أو بحوث ، يجمع بين جدرانه الإيرانيين من هواة الأدب العربي المعاصر ؟

لقد تم افتتاح مركز ثقافي سوداني في طهران قبل عام أو عامين، غير انه اغلق منـــذ شهور بسبب الضائقة المالية، كما قال لي السفير السوداني في طهران ، وحتى عندمـــا كان مفتوحا لم نر له أي نشاط ملحوظ في حين نسمع عن نشاط المراكـــز الثقافيـــة الإيرانية في الخرطوم وبعض المدن السودانية الأخرى وفقا للاتفاقيات الثنائية الموقعة بين البلدين ومن وجهة نظري الشخصية فإن هناك إهمالا عربيا ـــ رسميا وغير رسمـــي ـــ للساحة الثقافية في إيران وأعني الأدب والفن والصحافة وما شابه ذلك .

ويبدو أن السفارات العربية وملحقاتها الثقافية تهتم بالعلاقات السياسية أكثر من أي مجال آخر مع أننا نعلم جيدا أن العلاقات السياسية والاقتصادية تتغير تبعا للعلاقة بين الحكومات فيما لا يغير شيئا، العلاقات الثقافية المتينة بين الشعوب حتى لو انقطعت العلاقات السياسية بين الدول والحكومات .

إن هنالك في أقل تقدير نحو من ٧ إلى ١٠ ملايين شخص يقرأون العربية في إيران ، بمن فيهم العرب في محافظة خوزستان " الأهواز " والمهجرين العراقيين في طهران وقم والأهواز والمدن الإيرانية الأخرى وجاليات الدبلوماسيين العرب في طهران وطلبة العلوم الدينية وفروع الأدب واللغة العربية في الجامعات وسائر فئات الشعب الإيراني المتابعين للأدب والثقافة العربيتين وهم عدد لا بأس به في طهران وأذربيجان وخراسان وكردستان وشيراز وباقي المحافظات الإيرانية. والسؤال هو ماذا قدم العرب لهؤلاء الناس إذا استثنينا بعض الجهود التي قام بها بعض العراقيين المهجرين بما فيها إنشاء دور النشر والمكتبات المتواضعة في قم ومكتبتين أو ثلاث في أزقة طهران الشعبية، لا نرى أثرا للكتاب والصحافة العربية لا في طهران ولا في الأهواز ولا في أي مدينة كبيرة أخرى، صحيح أن هناك بعض المعوقات البيروقراطية في إيران تعترض الطريق، كأي دولة عالم ثالث، لكن لكل أمر حلولا ، وانتهز الفرصة لأثمن هنا دور مكتبة الشريف الرضي في قم للأخوة العراقيين والتي قامت بطبع كتب عربية قيمة منها كتب د. علي الوردي وكتب للشعراء العرب الأهوازيين. إن هذه الساحة مهيأة للحضور الثقافي العربي أكثر من أي وقت آخر فالحكم الإسلامي وبالرغم من عراقيل القوميين المعادين للعرب والمتغلغلين في الجهاز البيروقراطي، يحبذون نوعا ما عرض الأدب والثقافة العربية الإسلامية في إيران، ولا ننكر أن هناك مبادرات وجهود تبذل لتوطيد العلاقات الثقافية بين العرب وإيران مثل مبادرات اتحاد الكتاب العرب في سوريا ومؤسسة البابطين ورابطة المفكرين العرب في الأردن غير أنها تبقى ـــ ولحد الآن ـــ مبادرات لا غير ، ناهيك عن اهتمام هذه المؤسسات غير الحكومية بالتنسيق المطلق مع الهيئات الحكومية ووزارة الإرشاد وإهمال المؤسسات المدنية والأشخاص المهتمين بالأدب العربي مثل اتحاد الكتاب الإيرانيين والمترجمين القدماء للأدب العربي الذين مثلوا هذا الأدب في أحلك الظروف في عهد الشاه وبعده وقاموا بترجمة الشعر والرواية والنقد والمسرح والمقالات السياسية والاجتماعية وحتى الأدب الكلاسيكي العربي إلى الفارسية. وفي الواقع، فإن هؤلاء كانوا سفراء العرب الثقافيين في إيران عندما كانت السفارات والملحقات الثقافية اسما بلا مسمى . ترى ماذا عملت الملحقات الثقافية لعشرين دولة

عربية لها ممثليات في إيران؟ هل أعانت باحثا أو مترجما أو أي شخص مهتم بالقضايا الأدبية والثقافية العربية في إيران؟ وهاهي السفارة الفرنسية وبالرغم من إغلاق مكاتب تدريس اللغة الفرنسية بعد الثورة ، تمارس نشاطها عبر باب آخر إذ أنشأت " المركز الفرنسي للدراسات الإيرانية" الذي يجمع المثقفين الدارسين في فرنسا من باحثين ومترجمين وأساتذة جامعات وغير ذلك وتقدم المنح الدراسية لذوات الأدب الفرنسي . وهذا ما تقوم به إيطاليا أيضا حيث لها بالغ الأثر على الأوساط المثقفة في إيران ، وقبل إغلاق السفارة الأمريكية وعندما كانت الساحة مفتوحة لها في إيران ـ كما هي حاليا للعرب ـ كانت تصدر مجلة اسمها "مرزهاي نو" أي (الحدود الجديدة)، وكانت توزع في كافة أنحاء إيران، وتدير عدة مؤسسات لتعليم اللغة مثلما كانت تعمل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وألمانيا والصين والباكستان ودول أخرى .

ماذا يفعل العرب وسفاراتهم ـ في هذا المجال ـ حيث تتعزز العلاقات السياسية والاقتصادية يوما بعد يوم ؟ هل أنشأوا مركزا للدراسات الإيرانية ـ العربية ؟ هل أنشأوا مركزا لتدريس لغتهم ولغة القرآن ؟ هل بادروا إلى إنشاء إذاعة فارسية موجهة إلى الإيرانيين؟ والجميع يعلم عن فاعلية مثل هذه الإذاعة وهذا ما أكدته الإذاعة البريطانية بنحو ٣٠ مليون مستمع يوميا (من أصل ستين مليون إيراني) وإذاعة صوت أمريكا بنحو عشرين مليون وإذاعة فرنسا الدولية بنحو ١٥ مليون وإذاعة إسرائيل بحوالي ١٠ ملايين والأرقام هي غير رسمية لكنها قريبة للواقع الذي نشاهده هنا. وفي مجال عرض الكتب العربية فإذا استثنينا المعرض الدولي للكتاب في طهران والذي يقام بمبادرة إيرانية في نيسان (أبريل) من كل عام وله دوره في الترويج للكتاب العربي في إيران، لا يوجد أي نشاط عربي ـ لا رسمي ولا غير رسمي ـ في هذا المجال ، وكم تمنى محبو الأدب والثقافة العربيين أن تبادر مؤسسة عربية ثقافية ومن الأموال الطائلة لبعض العرب إلى إنشاء مركز كبير جدير بهذا الأدب وهذه الثقافة ليعرض أحدث الكتب وأهم الصحف والمجلات العربية، في حارة جامعة طهران وهي حارة تقع فيها العديد من المكتبات الفارسية وغير الفارسية أو في مكان آخر من العاصمة الإيرانية، حيث يمكن أن يتطور هذا المركز ويفتح له فروعا في المدن الإيرانية الأخرى كالأهواز وقم .

وماذا نقول حين تعرض الأفلام السينمائية الإيرانية في القاهرة وتونس ودمشق وقطر ولا نرى أي فيلم عربي يعرض في دور السينما الإيرانية ؟ والإيرانيون الكبار في

السن ما يزالون يتذكرون الأفلام المصرية التي كانت تصل إيران في الخمسينات، حيث انقطعت بعد القطيعة السياسية في عهد عبد الناصر والشاه .

وينبغي أن نذكر أن معظم الملتقيات السياسية والفكرية الرسمية قد أقيمت بمبادرات من وزارتي الخارجية ووزارة الإرشاد الإيرانيتين ولا نرى مثل هذه المبادرات من العرب إلا القليل ، كما نؤكد على دور المؤسسات الثقافية والفنية والأدبية غير الرسمية في العالم العربي لما فيها من تأثير على الرأي العام الإيراني ونطلب، في الختام، من العرب — مؤسسات رسمية وغير رسمية — ألا يضيعوا هذه اللحظة التاريخية الملائمة لتحسين العلاقات الإيرانية — العربية والتي لا مثيل لها في القرن الحالي ، ليهتموا بما ذكرناه. وهي حاجة ماسة تمليها الظروف الجديدة ولا يمكن إغفالها وأن التغافل عن هذا الأمر سيضر العرب أكثر من الإيرانيين في المدى البعيد إذا كثر المنافسون من غربيين وآخرين.

أخطاء النظام الإسلامي يكرر أخطاء الشاه في إيران

الدكتور إبراهيم يزدي الأمين العام لحركة حرية إيران في حديث مع يوسف عزيزي

قال الدكتور إبراهيم يزدي الأمين العام لحركة حرية إيران وأحد زعماء المعارضة البارزين أن التفريق بين القوميات في إيران عمل ضد الدستور الإيراني الذي ينص على عدم التمييز وأن ما يجري حاليا هو موقف سياسي ويجب أن يسأل الحكام الإيرانيون عن ذلك الموقف . وأضاف يزدي في حديثه، أن المشكلة الآن في إيران ليس قمع القوميات غير الفارسية فقط بل إن القمع يشمل كافة الإيرانيين .

ويداوم يزدي في مكتب الحزب الواقع في شارع "مطهري" شمالي طهران حيث تحتفظ الحركة بهذا المكتب منذ حوالي عشرين عاما بالرغم من كافة الضغوط التي واجهتها إبان الحرب العراقية الإيرانية بسبب معارضتها الحازمة لاستمرار الحرب بعد أن استعادت إيران مدينة خور مشهر / المحمرة عام ١٩٨١ .. واعتقلت السلطات الإيرانية وبسبب هذه المعارضة عددا من علماء الحركة لفترات مختلفة. وتسلم د. يزدي قيادة الحركة عام ١٩٩٣ من المهندس مهدي بازرغان مؤسس الحركة في مطلع الستينات بعد وفاته في نفس العام حيث كان الثاني رئيسا للوزراء في الحكومة المؤقتة التي شكلت عام ١٩٧٩ والأول وزيرا للخارجية . وطورت الحركة نشاطاتها بعد انفتاح الأجواء السياسية في عهد الرئيس محمد خاتمي . ويبلغ يزدي ٦٩ عاما من العمر وهو من مواليد مدينة قزوين حيث درس الابتدائية والثانوية في طهران وحصل على درجة الدكتوراه في الصيدلة من جامعة طهران عام ١٩٥٤. وناضل ضد حكم الشاه وبين صفوف الوطنيين الإيرانيين المؤيدين للزعيم الوطني د. مصدق غير أنه هاجر من البلاد عام ١٩٦٠ ليستقر في الولايات المتحدة الأمريكية وليشارك في دورات

تدريبية عسكرية وسياسية في مصر في عهد عبد الناصر وبين صفوف حركة أمل بلبنان في عهد موسى الصدر . وكان على اتصال مستمر مع آية الله الخميني حين كان في النجف، وكان مرافقه الخاص في جولته من العراق إلى الكويت ومنها إلى باريس . غير أن يزدي وبازرغان وفروهار وسائر أعضاء الحكومة المؤقتة أصبحوا من المغضوب عليهم من قبل السلطة الإسلامية بعد سقوط الحكومة إثر احتلال السفارة الأمريكية بطهران في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٧٩ . وتعتبر السلطة الإيرانية وخاصة التيار المحافظ فيها حركة حرية إيران منافسا قويا لها يمكن أن يتحول يوما ما إلى بديل قانوني لها بسبب نشاطاته بين المثقفين .

ـ السيد يزدي كيف ترى اصطفاف القوى والفصائل السياسية ونحن على أعتاب الدورة السادسة للانتخابات البرلمانية في إيران ؟

ـ بسم الله الرحمن الرحيم أشكرك على هذه المقابلة وأقول أننا يمكن أن تنظر إلى اصطفاف القوى السياسية من زوايا مختلفة . نحن ومن جهة نصنف الفصائل والقوى السياسية إلى قسمين: قوى وأحزاب تقع داخل إطار النظام وقوى تقع خارج هذا الإطار .

وقد شاركت القوى والفصائل السياسية الخارجة عن إطار السلطة، في الثورة وساهمت بصورة فاعلة وبناءة في هذه الثورة غير أنها تقع حاليا خارج إطار السلطة . وتضم هذه الفصائل القوى القومية والقوى القومية ـ الدينية ومنها حركة حرية إيران . وتعتبر القوى الواقعة في إطار السلطة، هذه الفصائل بأنها غير صديقة ولا تعترف بأحزابها وتحرمها فعلا من حقوقها الاجتماعية وتضايق الصحف التي تنشر شيئا قليلا أو كثيرا عن هذه الأحزاب . وقد قدم المرحوم المهندس مهدي بازرغان هذه الفصائل بأنها إيرانية، مسلمة ومؤيدة لمصدق حيث تعتبر د. مصدق بطلا للكفاح ضد الإمبريالية البريطانية في الماضي. وأما في السياسة الداخلية تعتقد هذه الفصائل باستراتيجية النضال السياسي العلني والقانوني لإيجاد تحولات تدريجية للوصول إلى التنمية السياسية وإرساء المجتمع المدني والقوننة والقانونية .

ـ وهل يعني هذا أنكم تعتقدون بالجمهورية الإسلامية في إيران ؟

ـ نعم ، نحن، وكافة القوى القومية والدينية، نعتقد بالجمهورية الإسلامية في إيران . لكننا نقول أن للإسلام جذورا في إيران تصل إلى ١٤٠٠ عاما غير أن قضية الجمهورية ظاهرة حديثة في إيران . فعليه لا يمكن للأعداء والمهاجمين أن يسددوا

الضربات للإسلام بجذوره الألف وأربعمائة سنة لكن الجمهورية هي نبتة جديدة بحاجة إلى الصيانة والمساندة والمتابعة أكثر من الإسلامية . لهذا نحن نؤكد على ماهية الجمهورية في نظامنا السياسي ونلتزم بمقولتي الجمهورية والإسلامية معا .

ـ سبق وأن اقترح المهندس بازرغان في مطلع الثورة بأن يضاف لفظ الديمقراطية إلى الجمهورية الإسلامية، هل لا يزال تعتقدون بأن تكون الديمقراطية بعدا مكن أبعاد الجمهورية الإسلامية في إيران ؟

ـ نحن نعتقد بأنه لا معنى للجمهورية بغير الديمقراطية ولا يمكن أن تكون دونها فالجمهورية بمعناها الحقيقي تشترط بالديمقراطية، بل ونعتقد أن الإسلام أيضا ينبغي أن يكون ديمقراطيا إذا شئنا صيانة قضية الإسلامية في الجمهورية .

ـ لكن هناك جمهوريات استبدادية في العالم ؟

ـ نعم، توجد مثل هذه الجمهوريات لكن لا يمكن أن نصفعها بالإسلامية أو الديمقراطية وفي مجتمع يشكل المسلمون ٩٧ في المائة من سكانه ولصيانة ركن الإسلامية في نظامه ينبغي أن يكون النظام ديمقراطيا ليحافظ الشعب المسلم على جمهوريته .

ـ كيف ترى حرية الأحزاب في إيران من هذه الزاوية أي زاوية الديمقراطية ؟

ـ نحن نعتقد بحرية كافة الأحزاب السياسية وحقها في النشاط إذا كانت ملتزمة بالدستور .

ـ وهل تعتقدون بأن الشيوعيين أيضا يستطيعون أن يشكلوا حزبا في إيران كما هو موجود في سوريا والأردن ؟ وهكذا القوميات الإيرانية غير الفارسية مثل الكرد والعرب والترك ؟

ـ إن القوميات غير الفارسية في البلاد هي إيرانية كما أن الفارسي إيراني لا يوجد شيء في الدستور الإيراني ولا في فكرنا السياسي والديني وغير الديني ليدعي أن في إيران ، الفرس أكثر إيرانية من الكرد لتكون لهم حقوق أكبر حيث أن الجميع سواسية أمام القانون .

ـ عندنا وثائق حول الأحزاب الشيوعية في إيران مثل تصريحات الإمام الخميني في باريس أو مقابلاته حيث صرح أن الماركسيين أحرار في إيران ويستطيعون العمل فيها شريطة أن يلتزموا بالدستور ويعملوا في إطار الدستور .

ـ الدستور يسمح وهم يمنعون

ـ جيد هل يسمح للقوميات الإيرانية غير الفارسية مثل الكرد والعرب والترك وأمثالهم أن يشكلوا أحزابهم وجمعياقم السياسية والمهنية والقومية الخاصة بهم في إطار الدستور الإيراني؟

ـ لا حرج في ذلك ، لأن الدستور الإيراني لا يؤكد أن تكون الأحزاب شاملة وعلى مستوى إيران كله، وكما نستطيع نحن تشكيل جمعياتنا المهنية والخاصة يمكن للقوميات أيضا أن تقوم بتشكيل مثل هذه الأحزاب والجمعيات لتكون لها أهداف ثقافية وقومية ودينية وغير ذلك .

ـ لكن لماذا تطرح العراقيل أمام هذه القضايا التي لا تغاير الدستور الإيراني ولم تطبق بل ويتم قمع هذه القوميات ؟

ـ فهذه قضية سياسية وليست قضية قانونية حيث لا يوجد أي فرق بين قومياتنا في الدستور . وأما لماذا يقوم حكامنا بقمع بعض القوميات فهذا سؤال يجب أن يوجه إلى الحكام أنفسهم ، لكن القمع لا ينحصر بالقوميات الإيرانية فقط بل هناك حاليا وجوه ترزح في السجون كمحسن كديور وعبد الله نوري وآخرون لم يسجنوا بسبب أنهم أكراد وأتراك .. فالمشكلة عندنا الآن في إيران ليس قمع القوميات غير الفارسية فقط بل إن القمع يشمل كافة الإيرانيين .

ـ هل سيزكيك مجلس صيانة الدستور – الذي يسيطر عليه المحافظون – وباقي مرشحي حزبكم للبرلمان القادم ؟

ـ أستبعد ذلك، فقد قامت وزارة الداخلية بخطوة جيدة مؤخرا عندما طلبت من القضاء ليعلن عن أسماء الأحزاب التي لا تعتبرها السلطة القضائية أحزابا قانونية حيث ووفقا للقانون على هذه السلطة أن تنظر في وضع كافة الأحزاب في محكمة عادلة وذلك في ضوء المادة ١٦٨ من الدستور الإيراني لتقوم بحظر هذا الحزب أو ذاك غير أن الأحزاب الإيرانية حاليا لم تحاكم في المحاكم القضائية ليشملها مثل هذا الأمر وباعتقادنا أن هذه خطوة إيجابية قامت بها وزارة الداخلية حيث ستساعد على شفافية أوضاع الأحزاب السياسية في إيران .

ـ الأخ يزدي كيف كان تسجيلكم للترشيح في الانتخابات النيابية هل سجلتم كأفراد أو كأعضاء حزب حركة حرية إيران ؟

ـــ كما تعلم إن الانتخابات في إيران ليست حزبية، غـــير أن هنـــاك أسـئلة في استمارات وزارة الداخلية تسال المرشحين عن انتماءاتهم الحزبية . فمن الطبيعي أن يرد أعضاء حركة حرية إيران بالإيجاب على هذا السؤال لأن الجميع يعرفنـــا بـــالصدق ، فعليه كان جوابنا قدمت حركة المقاومة الإيرانية عام ١٩٥٦ هدية إلى مدينة بور سعيد لمقاومتها العدوان الثلاثي. والهدية كانت صورة شخصية للدكتور مصدق تحمل توقيعه وسجادة شعبية بالإيجاب على السؤال وأكدنا انتسابنا لحزب حركة حرية إيران.

ـــ لقد أخذ المحافظون يشنون عليكم الهجمات من منصات صلاة الجمعة ومواقع أخرى وذلك خشية تغلغل حزبكم بين صفوف الطلبة في بعض الجامعات . لقد أبدى المحـافظون – ومن قبلهم بعض الفصائل اليسارية في الماضي – عن شكوكهم حول علاقاتكم المشبوهة مـع الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ماذا تقولون لنا في هذا المجال ؟

ـــ جيد انك أشرت في مقدمتك إلى أن سبب هذه الهجمات، هي ترحيب الجيـــل الصاعد الشباب والطلبة والجامعيين لحركة حرية إيران وخشية المحافظين .

لنا قاعد بين الشعب برغم التضليل . فقد مضى عشرون عاما من قيام الثـــورة في إيران حيث قامت السلطة الحالية بشن الهجمات المتواصلة ضد حركة حريـــة إيـــران مستفيدة بذلك من كافة إمكانياتها في الإذاعة والتلفزة والمساجد والمنابر والصحف التي تملكها. لكن وبالرغم من كل هذه الهجمات تتمتع حركة حرية إيران بقاعدة جيـــدة جدا بين الشباب. تقلق هذه القضايا المحافظين وأما الذرائع الـــتي يطرحونهـــا حـــول علاقات الحركة مع الأمريكيين فهو كلام لا أساس له من الصحة فقد كانت لحركـــة حرية إيران علاقات مع الأمريكيين حينما كانوا أعضاء في مجلس قيادة الثورة وذلك في الشهور الأخيرة قبل قيام الثورة في إيران . فقد كان لمجلس قيادة الثورة علاقات معـهم في طهران وفي باريس حيث قمت بتسجيل جميع هذه الأشياء في مذكراتي .

وقد قام المرحوم المهندس مهدي بازرغان بتشريح جميع هذه القضايـــا في مقابلـــة متلفزة أجراها في كانون الأول ديسمبر عام ١٩٧٩ ، إذ كانت مثل هذه الاتصـــالات ضرورية لقيام الثورة حيث صادق عليها مجلس قيادة الثورة آنذاك. فعليـــه لا صحـــة لبعض هذه الأمور حيث تتعلق بما قبل قيام الثورة في إيران وذلك عندما اقتنعنا بضرورة مثل هذه الاتصالات والمباحثات مع الأمريكيين . بعد قيام الثورة أيضا لم يطرح أحـــد موضوع قطع العلاقات مع أمريكا . فقد كنت وزيرا للخارجيـــة في أول حكومـــة تشكلت بعد الثورة ؛ إذ لم يطرح أحد موضوع قطع العلاقات مع الولايات المتحـــدة

الأمريكية، لا المرشد الثورة آنذاك آية الله الخميني ولا مجلس قيادة الثورة ولا الحكومة المؤقتة ولا أي مسؤول آخر. وقد سألت الإمام الخميني مرة عن رأيه في قطع العلاقات مع أمريكا فقال لي عليكم بسياسة الـ "بين بين" معهم .

ـ هناك رأي يقول أن مفاوضات تمت بين بازرغان وأردبيلي وبهشتي ـ وكلهم أعضاء في مجلس قيادة الثورة ـ مع مسؤولين أمريكيين وخاصة مع الجنرال "هايزر" قبل قيام الثورة بهدف الحيلولة دون تعميق جذور الثورة وسيطرة الفصائل اليسارية والراديكالية العلمانية على شؤونها ماذا تقول لنا في هذا المضمار ؟

ـ وفقا لمعلوماتي لم يلتق الجنرال هايزر مع أي من هؤلاء الأشخاص، فلم يلتق في زيارته لإيران في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٧٩ المهندس بازرغان ولا الشيخ آية الله أردبيلي . كما نفى المرحوم بهشتي مثل هذا اللقاء فأنا لا أتصور أن هذه اللقاءات كانت تهدف للحيلولة دون تقدم الفصائل اليسارية المتطرفة والثورية في إيران . فلم تنشر مفاوضات آية الله بهشتي مع ساليوان (السفير الأمريكي عشية الثورة في إيران) في أي مكان غير أن مفاوضاتنا مع الأمريكيين في باريس ومباحثات المهندس بازرغان وآية أردبيلي مع الأمريكيين كلها قد انتشرت .

ـ نقلت مرة عن السيد رفسنجاني قوله عام ١٩٨ : "إننا لم نرتكب أخطاء الشاه أواخر حكمه ولا نفتح الأجواء السياسية ولا نمنح الحريات للشعب" فوفقا لهذا الكلام وأداء رفسنجاني في السلطة خلال الحقبتين المنصرمتين كيف تقيمون حضوره لخوض الانتخابات النيابية في شباط (فبراير) القادم ؟

ـ لقد كنت أنا والمرحوم بازرغان والمهندس صباغيان عنده عندما تفوه بهذا الحديث حيث قلت له نحن نأمل بألا تكرروا أخطاء الشاه أيضا . فكنت أعني أن هناك فرصا سنحت للشاه كي يقوم بالإصلاحات وإصلاح الأمور ليحول دون تفاقم الأوضاع؛ لكن وللأسف فقد أخذ هؤلاء يرتكبون أخطاء الشاه ويكررونها غير أن هناك أبعادا لعودة رفسنجاني إلى ساحة الانتخابات . أو لا يحق له وكمواطن أن يشارك ويترشح لكن إذا أراد أن يتحرك وفقا للمحاور التي كان يتحرك وفقها سابقا فلا ريب أنه سيضر بعملية التنمية السياسية في إيران حيث تختلف حاليا ظروف مجتمعنا مع ظروفه في الماضي أي قبل انتخاب خاتمي رئيسا للجمهورية .

فهل يعتقد السيد رفسنجاني حقيقة بالتنمية السياسية أم لا ؟ فماضيه يؤكد على عدم اعتقاده بهذا الأمر فإذا أراد رفسنجاني أن يتقدم ويطرح برامجه السابقة لم ترحب به الجماهير دون شك .

ـــ ما رأيك حول ترشيح عبد الله نوري ، فهل يزكيه مجلس صيانة الدستور ؟

ـــ أنت تعرف أن رفسنجاني وبعد ولوجه معمعة الانتخابات مضطر لكسب دعم القوى الإصلاحية لأنه سبق وأكد أن موقعه السياسي هو فوق الأجنحة والتيارات السياسية غير انه وحتى هذه اللحظة لم يتلق أي دعم من قبل الفصائل السياسية ما عدا الأجنحة المحافظة وحزب كوادر البناء حيث إذا استمرت الأوضاع بهذا الشكل فلا شك أنها هزيمة مشينة لرفسنجاني ونوع من التقهقر له . فعلى رفسنجاني ولكسب مساندة القوى الإصلاحية المشاركة في السلطة أن يدفع ضريبة هذا الأمر . يبدو أن رفسنجاني وعد بإطلاق سراح كرباسجي وكديور وعبد الله نوري من السجن والسماح لبعض الصحف المحظورة بالعودة الى الصدور كصحيفة سلام ونشاط وجامعة وطوس . فإذا نجح رفسنجاني بتنفيذ وعوده هذه فإنه سيدفع ضريبة هذا الأمر

ـــ هل ينفذ وعوده قبل الانتخابات أو بعدها ؟

ـــ من الطبيعي أن يكون تنفيذها قبل الانتخابات فإذا حقيقة كان رفسنجاني قد تفوه بهذه الوعود وقام بنوع من الوساطة السياسية وراء الستار فلا استبعد ولوج عبد الله نوري الحملة الانتخابية وتزكيته من قبل مجلس صيانة الدستور . لكن إذا لم تتم الاتفاقات وراء الستار فلن يزكي المجلس عبد الله نوري حتى لو أطلق سراحه لأن الأجهزة القضائية لم تبرم حكمها حتى الآن . فأحد حججي أنه إذا دخل نوري ـــ وبوجود رفسنجاني ـــ الحملة الانتخابية تظهر الشواهد كلها أن نوري سيصبح النائب الأول في طهران .

ـــ هناك سؤال عام يا دكتور، كيف ترى مستقبل إيران السياسي؟ لقد طرح المحللون ثلاثة خيارات:

انقلاب عسكري مدعوم من قبل المحافظين ٢) استمرار الديمقراطية الخاتمية . ٣) سيطرة القوميين الفرس على السلطة وتكرار الأوضاع السائدة في يوغسلافيا والعراق والاتحاد السوفياتي السابق وأندونيسيا في إيران . فأي خيار محتمل برأيك ؟

ــ أنا متفائل إزاء الوضع في إيران . فقد كانت الثورة في ١١ شباط ١٩٧٩ ثورة شعبية أثرت بصورة عميقة على مجتمعنا حيث لم يتمكن أحد أن يزيل هذه التأثيرات . فلهذا أنا متفائل إزاء مستقبل إيران والديمقراطية فيها ومستقبل الجمهورية الإسلامية في إيران . فقد أظهرت الانتخابات الرئاسية الماضية دور الجماهير عندما تنزل الى ساحة العمل السياسي وتؤثر بأصواتها . غير أن الانتقال من هذه المرحلة وتثبيت عملية التنمية السياسية سيواجه بعض المشاكل . فقد أحدث مجيء خاتمي إلى السلطة نوعا من التوازن السياسي الهش حيث ينبغي تثبيت هذا التوازن وسيتم تثبيته دون شك. غير أن العملية لن تكون دون ضريبة. فعلى شعبنا أن يكون مستعدا لدفع هذه الضريبة، وبرأيي أنه مستعد لذلك . فالتيارات اليمينية والمحافظة تبذل قصارى جهدها لعرقلة عملية التنمية السياسية لكننا إذا نظرنا إلى العامين المنصرمين نرى أن أعمالهم هذه والتي كانت تستهدف عرقلة مسيرة خاتمي أضرت هذه التيارات، وقد دفعوا ثمنا باهظا في محاسباتهم للإيرادات والنفقات. انظر إلى الاغتيالات السياسية وأحداث الحي الجامعي وإغلاق الصحف. فكل خطوة من هذا النوع كان لها ثمن باهظ . فعليه وبعد مراجعة حساباتهم أدرك المحافظون أن هذه الأمور لم تكن لصالحهم . ووفقا لهذه الأدلة أرى أننا وبهذه المشاكل سندفع الضرائب غير أننا سنخرج بنجاح من هذه الأزمة في النهاية

ــ هل يعني أنكم تعتقدون باستمرار فترة الديمقراطية بالطريقة الخاتمية . وكمرحلة انتقالية .

ــ نعم ستنتصر الديمقراطية . نحن الآن نعيش في فترة الجمهورية الثالثة في إيران والتي بدأت برئاسة خاتمي حيث سنصل إلى توازن مستقر .

ــ واحتمال الانقلاب العسكري كيف ؟

ــ كلا . لا أرى أي احتمال لوقوع انقلاب عسكري في إيران .

ــ وخطر القوميين الفرس ؟

ــ لا أرى أي تشابه بين المشكلة الإيرانية ومشاكل العراق ويوغسلافيا .. لأن الأتراك الآذريين عندنا يلعبون دورا أساسيا جدا في المنظومة الاقتصادية والسياسية والثقافية في إيران ونحن لا نواجه تلك المشاكل التي تواجهها الأقليات القومية في يوغسلافيا . وبرأيي أن الأكراد في إيران أيضا لا يعانون مثل هذه المشاكل . فإذا نجح

الرئيس خاتمي بالتقدم في مسيرته وتطبيق المادة السابعة من الدستور الإيراني بشكلها الصحيح ستتم معالجة العديد من مشاكلنا مع بعض القوميات في إيران .

ـــ لا شك أن أية قومية مسيطرة تدعي عدم وجود مشاكل مع القوميات الأخرى غير أن تاريخ إيران الحديث وما حدث في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين في أذربيجان وكردستان وما حدث في مطلع الثورة في هذه المناطق نفسها ومنطقة التركمان في شمالي إيران والعرب في خوزستان / الأهواز / يشير إلى وجود بعض المشاكل القومية في هذه المناطق . ومصادقة مجلس الخبراء على المادة ١٥ من الدستور الإيراني تثبت هذا الأمر .

يبدو أن معظم سياسات حركة حرية إيران تجاه القوميات غير الفارسية كانت قائمة على الذرائعية، مثل زيارة أمينكم العام ورئيس الحكومة المؤقتة المرحوم بازرغان ومساعده أمير انتظام إلى خورمشهر / المحمرة/ عام ١٩٧٩ ولقاءهما مع الزعيم العربي الشيخ شبير الخاقاني وزيارة وفد الحكومة المؤقتة إلى كردستان في العام نفسه .. يبدو أنكم لا تملكون برنامجا مدونا حول القوميات في إيران ، فيما نرى مثل هذا البرنامج عند حركة المسلمين المناضلين . ما رأيكم في ذلك ؟

ـــ هناك فرق بين الذرائعية و فقدان البرامج .

ـــ نحن لم نرى أي برنامج لكم في هذا المجال .

—كان لنا برنامج في هذا المجال في الحكومة المؤقتة وفي حركة حرية إيران؛ غير أن مقومات هذا البرنامج هي ذرائعية . فقد واجهت الحكومة المؤقتة المشاكل بعد قيام الثورة، ليس في كردستان فقط بل في محافظات بلوشستان والتركمان وخوزستان / الأهواز / وأماكن أخرى . كنا نعتقد في الحكومة المؤقتة ولا نزال نؤكد هذا الاعتقاد، إن معالجة المشاكل في المجتمعات القومية لا تتم بالتنكيل واستخدام القوة القمعية . مع الأسف كانت السلطة المركزية وخلال ستين عاما من الحكم البهلوي تستخدم لغة القوة تعاملها مع الأكراد . نحن وبعد قيام الثورة كنا نعتقد بعدم استخدام هذه اللغة بل وينبغي استخدام لغة أخرى تتلاءم مع ظروف الثورة حيث بحثنا في هذا الأمر .

فكنا نؤكد ونقول في الحكومة المؤقتة ونقول حاليا في حركة حرية إيران انه وبتطبيق مادة المجالس البلدية المنصوص عليها في الدستور يمكن معالجة المشاكل الراهنة حيث إذا اختار الأكراد على سبيل المثال مجلسهم البلدي في مدينة مهاباد سيديرون مدينتهم بأنفسهم .

ـــ أفلا ترى أن عدم تطبيق المادة ١٥ من الدستور والتي تنص على تدريس لغات القوميات غير الفارسية في المدارس الابتدائية وإصدار الصحف بهذه اللغات هي السبب لقسم من هذه المشاكل ؟

ـــ لا يوجد فرق بين قومياتنا في الدستور ولكنها قضية سياسية وليست قانونية. وأما لماذا يقوم حكامنا بقمع بعض القوميات فهذا سؤال يوجه إلى الحكام أنفسهم. نحن نساند تطبيق المادة ١٥ من الدستور الإيراني حيث كنا من الأوائل الذين طبعنا الكتب باللغة الكردية في كردستان إيران ولا نرى في إحياء ثقافة الأقليات القومية واستخدامهم للغتهم وموسيقاهم وفنونهم مساسا لوحدة الأراضي الإيرانية .

ـــ لكن يبدو أن القوميات غير الفارسية لا تعتبر أقليات قومية لأن الفرس ووفقا لآخر الإحصائيات المتينة لا يشكلون إلا ٥١ في المائة من سكان إيران فيما تشكل باقي القوميات ٤٩ في المائة من السكان .

ـــ لا فرق بين الأقلية والأغلبية . نحن نعتقد أنه من حق قومية كالبلوش وهي قليلة العدد قياسا على كل سكان إيران أو من حق التركمان والعرب ـــ وهو حقهم المدني ـــ أن يتحدثوا ويكتبوا ويقرأوا بلغتهم القومية ويحيوا فنونهم وموسيقاهم . إذ على الحكومة المركزية أن تحيي تراث هذه القوميات. أنا أعتقد جدا بتأسيس قسم خاص لتدريس اللغات البلوشية والتركية والكردية ـــ والعربية موجودة ـــ في بعض الجامعات الإيرانية وباللغات الأقليات الدينية كالأرمن، لأنه إننا عندما نتحدث عن الثقافة الإيرانية فهذه الثقافة تضم جميع هذه الثقافات القومية .

ـــ يبدو أن الحكومة المؤقتة لم تتمتع بانسجام كامل بين أعضائها آنذاك . أذكر نموذجا لذلك وهو موقف الحكومة المؤقتة تجاه العرب في محافظة خوزستان/ الأهواز / فالفئات الدينية في حركة حرية إيران كانت تتعاطف مع اللغة العربية أما الفئات القومية فكانت تعاديها. لعله ليس من الصواب أن ننتقد شخصا كأمير انتظام مساعد رئيس الوزراء آنذاك والمسجون حاليا لكن ينبغي أن نقولها للتاريخ بأن مواقفه تجاه العرب في الأهواز كانت مدمرة جدا حيث صرح في نيسان (إبريل) ١٩٧٩ قائلا بالحرف الواحد: "أننا سنلقي عرب خوزستان في البحر إذا أصروا على إحقاق حقوقهم". ويبدو أنه كان يتحدث نيابة عن الحكومة المؤقتة التي كان يرأسها المهندس بازرغان. ماذا تقولون في هذا المجال ؟

ـــ كما تفضلت إن أمير انتظام ليس بيننا ليؤكد هذا الكلام أو ينفيه نحن نعلم أن الصحف آنذاك كانت تثير الغوغاء التي لا أساس لها من الصحة وينبغي أولا أن نثبت أن أمير انتظام تفوه بهذه الكلمات.

ـــ يبدو أنه صرح بذلك في مكالمة هاتفية مع مهدي الشقيق الأصغر للشيخ شبير الخاقاني زعيم عرب الأهواز آنذاك.

ـــ لقد نفى أمير انتظام والحكومة المؤقتة وقتها ـــ أي عام ١٩٧٩ ـــ هذا الكلام.

ـــ اتضح حاليا أن رفسنجاني وبعد استعادة إيران لمدينة خورمشهر / المحمرة/ كان من الداعين لمواصلة الحرب مع العراق وذلك بالرغم من موقف آية الله الخميني المعارض لاستمرار الحرب ما هو رأيكم في هذا الأمر ؟

ـــ سألنا – أنا والمرحوم بازرغان – في أحد لقاءاتنا مع السيد رفسنجاني بعد استعادة مدينة خورمشهر / المحمرة/ ١٩٨١ عن وضع الحرب حيث أكد لنا رفسنجاني أن الإمام الخميني يعارض مواصلة الحرب عقب استعادة خورمشهر. وقد أصابتنا البهجة من احتمال انتهاء الحرب غير أننا لم نعلم آنذاك عن أسباب استمرار الحرب خاصة وقد سمعنا وقتها أن عرب المنطقة أبدوا استعدادهم للتعويض عن الدمار الحادث في إيران . كما أصدر مجلس قيادة الثورة في العراق بيانا أعلن فيه عن استعداده لإنهاء الحرب مع إيران وإعادة قواته إلى الحدود الدولية . وقد نوه السيد أحمد الخميني شفهيا وكتابيا إلى هذا الأمر مؤكدا معارضة أبيه لمواصلة الحرب بعد أن قال لمسؤولي الحرب بأن استمرار إيران للحرب ليس صحيحا وأنهم لن يستطيعوا مواصلتها ويبدو وفقا لما قاله أحمد الخميني " أن مسؤولي الحرب أصروا ووالدي قال لهم إذا تشاءون مواصلة الحرب لا بأس استمروا لكنكم لن تستطيعوا " لهذا على مسؤولي الحرب أن يردوا على الناس لماذا استمروا بالحرب .

ـــ المسؤول الأول للحرب كان رفسنجاني باعتباره ممثل آية الله الخميني في المجلس الأعلى للدفاع؛ إذ كان فعلا قائدا للقوات المسلحة في الحرب ؟

-نعم ..

ـــ ما هو تقييم حركة حرية إيران للعلاقات الراهنة بين إيران والعالم العربي ؟ وخصوصا العلاقات مع العراق ودول الخليج وقضية السلام في الشرق الأوسط.

ـــ لقد شهدت العلاقات الإيرانية – العربية تأرجحات عديدة عقب قيام الثورة في إيران. بعض هذه التأرجحات ارتبط بالتطورات والتحولات السياسية في إيران وبعضها ارتبط بالتحولات في العالم العربي .

فالسياسة الراهنة للحكومة الإيرانية والمعلنة من قبل الرئيس خاتمي قائمة على إزالة التوتر في المنطقة حيث نرحب نحن بذلك وبعد قيام الثورة حاولنا في الحكومة المؤقتة أن نبني علاقات ودية جدا مع كافة الدول العربية أو على الأقل أن تكون هناك علاقات دبلوماسية عادية . فالعالم العربي يعاني من عدة قضايا حيث إذا لم يعالجها في داخلها لا يستطيع أن يقيم علاقات سوية مع العالم الخارجي .

ـ أنا أعني العلاقات مع كل قطر عربي لوحده ولا أعني العالم العربي كله .

ـ نحن مبدئيا نرحب بإزالة التوتر من المنطقة ونعتقد انه لا يمكن أن يكون لمجلس التعاون الخليجي معنى من دون مشاركة إيران حيث على الدول الأعضاء في هذا المجلس أن تسعى لمشاركة إيران في هذا المجلس . حدود الخليج لا تقتصر على شواطئه الجنوبية بل تملك إيران أطول الشواطئ في شمال الخليج . وتقتضي قضية السلام في منطقة الخليج أن يتعاون هؤلاء بعضهم مع بعض . وتواجه دولنا في الوقت الراهن مشكلة كبيرة تهدد أمن الجميع وهي حضور الأجهزة العسكرية الأمريكية العملاقة في الخليج .. الخليج بحيرة صغيرة جدا لا تحتمل كل هذه الأجهزة العسكرية التي يمكن أن تشكل خطرا علينا جميعا. ويكفي أن يقع خطأ بشري لتشتعل المنطقة بأسرها . ولذلك فإن مصالح منطقة الخليج: العربية وغير العربية، تتطلب تكاتف الجميع في هذا المجلس لتصبح المنطقة غير عسكرية .

ـ سبق وأن ادعى مسؤولون في هذه الدول خلال مقابلات أجريتها معهم أن خروج القوات الأجنبية تعيدنا إلى ما قبل حضورها إلى المنطقة حيث كانت لقمة سائغة للعراق أو إيران . فهم يدعون بأنهم يتعرضون لتهديدات مستمرة ويطالبون بمعالجة القضايا بشكل جذري حتى تترك هذه القوات منطقة الخليج ..

ـ أنا أوافقهم حول معالجة الأمور بشكل جذري وأعتبر حضور الأجهزة العملاقة الأمريكية في المنطقة حلا مؤقتا للقضية . ولم تهدد إيران بصورة جدية أمن أي من دول المنطقة غير أن العراق هاجم الكويت .

ـ قد يلمح المسؤولون هناك إلى قضية تصدير الثورة والانفجارات التي وقعت في بعض دول المنطقة في الحقبة الأولى للثورة .

سأتطرق إلى هذه الأمور لأنها جديرة بالبحث حتى إذا أرسلت دولة ما أشخاصا إلى دولة أخرى وقامت بابتزاز ذلك البلد يختلف الأمر مع احتلال العراق بأجهزته

الكاملة للكويت حيث لا يمكن إزالة قلق عرب المنطقة من الأشياء التي ذكرها بوجود الأجهزة العسكرية الأمنية العملاقة .

ـ هذا اعتقادي أيضا وأنا نقلت لك كلام بعض المسؤولين هناك .

ـ نحن نعتقد بأننا نستطيع إيجاد منطقة غير عسكرية في الخليج إثر تكاتف العرب بعضهم مع بعض وتعاضدهم مع إيران للحفاظ على أمن الجميع ، وأنا أتصور أنه وبعد حقبتين من عمر الثورة الإيرانية واستنادا إلى سياسات خاتمي أصبحت الظروف جيدة جدا للوصول إلى الهدف . ولا أرى سببا كي لا نصل إلى هدفنا لأن علاقاتنا الراهنة جيدة مع معظم الدول العربية .

ـ ماذا تقولون حول السلام في الشرق الأوسط ؟ يبدو أن حركة حرية إيران تساند عملية السلام مع إسرائيل ، والتي يقوم بها ياسر عرفات هل هذا صحيح ؟

ـ هناك موضوعان مطروحان في هذا المجال . هل الشيء الذي وقع عليه ياسر عرفات يؤدي في النهاية إلى السلام الدائم والعادل أم لا ؟ فقد بينا في بيان نشرته حركة حرية إيران عند التوقيع على الاتفاق بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل بأن هذا الاتفاق لن يؤدي إلى سلام عادل ودائم في المنطقة لأننا لا نرى أثرا للعوامل الرئيسية للقضية في هذا الاتفاق . فلا ذكر لمصير وعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم كما يكتنف الغموض تشكيل الدولة الفلسطينية .

ونحن نعتقد أن مصير القدس لا يخص الفلسطينيين بل نقول أن المسلمين كافة ينبغي أن يعبروا عن آرائهم في هذا المجال حيث لا يمكن للفلسطينيين أن يجلسوا مع الإسرائيليين ليتفقوا معهم حول تلك المنطقة . صحيح أنها ـ أي القدس ـ قضية عربية لكننا نعتبرها أيضا قضية إسلامية . وأما النقطة الثانية فهي أن الحكومة الإيرانية لا تستطيع أن تعمل شيئا إذا أعلن العرب عن استعدادهم وإرادتهم للصلح مع إسرائيل . مثلا إذا قبلت سوريا بأن تعترف بإسرائيل وتقيم علاقات دبلوماسية معها إزاء خروجها من الجولان فهذا يقع في إطار حق سوريا لسيادتها على أراضيها

ـ وماذا يكون مصير شعار آية الله الخميني حول " ضرورة إزالة إسرائيل من الوجود " ودعم المنظمات الفلسطينية الراديكالية مثل حماس والجهاد الإسلامي ؟

- لم يقل الإمام الخميني أن إزالة إسرائيل تتم خلال خمس أو عشر سنوات. أنا شخصيا أعتقد أنه وباستقرار السلام الحقيقي في المنطقة ستفقد إسرائيل مصداقيتها وموضوعيتها ولعله ولهذه الأسباب لا ترغب إسرائيل باستتباب السلام . إن مشكلة

بعض المحللين أهم يتصورون أن إسرائيل ترغب بالسلام حقيقة غير أننا بينا لماذا لا تريد إسرائيل السلام ولماذا حين قبل العرب بالأرض مقابل السلام أصبحت إسرائيل أمام طريق مسدود في العالم ؟ لعل أحد الأسباب التي ذكرناها في تحاليلنا أنه وباستقرار السلام وتطبيع الأمور في المنطقة وبعد تشكيل الدولة الفلسطينية وخروج إسرائيل من الأراضي اللبنانية والسورية المحتلة ستصل السلطة حكومة ديمقراطية بأصوات الناس حيث ولأسباب وعوامل ومتغيرات مختلفة ستفقد إسرائيل خلال الحقب المقبلة مصداقيتها وموضوعيتها .

ـ يبدو أنكم في حركة حرية إيران تنتقدون الفصائل الفلسطينية الراديكالية كالجهاد الإسلامي وحماس ؟

-كلا ، نحن لا ننتقد هذه الفصائل، بل ونعتقد أن عملياهم ضرورية حتى أن تتشكل الدولة الفلسطينية المستقلة .

ـ فهل تعتقدون بالكفاح المسلح في داخل إسرائيل ؟

-نحن نعتقد أن مبادرة ياسر عرفات بقبول اتفاق أوسلو التوقيع عليها أسفرت عن تداعيات فورية وهي نقل الكفاح الفلسطيني من الخارج إلى الداخل حيث أن كيفية مواجهة مليوني فلسطيني هي المشكلة الأساسية لإسرائيل . فقد تواجه إسرائيل أمرين اليوم إما الاستسلام لياسر عرفات وإما القبول باستمرارية الكفاح المسلح . ورأيي أنها معادلة جيدة جدا ونحن ندافع عن هذه المعادلة .

ـ يبدو أنك منذ ١٩٦٠ وحتى قيام الثورة في ١٩٧٩ كنت في خارج إيران وكانت لك لقاءات مع الزعيم الراحل جمال عبد الناصر والإمام موسى الصدر كما زرت مدينة القدس ؟

ـ قد اتصلت حركة حرية إيران بالجزائريين عام ١٩٦٤ بعد استقلال البلاد وعقب مفاوضات مع المصريين منحونا قواعد لتدريب أعضاء حركة حرية إيران وسائر الإيرانيين على حرب العصابات في مصر عبد الناصر . فقد ذهبت أنا ود. شمران وعدد من رفاقنا إلى مصر . وأسسنا الفرع العسكري لحركة حرية إيران والتقينا مع المسؤولين المصريين في تلك الفترة واتفقنا على البرامج هناك . وقد انتهت هذه الدورات التدريبية في فترة ما في مصر حيث مكث د. شمران في القاهرة وبقيت أنا في بيروت وأحد أعضاء الحركة البارزين المهندس محمد توسلي في بغداد . كنا في أواسط الستينات، ورأيت المرحوم الشيخ جواد مغنية لأول مرة في لبنان حيث سبق وان قرأت

له في إيران بعض الكتب، كما كنت صديقا للإمام موسى الصدر عندما كنت طالبا في كلية الصيدلة وهو كان يدرس القانون بجامعة طهران في مطلع الخمسينات . ولذلك التقيت بالصدر في مدينة صور . وقد تدربنا تدريبات عسكرية وأيضا تدربنا على مبادئ التنظيم السري في مصر حيث قمنا بإعادة صياغتها وتنظيمها بعد ذلك .

ـــ فهل كان المهندس بازرغان على علم بهذه الأمور ؟

ـــ نعم كان المهندس بازرغان على علم بالأمور نحن راسلناه وهو في طهران وقدمنا تقارير لأعمالنا حيث نشرنا ذلك في وثائقنا، كما كان المرحوم آية الله الطالقاني أيضا بالصورة فقد تعمقت بعد ذلك علاقاتنا وتعاوننا مع السيد موسى الصدر بشكل واسع.

ـــ هل تتذكر شيئا من زيارة الزعيم الوطني د. مصدق إلى القاهرة ؟

ـــ كنت آنذاك – في مطلع الخمسينات – طالبا نشطا في اتحاد الطلبة لجامعة طهران وعضو في حركة المقاومة الوطنية ضد الشاه بعد سقوط مصدق في آب (أغسطس) ١٩٥٣ حيث أتذكر جيدا زيارة د. مصدق القاهرة والتي تمت بدعوة رئيس الحكومة الوفدي نحاس باشا في عهد الملك فاروق . فعندما زرت القاهرة في ١٩٦٤ انتبهت أن هناك شارعا باسم الدكتور مصدق ، ويبدو أن المصريين قد أطلقوا هذا الاسم على ذلك الشارع عند زيارة مصدق للقاهرة وتكريما لكفاحه ضد الاستعمار .

فقد زار د. مصدق مصر، بعد عودته من الأمم المتحدة وإدانة بريطانيا هناك لتعاملها السيء مع إيران حيث استقبلته الجماهير المصرية آنذاك بشكل واسع لكن عندما تولى عبد الناصر الحكم في مصر كان مصدق تحت الإقامة الجبرية في قرية أحمد آباد القريبة من طهران .

كما قدمت حركة المقاومة الوطنية الإيرانية عام ١٩٥٦ هدية إلى جماهير مدينة بور سعيد احتفاء بمقاومتهم ضد العدوان الثلاثي . والهدية كانت صورة للدكتور مصدق موقعة من قبله مع بعض كلماته المكتوبة عليها .

إضافة إلى ذلك أهديناهم سجادة إيرانية نفيسة جدا مساحتها ٢ × ١,٥ متر مربع كتب عليها "هدية من حركة المقاومة الوطنية الإيرانية إلى مدينة بور سعيد البطلة" وذلك بواسطة القائم بالأعمال المصري في طهران آنذاك. وقد زرت أنا والمهندس شمران عام ١٩٦٤ متحف بور سعيد حيث شاهدنا السجادة هناك .

خاتمي .. عام كامل من التحديات

لم تنقض أيام على فوز الرئيس خاتمي في الانتخابات الرئاسية في مايو ٩٧ إلا وقد بدأت الأوساط الدينية المحافظة تروج لنظرية تقول أن خاتمي لن يدوم في الحكم أكثر من ستة أشهر .

غير أن التكهنات هذه لم تكن صائبة وأخذت الأمور مسارا آخر . فقد تلقى الإيرانيون والعالم والمنطقة نبأ فوز خاتمي بارتياح وسرور . وبعد أيام معدودة من انتخابه شاهدنا عودة سفراء الدول العربية إلى طهران عقب أزمة دامت عدة أشهر . كما وأعقب ذلك انعقاد مؤتمر القمة الإسلامية بنجاح في طهران وتحسين العلاقات المتوترة مع كل من العراق والمملكة العربية السعودية وسائر دول المنطقة .

لقد ورث خاتمي اقتصادا غير مستقر وبطالة متزايدة وتضخما مزمنا ونقصا في الميزانية العامة بإيران غير أن الاقتصاد الإيراني تلقى لطمة أخرى لم تقل تأثيرا من تلك التي ذكرناها وهي الانخفاض في أسعار النفط في الأسواق العالمية .

و لم تمض عدة أيام على تسلم الرئيس خاتمي لمهامه الحكومية إلا وقد بدأت القوى المحافظة المسيطرة على الجهاز القضائي باعتقال عدد من المسؤولين والمديرين في بلدية طهران حيث توجت ذلك وبعد ستة أشهر باعتقالها أمين العاصمة الذي يعتبر من أركان التيار التحديثي المؤيد للرئيس خاتمي .

وقد استهدف المحافظون بذلك، تلقين الجماهير الإيرانية التي انتخبت خاتمي بأصواتها العشرين مليونا ، أن أي شيء لم يتغير ولا ينبغي أن يعتقد أحد بالتغيير . وقد وجه المتشددون انتقادات لاذعة للحكومة الإيرانية وخاصة وزيري الداخلية عبد الله نوري والإرشاد ومهاجراني المعروفين باتجاهاتهما الإصلاحية، وأصبحت استجواباتهما المتكررة واستدعائهما إلى مجلس الشورى الإيراني والذي يسيطر عليه المحافظون ، أصبحت مادة للسخرية والفكاهة في الصحافة الإيرانية .

غير أن القوى المؤيدة لخاتمي والتي تتمركز أساسا في الجامعات والصحف لم تبق مكتوفة الأيدي وأخذت تنتقد كل شيء وكل عنصر لا يتلاءم ولا يتناسب مع تطلعاتها . فقد شملت الانتقادات أعلى هرم السلطة في إيران ووصلت إلى مجلس صيانة الدستور ومجلس الخبراء والجهاز القضائي وهي المؤسسات التي تسيطر عليها القوى التقليدية .

وقد كانت قضية اعتقال أمين العاصمة الإيرانية غلام حسين كرباسجي ذروة التحدي لحكومة الرئيس خاتمي حيث عصفت الأزمة السياسية الناتجة عن ذلك بإيران من شرقها إلى غربها ومن جنوبها إلى شمالها . وقد استخدم خاتمي ورقتين لمعالجة هذه المشكلة، ورقة الضغط الجماهيري من التحت إلى القاعدة، والمناورة والمساومة من الفوق أي في رأس الهرم، وقد استغل الضغط الشعبي المنتقد للسلطة القضائية وخاصة ما قام به طلبة الجامعات والفئات الاجتماعية والفكرية الأخرى لإيجاد تسوية مؤقتة للأزمة التي هددت أحد أركان حكومته البارزين. وبما أن فوز خاتمي كان بمثابة صفعة قوية لليمين الديني في إيران لم يضع هذا التيار أي فرصة خلال السنة الماضية لتسديد الضربات للحكومة الإصلاحية الحالية . فالمحافظون يشكلون الأغلبية في مجلس الشورى الإيراني ويسيطرون على مواقع سياسية واقتصادية هامة منها السلطة القضائية وقوى الأمن والحرس الثوري والإذاعة والتلفزيون ومؤسستان اقتصاديتان عملاقتان هما مؤسسة المستضعفين التي تتألف من عدة شركات ومعامل ومزارع تمت مصادرتها من الأسرة البهلوية الحاكمة سابقا ومؤسسة الإمام الخميني للإغاثة " كميتة إمداد". كما ويتمتع المحافظون ببعض النفوذ بين قسم لا بأس به من رجال الدين التقليديين والطلبة في المدارس الدينية في مدينتي قم ومشهد الدينيتين . ولكن هذا لا يعني أن التيار التحديثي لا يتمتع بالنفوذ في هذه الساحات التي كانت وحتى قبل سنوات قليلة حكرا على المحافظين . فهناك مؤيدون للرئيس خاتمي بين طلبة المدارس الدينية ورجال الدين الكبار في قم وأصفهان ومدن أخرى، ناهيك عن أغلبية رجال الفكر والمثقفين والأساتذة وطلبة الجامعات ، أضف إلى ذلك الشباب والنساء والقوميات الإيرانية والصحف الواسعة الانتشار .

وآخر ما سمعنا عنه في هذا المجال ما حدث قبل أسبوع في صلاة الجمعة لمدينة تبريز والذي وصف يوم الثالث والعشرين من مايو ٩٧ بيوم الملحمة الشعبية في إيران وادعي أن اليمين الديني تلقى هزيمة نكراء وفشل فشلا ذريعا في ذلك اليوم. حيث فقد مشروعيته السياسية بين فئات واسعة من الناس وخاصة الشباب والناس فالجامعات

بطلابها وأساتذها أصبحت الآن تنادي بالحرية وهتف بشعارات معادية للاستبداد وهي تشكل الحصن الحصين للمد الخاتمي .

لا شك أن الحركة الطلابية في إيران لها جذور تاريخية تصل إلى حوالي نصف قرن حيث لم ينقض عام في عهد الشاه السابق لم تشهد فيه الجامعات الإيرانية فترات من القلاقل والاحتجاجات والإضرابات .

وعقب انتصار الثورة الإسلامية في إيران سيطر اليسار العلماني على الجامعات حيث شعرت الحكومة الإسلامية آنذاك بالخطر وقامت بما وصفته بالثورة الثقافية التي أدت إلى توقف الدراسة في الجامعات الإيرانية لمدة ثلاث سنوات .

وقد اشتد الهجوم على الحكومة الإيرانية الحالية مع بداية العام الإيراني الجديد (مطلع أبريل ١٩٩٨) حيث تطور مؤخرا وشمل الرئيس خاتمي نفسه .

فلم تمض أيام على إطلاق سراح رئيس بلدية طهران إلا وقد تفاجأت الأوساط السياسية بكلمة لقائد قوات الحرس الثوري اللواء يحيى رحيم صفوي هدد فيها الصحف والعناصر السياسية المستقلة والمعتدلة بضرب العنق وقطع الأيدي، وقد تلى تلك الكلمة، أحداث وقلاقل سببتها المجموعات الأصولية في مراسم صلاة الجمعة في مدن أصفهان وطهران وتبريز. ولأول مرة في تاريخ الثورة الإسلامية أصبحت اجتماعات الصلاة مكانا للصراع بين التيارات المختلفة والمتنافسة على الساحة السياسية حيث أخلت إحدى هذه الفصائل المتشددة بخطبة كان يلقيها هاشمي رفسنجاني وهو من المعتدلين في السلطة الإيرانية قبل حوالي شهر في صلاة الجمعة لمدينة طهران ناهيك عن الإخلال المستمر في مراسم صلاة الجمعة في مدينة أصفهان التي يؤمها عادة آية الله جلال الدين الطاهري وهو من المؤيدين الرئيسيين للرئيس خاتمي. كما وقامت أخيرا مظاهرات في مدينتي "قم" و "مشهد" الدينيتين وذلك بحجة انتقاد لمهاجراني في اجتماع عقد في جامعة طهران للاحتفاء بالذكرى الثانية للانتخابات الرئاسية يوم الثالث والعشرين من الشهر المنصرم. وفي الظاهر، كان هؤلاء يحتجون على التصفيق والصفير في هذه المراسم. غير أن المراقبين يعتقدون أن استياء المتظاهرين أو الذين يخططون لمثل هذه المظاهرات كان لشعارات رددت في جامعة طهران ضد رئيس السلطة القضائية وقائد قوات الحرس الثوري وقوات الأمن.

هذا ويأخذ الصراع بين التيارات السياسية أشكالا مختلفة بين الحين والآخر . كما وأن إيران مقبلة في الأسبوع القادم على محاكمة مفتوحة لرئيس بلدية طهران غلام

حسين كرباسجي حيث ستؤثر على ميزان القوى السياسية والاجتماعية في إيـــــران، سواء تم الحكم على كرباسجي أو برأت ساحته من التهم المنسوبة إليه .

غير أن المراقبين السياسيين وبقراءاتهم للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إيران لا يرون أي غالب أو مغلوب في الصراع السياسي الدائم في إيـــران وحـــتى انتهاء فترة خاتمي الرئاسية إن لم يقع حادث مفاجئ وذلك بسبب التوازن الذي حصل بعد انتخابات مايو الرئاسية بين التيارات والأجنحة السياسية والاجتماعية في إيران .

دولة الواقع ودولة الخيال على أجندة الصراع في إيران

فاجئ انتصار الثورة الإيرانية في شباط عام ١٩٧٩ العديد من المراقبين السياسيين، وفيما كانت الجماعات الفاعلة على الساحة الإيرانية آنذاك ــ من مجاهدين وفدائيين وقوميين وشيوعيين ــ تتوقع المزيد من الكفاح ضد نظام الشاه وتتصور صراعا مريرا طويل الأمد أشبه ما يكون بالكفاح الذي خاضته الشعوب في كل من كوبا والجزائر وفيتنام والصين فقد جاء سقوط الشاه لصالح الفئات الدينية المتمثلة برجال الدين والمتغلغلة تاريخيا بين الجماهير الشعبية في الريف والمدن الإيرانية بمثابة الحدث الذي لا يصدق .

وكما يقول بعض المحللين فإن رجال الدين ركبوا الموجة وساروا بها إلى ما يطمحون وما كانوا يخططون له من قبل واضطروا في البدء أن يتحالفوا مع المجموعات ذات الاتجاه الديني ــ القومي مثل حركة حرية إيران والجبهة الوطنية لإدارة شؤون البلاد وذلك لقلة تجربتهم في هذا المجال . لكن شهر العسل هذا لم يدم وتحول إلى تنافس حاد مع جماعة بازرغان أي حركة حرية إيران وعداء سياسي مع الجبهة الوطنية ــ المنتمية إلى تراث مصدق ــ إلى يومنا هذا .

دستور الجمهورية

الشيء الذي نريد أن نؤشر إليه هنا هو أن عناصر من الحكومة المؤقتة آنذاك برئاسة د. بازرغان والتي كانت تضم أساسا وزراء من هاتين الجماعتين ، عكفت في فترة من الزمن على تدوين دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية وخرجت بدستور علماني كصيغة إسلامية عامة كمثيلاتها في الدول الإسلامي الأخرى مع اختلاف في تفاصيله الثورية نسبيا .

غير أن علماء الدين الذين كانوا قد أعلنوا ــ قبل قيام الثورة ــ بأنهم لن يتدخلوا في إدارة شؤون البلاد، قد غيروا وجهة نظرهم بعد مفاوضات حكومة بازرغان المؤقتة

مع الأمريكان في العاصمة الجزائرية واحتلال السفارة الأمريكية في طهران من قبل الطلبة الراديكاليين في تشرين الأول ١٩٧٩ .

فقد اتهم رجال الدين الحكومة المؤقتة بالليبرالية واللا ثورية والمسايرة الإمبريالية الأمريكية وبذلك أخذوا يحتلون مناصب إدارية ووزارية هامة بعدما كانوا وراء الستار يديرون مجلس قيادة الثورة .

وقد رفض رجال الدين الدستور العلماني المدون من قبل الحكومة المؤقتة واستبدلوه بدستور آخر، نواته الأساسية ولاية الفقيه المطلقة أي أن يكون هناك مرشد ديني على رأس السلطة في إيران .

وكانت لعلماء الدين تجارب مرة ـــ كما يدعون ـــ من الثورة السابقة أي ثورة الدستور عام ١٩٠٦. ويدعي هؤلاء أن المثقفين والليبراليين في تلك الثورة أخذوا بزمام المبادرة وأبعدوا رجال الدين عن الحكم بعد ما قاموا بإعدام أحد العلماء المتشرعين آنذاك وهو الشيخ فضل الله نوري وساروا بالبلاد نحو الغرب ليظهر الشاه رضا البهلوي ليكمل هذا المنحنى. والطريف جدا أن المثقفين الآن وعقب انتصار ثورة شباط ١٩٧٩ ينأون بأنفسهم عن السلطة بعد مشاركتهم في النضال ضد نظام الشاه. فقد استخدم رجال الدين هذه التجارب التاريخية خير استخدام حيث أدخلوا نظرية "ولاية الفقيه" الدينية ـــ السياسية والمنبثقة من الفقه الشيعي في دستور البلاد التي كانت تعيش لأكثر من نصف قرن وفقا لدستور مقتبس من دساتير أخرى كبلجيكا وفرنسا .

غير أن علماء الدين الإيرانيين لم يتمكنوا من الاستغناء عن مؤسسات سياسية واجتماعية ومدنية قلما عرف التاريخ الإسلامي مثيلا لها كمنصب رئيس الجمهورية والبرلمان وأنواع المجالس والانتخابات والوزارات ... إلخ. فمنذ ذلك الحين وبعد أن صادق أول مجلس خبراء إيراني في تشرين الثاني ١٩٧٠ على دستور الجمهورية الإسلامية بدأ التناقض بين الواقع والهرتقة أي ما يصفونه الآن بجمهورية النظام وإسلاميته فأخذت الهرتقة تشد من جهة والواقع يشد من جهة أخرى حيث أن الصراع بين مؤيدي دولة الخيال ودولة الواقع أي جمهورية النظام وإسلاميته يشتد في فترات ويهدأ في فترات أخرى .

توازن

وقد ساد نوع من التوازن بين هذين التيارين عندما كان آية الله الخميني يقود البلاد، إذ يرجع الأمر إلى شخصية الخميني الكاريزمية وشأنه كأحد مراجع تقليد

الشيعة الرئيسيين في عهده هذا من الجانب الإسلامي والثوري، أما الجانب الجمهوري فقد كان يتمثل بالانتخابات المتعددة التي أجريت منذ عام ١٩٧٩ حتى وفاته عام ١٩٨٩ . وقد كان آية الله الخميني يؤكد على الاعتماد على أصوات الجماهير في كل صغيرة وكبيرة حيث له جملة معروفة يكررها الإسلاميون ذوو الاتجاه الجمهوري كثيرا والتي تقول: "إن معيار كل شيء في إيران هو أصوات الشعب".

وذلك بالرغم أن بعض المعارضين أيضا ينتقدون تلك الفترة لعدم شمول الحرية لكل الأحزاب السياسية في إيران . فقد تبلور الصراع بين الاتجاهين عقب انتهاء الحرب العراقية ــ الإيرانية واستتباب الأمور، حيث شهد ذروته بعد فوز الرئيس خاتمي على منافسه المحافظ ناطق نوري . ولكن بمضي شهر أو شهرين بدأت بعض التيارات التقليدية اليمينية تشعر بالخطر الداهم إذ طرحت صحيفة "شوما" الناطقة باسم حزب الجمعيات الإسلامية المؤتلفة إنشاء " السلطة الإسلامية " في إيران بدل "الجمهورية الإسلامية" . كان هذا أول تصريح علني للمحافظين برفضهم لمقولة "الجمهورية" والتي تعتمد أساسا على الانتخابات وأصوات الشعب وهذا ما لا يريده اليمين الديني لإحساسه بانخفاض شعبيته بين الجماهير الإيرانية .

كما وأن انتخابات مجلس الخبراء وهو مجلس ديني ــ سياسي ، أججت الصراع بين الواقعيين والمتزمتين في إيران مرة أخرى حيث يدعي رموز التيار المحافظ أن مرشد الثورة كالنبي أو الوسيط يتم تعيينه من قبل الله و لم يفعل مجلس الخبراء شيئا إلا كشف هذا المرشد الروحي . بينما تؤكد التيارات الإصلاحية على دور أصوات الجماهير الإيرانية في انتخاب مرشد الثورة وذلك إثر انتخابهم لأعضاء مجلس الخبراء .

النظرية الإلهية

وقد دافع ناطق نوري وعدد من رجال الدين المحافظين مثل مصباح يزدي عن "النظرية الإلهية" لانتخاب مرشد الثورة الإسلامية في إيران كما لعب هاشمي رفسنجاني المعروف باتجاهاته المعتدلة دورا في إيجاد منطقة الوسط بين التقليديين من جهة وجماعة (كوادر البناء) الإصلاحية ــ التي تعتبره زعيمها الروحي ــ من جهة أخرى لتشجيع هؤلاء للمشاركة في انتخابات مجلس الخبراء التي لم تلق ترحيب اليسار الإسلامي بل وواجهت المقاطعة من المعارضة في الداخل والخارج . وكان رفسنجاني يسعى للحفاظ على تركيبة النظام كما هي والحيلولة دون ميل الكفة لصالح القوى المحافظة المطالبة بـ "السلطة الإسلامية" والإصلاحيين الجمهوريين المنادين بالمحتوى الجمهوري والشكل

الإسلامي للحكم في إيران . ويرى بعض المحللين نوعا من الصفقة فيما وراء الستار في هذه التسوية السياسية بين حزب (كوادر البناء) الذي يقوده غلام حسين كرباسجي ويضم بين دفتيه شخصيات معروفة كالدكتور مهاجراني وزير الإرشاد ود. نور بخش محافظ البنك المركزي والنائبة فائزة هاشمي من جهة والمحافظين من جهة أخرى وذلك تحت إشراف الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني .

ويقول هؤلاء المحللون إن مشاركة تيار اليمين التحديثي أي حزب كوادر البناء والذي حث مؤيديه للمشاركة في انتخابات مجلس الخبراء ورفع بذلك عدد المشاركين في هذه الانتخابات قد تمت إزاء وعود التيار المحافظ والمسيطر على السلطة القضائية لتبرئة رئيس بلدية طهران غلام حسين كرباسجي أو التخفيف من عقوباته .

المجالس البلدية

كما كان يتوقع المحللون، بدأت التيارات المحافظة تعرقل إجراء انتخابات المجالس في موعدها المقرر في شباط القادم باعتبارها ظاهرة تعزز البعد الجمهوري للنظام وذلك بالعمل لتأجيلها أو إذا لم يتمكنوا من ذلك فالسعي بعدم تزكية المرشحين الإصلاحيين الموالين للرئيس خاتمي .

وفي التحليل النهائي يرى المراقبون السياسيون أن انتصار الإصلاحيين في الانتخابات الرئاسية في مايو ١٩٩٧ وفوز الرئيس خاتمي وجه ضربة قاصمة للداعين إلى تكييف الجمهورية لتصبح سلطة إسلامية في إيران ، أي السلطة التي تقلل من شأن المؤسسات المدنية والانتخابية وتركز الأمور بيد فئة قليلة تحكم باسم الإسلام .

وقد تجرأ الإصلاحيون الذين يعارضون هذه الأطروحة بشدة خلال العام والنصف عام الأخير من المطالبة بإشراف مجلس الخبراء على مؤسسة القيادة ونشاطات وأداء المرشد والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والثقافية التابعة له كمؤسسة المستضعفين الاقتصادية العظيمة والمؤسسة التي تشرف على شؤون إيرادات ضريح الإمام الرضا وما شابه ذلك من مؤسسات أخرى أو بالأحرى أخذت التيارات الإصلاحية تطالب باستجواب المرشد ومسؤوليته تجاه أعضاء مجلس الخبراء وهذا ما يعارضه المعتقدون بالصبغة الإلهية للسلطة الإسلامية في إيران حيث يرون أن المرشد يقف فوق القانون و لم ولن يكون مسؤولا أمام أحد إلا الله .

وسيبقى التناقض بين هذين التفكيرين مستمرا ما دام هناك جذور للاثنين في الدستور الإيراني .

على هامش الأسبوع الثقافي الإيراني في اليمن

حوار مع الكاتب الايراني يوسف عزيزي

مقدمة بقلم: د. عبدالعزيز المقالح

تحرص بلادنا على إقامة الجسور مع كل الأشقاء والأصدقاء. ومن الثقافة هذا الضوء المشترك تبدأ تلك الجسور مع الأشقاء في الوطن العربي والعالم الإسلامي وقد أقيم في الأيام القليلة الماضية أسبوع ثقافي إيراني في صنعاء شهد مجموعة من الفعاليات الإبداعية والفنية، وكنت حريصا على مشاهدة بعض الأفلام التي تم عرضها في الأسبوع لكن الحظ لم يسعدني فقد كانت المشاغل أوسع من أن تترك وقتا كافيا لحضور بعض تلك الفعاليات .

وأكرر القول بأني تمنيت أن أشاهد بعض الأفلام الإيرانية لكي أرى نوعية ما يشاهده الشعب الإيراني الشقيق في هذه الظروف .. وكيف يتعامل مع الفن السابع بعد عشرين عاما من نجاح ثورته الإسلامية، من هم أبطال الأفلام ، وكيفية الإخراج، وما هي القضايا التي تتناولها الأفلام .. إلخ . لكن الرياح تجري في معظم الأحيان بما لا نشتهي و لم أكن أتصور أن الأسبوع سينتهي بمثل هذه السرعة وأنه سيترك في النفس إحساسا غائرا بالذنب وإحساسا شديدا بالخسارة خسارة التعرف على آخر إيقاع في مجال الفنون والأدب في شعب إسلامي شقيق يحاول أن يبني تجربته الثقافية الخاصة والمتميزة بعد سنوات طويلة من الاستلاب والاستغراب .

وفيما يلي نص حوار أدبي أجراه الصديق العزيز الأستاذ محمد عبد العزيز سكرتير التحرير في "٢٦ سبتمبر " مع الكاتب المبدع الإيراني الأستاذ يوسف عزيزي الذي يؤكد عمق الروابط الأخوية ويشير أنه ـــ رغم محدودية التواصل ـــ على لقاء بالكتابات الشعرية والقصصية التي تصدر في بلادنا ، وقبل أن يبدأ القارىء في متابعة

هذا الحوار أود التوجه بتقدير خاص إلى الأستاذ يوسف عزيزي على ما يبذله من جهد بترجمة نماذج من الأدب العربي إلى الفارسية وإقامة جسور التواصل بين أبناء العقيدة الواحدة والتاريخ المشترك . وتقدير أخير للعزيز محمد عبد العزيز الذي استطاع في زيارة عابرة وسريعة أن يلتقط هذا الحوار البديع

***

شاءت الظروف أن أكون كإعلامي مرافقا لبعثة الإغاثة التي قدمتها بلادنا للشعب الإيراني الشقيق الذي تعرض لكارثة زلزال مدمر ضرب شمال إيران وفي " مطار مشهد " بمحافظة خراسان التقيت بالكاتب والصحفي والمترجم الإيراني يوسف عزيزي وذلك في سبتمبر ١٩٩٦.

ورغم أن الحالة النفسية لم تكن تسمح بإجراء مثل هذا الحوار ولكني وجدتها فرصة للتحدث إليه سيما وأنه كان قد بادر للحديث عن الشعراء والأدباء في اليمن .. وبطلاقة عربية فصيحة راح يدلي لنا بهذا الحديث :

ـــ بداية تركنا المجال للكاتب يوسف عزيزي للتحدث عن نفسه ؟

ـــ يوسف عزيزي من منطقة الأهواز، عربي إيراني كاتب وصحفي ومترجم من العربية إلى الفارسية .. ترجمت لأعظم كتاب وروائيي وشعراء الوطن العربي المعاصرين إلى الفارسية ومنهم شعراء يمنيين مثل د. عبد العزيز المقالح الذي ترجمت كثيرا من قصائده وكذلك الشاعر عبد الله البردوني ، وعلي أحمد باكثير الذي يعجبني كثيرا كشاعر ومسرحي وأديب كبير أثر على الأدب العربي وكان من المجددين في الأدب العربي وفي المسرح والشعر .. أنا من المتابعين والمهتمين بالأدب والفن والسياسة .. كما أن لدي بعض الإلمام بالشؤون السياسية الإيرانية .

وكما ذكرت سلفا ترجمت عدة كتب وروايات ودواوين شعرية للكتاب العرب مثل نجيب محفوظ وغسان كنفاني وحنا مينه والدكتور عبد العزيز المقالح ، والبياتي وأدونيس وكثيرين غيرهم . وصدرت لي مجموعتان قصصيتان بالفارسية . وأنا أكتب بالعربية والفارسية وأتعاون مع صحف إيرانية وصحف عربية خارج إيران .. هذه أهم ملامح شخصيتي الأدبية .

ـــ هل تتابع أو تابعت نتاجات الأدباء الشباب في اليمن ؟

- الواقع أنا قرأت لأدباء شباب في اليمن لا تحضرني أسماءهم الآن .. تابعت نتاجاتهم الأدبية في الصحافة اليمنية التي تصلني إلى إيران مثل صحيفة "٢٦ سبتمبر"

والتي تصل بعدد محدود .. ومن خلالها قرأت لبعض المبدعين الشباب من اليمن مثل الشعر والقصة القصيرة التي ينشرها د. المقالح في صفحته .

وكذلك أتابع بعض ما ينشره الأدباء الشباب والكبار التي تصدر عن دور نشر عربية في بيروت أو دمشق أو القاهرة وحقيقة يعجبني كثيرا مستوى الإبداع الأدبي في اليمن ففيها كتاب قصة جيدون .. كما أن شعراء اليمن معروفون، البردوني الآن وجه أدبي بارز ، والدكتور المقالح ملمح ثقافي وأدبي بارز .. كما أن عندكم في اليمن كتاب قصة وشعراء جيدين .

ـــ هل تصلك بعض الكتب الثقافية والأدبية والمجلات من اليمن ؟

ـــ والله لا يصلني شيء من اليمن سوى ما ذكرت من صحيفة " ٢٦ سبتمبر"، وبعض الإصدارات من دور النشر العربية .. وأنا أرجو من خلال صحيفتكم أن يبعث لنا الأخوة في اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين أو مركز الدراسات آخر ما ينشر من شعر ومن روايات أو قصص حتى نستطيع أن نترجمها ونعرف الشعب الإيراني بآخر النتاجات الأدبية والثقافية في اليمن .. وكما قلت أنا أحصل على النتاجات الأدبية اليمنية بالصدفة فقط وعبر دور النشر في بيروت أو القاهرة أو دمشق .. وحتى مجلة الحكمة التي يصدرها اتحاد الأدباء في اليمن لا تصلنا .. فنحن هنا في إيران كمثقفين ومهتمين بالأدب اليمني لا يتيسر لنا الحصول على هذه المجلات والكتب الثقافية اليمنية فكيف بالآخرين الذين يرغبون بالإطلاع على ما يتفاعل به المشهد الثقافي في اليمن .. والثقافة العربية بشكل عام ، وهذه نقطة أثيرها وأريد أن أسمع المعنيين من خلال صحيفة ٢٦ سبتمبر إلى كل من يهمه الأمر في اليمن .

ـــ من خلال ما قرأته للأدباء والشعراء الشباب كيف تجد المشهد الثقافي في اليمن ؟

ـــ مثلما قلت اليمنيون في مجال الشعر متميزون وهو لديكم متطور وعندكم شعراء بارزون مثل الدكتور عبد العزيز المقالح ، والأستاذ عبد الله البردوني ، وكذلك في مجال القصة المستوى لا بأس به، هناك بعض التجريب في كتابة القصة عند كثير من الشباب في اليمن .

ـــ " الديمقراطية " هي الرديف الأساسي للإبداع الأدبي . باعتقادك هل يمكن اعتبار معطى الديمقراطية في اليمن سيكون له أثره على المشهد الثقافي من حيث تطوره وفعاليته ؟

ـــ حقيقة صار لي فترة أتابع القضايا السياسية في اليمن وكذلك مسالة إجراء الانتخابات ومسألة تطور الديمقراطية في اليمن .. وبخصوص تأثير الديمقراطية على

الأدب والثقافة ، نستطيع أن نقول أنها ترعرع وتنعش الثقافة وتمثل حافزا قويا لتطور الأدب والثقافة عامة .. ولا شك أن الديمقراطية في اليمن سيكون لها آثارها الإيجابية في تفعيل الواقع الثقافي والأدبي وفي بروز الأعمال الإبداعية الأخرى وهذا أمر مسلم به لأنه في ظل الديكتاتورية ينكمش الإبداع الأدبي وتنحسر الثقافة وتصبح هامشية .

ــ ذكرت في بداية الحديث أنك ترجمت كثيرا من الأعمال الأدبية من العربية إلى الفارسية هل ترجمت بعض الأعمال الأدبية الفارسية إلى العربية ؟

ــ بالتأكيد ترجمت بعض الأعمال الأدبية الفارسية إلى العربية ، ولكن ليس بمقياس ما ترجمته من العربية إلى الفارسية .. والواقع أن الواقع الثقافي الإيراني مليء بالمترجمين الآخرين يقومون بمثل هذا الدور .

وأشير هنا إلا أنني ترجمت بعض القصص من الفارسية إلى العربية وطبعت في مجلة الأسبوع الأدبي السورية التي تصدر في دمشق .. ونشرت بعض الأعمال الأدبية في الصحف الخليجية والكويتية ، وفي بعض الصحف العربية التي تصدر في أوروبا .

ــ كمهتم ومتابع للأحداث في اليمن كيف تقيمون الزخم الديمقراطي في اليمن ؟

ــ أحداث اليمن تهمنا نحن كمثقفين وتهم الثوار الإيرانيين منذ زمن طويل ، منذ ثورة ٢٦ سبتمبر ٦٢ م، والمساندة الناصرية للثوار الجمهوريين إلى ثورة جنوب اليمن والاستقلال ٦٧ م ، كل هذه الأحداث تابعناها، فمثلا أنا كنت أعيش طفولتي في مدينة صغيرة في جنوب إيران كنت أتابع حتى الأحداث التي تجري في حي كريتر وأحتفظ بكل هذه الأحداث في ذاكرتي حتى الآن وتحتفظ الذاكرة بأخبار شخصيات يمنية مثل قحطان الشعبي وعبد الله السلال وكثير من أبناء الشعب الإيراني يتابعون أحداث اليمن السياسية والاجتماعية خاصة الآن وأن مسألة الديمقراطية أصبحت مسلكا وطنيا في الواقع اليمني ، حيث نرى أن كل هذا الزخم يجري في منطقة الجزيرة العربية ، وهو مسلك يحسد عليه وقد كتبت أنا مرات حول الديمقراطية في اليمن في كثير من الصحف الإيرانية .. ولكن هناك بعض الملاحظات على هذه التجربة ، فنحن يجب أن لا نكون مثاليين خصوصا ونحن جزء من العالم الثالث ، ولا بد أن نثمن ونقيم بموضوعية "الديمقراطية" ونقدرها، فالانتخابات الأخيرة التي جرت في اليمن ، صراحة كانت وجها آخر جديدا للديمقراطية ونحن سمعنا أن هناك نساء رشحن أنفسهن للانتخابات وهذه من الأمور التي تشعرنا بقيمة الديمقراطية في اليمن، بالرغم من أن بعض وسائل الإعلام الغربية كانت قد ذكرت أن الحزب الحاكم استخدم

نفوذه في المراكز الانتخابية ومثل هذه التصرفات حتى لو سلمنا بمصداقيتها فإنها لا تنتقص من الديمقراطية في اليمن، وبالتالي نحن ننتظر من الأخوة في اليمن والحكومة اليمنية أن تبذل كل ما في وسعها لتوسيع الممارسة الديمقراطية .

ـ عفوا إذا سمحت لي .. ما ذكرته بعض وسائل الإعلام الغربية مبالغ فيه، فالانتخابات في اليمن راقبها أكثر من ٢٢ ألف مراقب دولي ومحلي وكانت تحت المجهر تماما ؟

ـ نحن نعلم أنه كان هناك رقابة دولية ومحلية على الانتخابات وهذا شيء إيجابي ولقد علمت أن هناك بعض الأحزاب قاطعت الانتخابات ولا أعرف لماذا قاطع الاشتراكي الانتخابات هو وثلاثة أحزاب أخرى .. هل هناك قيود على الحزب الاشتراكي، ونحن نقول أنه لن تكتمل الديمقراطية إلا بمشاركة كل الأحزاب ومنهم .. الحزب الاشتراكي اليمني ، لأن المقاطعة ليست الحل وهي ابتعاد المشاركة الفعلية في الديمقراطية .

خاتمي وشجرة (المجتمع المدني) وحقوق القوميات

ترجمه من الفارسية:جابر أحمد

أثارت مقولة المجتمع المدني التي طرحها الرئيس الإيراني محمد خاتمي ، الكثير من التساؤلات والاستفسارات وردود الأفعال وصدر حولها الكثير من البحوث والمقالات التي تناولت جوانب عديدة من صورة المجتمع الإيراني الجديد وحرية الرأي والتعبير والعقيدة وتشكل الأحزاب والاتحادات والمنظمات المستقلة وتحديد صلاحيات رجال الدين، وضمان الحريات العامة والفردية والمساواة بين الرجل والمرأة ، وقد بدأ أن شتلة (المجتمع المدني) التي زرعها خاتمي أصبحت شجرة وارفة الظلال، بانتظار قطف الثمار .

إلا أن هذه البحوث أهملت جانبا مهما من جوانب المجتمع وهو التطرق إلى مشكلة القومية، وإيجاد حلول ناجعة لها، الأمر الذي دفع السيد يوسف عزيزي إلى كتابة بحث "قيم" تناول فيه المسالة القومية من منظور المجتمع المدني وحل هذه المعضلة بالسبل والوسائل الديمقراطية بعيدا عن الانفعال والأحكام المسبقة . ونظرا لأهمية البحث وما أثاره من ردود أفعال لدى المتطرفين من القومية الفارسية، رأيت أهمية ترجمته وعرض أهم ما جاء فيه لتعم فائدته قراء العربية ومتابعي نضالات شعبنا العادلة.

يبدأ السيد عزيزي بحثه بالتطرق إلى ما يطرح اليوم بشأن المجتمع المدني والآراء التي تطرح حوله ، حيث يرى أن آراء كثيرة طرحت بشأنه ، وأبلى عدد كبير من العلماء والباحثين كل بدوره ، محاولين إيجاد تعريف واضح له . ونحن هنا لسنا بصدد التطرق إلى هذه التعاريف ، وما يهمنا هو التركيز على القاسم المشترك لها ونعني به القوميات وموقف الدستور الإيراني منها .

يرى الكاتب أن قبل أن ننطلق في البحث عن المصادر والدراسات العلمية حول المقدمات التاريخية للقضية القومية ، وأبعادها الثقافية والاجتماعية، هناك سؤال يطوح نفسه ، وهو كيف يتسنى لنا إقامة قواعد المجتمع المدني قبل أن نبحث بشكل عميق في مشكلة قديمة تخص أكثر من نصف السكان في إيران ؟ وكيف نجد السبل القانونية لحلها ؟ وإذا استقرينا البحوث التي قدمت حتى الآن نادرا ما نجد الإجابة الشافية على هذا السؤال الهام أو تطرق إليه مناخ هذا المنظور . إن الحديث حول المسألة القومية يعد من المحرمات في إيران، لذلك سأحاول في بحثي هذا رفع الستار عن هذا المحرم "تابو" لأنني أعتقد أن إسدال الستار على مسالة بهذه الأهمية والحساسية لم يعد عملا عقلانيا وسيترتب عليه عواقب وخيمة لا تحمد عقباها ، لأن الغالبية العظمى من المواطنين وحتى عدد كبير من الباحثين والمثقفين ليس لديهم المعرفة الصميمية عن المشكلة القومية في إيران .

يقول السيد يوسف عزيزي: "بعد انتصار الثورة في إيران وعلى الرغم من الضجة الكبيرة التي أثارها المنظمات والأحزاب السياسية الإيرانية ، إلا أنه لم تقدم بحوث علمية شاملة حول القوميات في إيران ، وإن كان يقال أن بحوثا قيمة قد نشرت حول هذه المسألة في السنوات الأخيرة خارج البلاد . بدون شك ، أن تنوع الطبيعة الجغرافية والثقافية واللغوية جعل من إيران قارة في حدود واحدة بعبارة أخرى بلد كثير الملل (القوميات)". ويشير الكاتب هنا إلى معرض السياحة الإيراني الذي انعقد تحت شعار "قارة واحدة في حدود واحدة" .

حيث يرى أن ما يقارب من نصف سكان إيران يتكلمون اللغة الفارسية إلا أن ١٥% منهم يتكلمون بلهجات مختلفة هي بالأساس غير مفهومة لمتكلمي اللغة الفارسية .

ومثال على ذلك اللهجة "السمنانية " واللهجة السنكسرية والتي تختلف كثيرا عن اللهجة "الشهرميزادية" في حين أن متكلمي هذه اللهجات لا يبعدون عن بعضهم إلا بضعة كيلو مترات كما أن ٢٥ % من سكان إيران يتكلمون اللغة التركية و١١ % يتكلمون اللغة الكردية و٦ % يتكلمون اللغة العربية و٣ % يتكلمون اللغة البلوشية و٣ % يتكلمون باللغة التركمانية .

وتبقى اللغة الفارسية منتشرة بصورة أساسية في المناطق الرئيسية من إيران ويتحدث بها سكان كل من مدن مشهد وكرمان ويزد وأصفهان وشيراز وكاشان وطهران وقم وهمدان واراك ، أما المناطق المحيطة بهذه المدن فتتكلم بلهجات مختلفة .

حيث يرى بعض الباحثين أن هذه اللهجات هي خليط من اللغات الإيرانية والهندية، في حين يعدها البعض لهجة من لهجات اللغة الفارسية ويستنتج الكاتب أن من بين الصعاب التي يواجهها الباحث حول متكلمي اللهجات هي عدم توفر الإحصائيات الموثوقة حيث لم تتناول إحصاءات أعوام (١٩٥٦ م) و (١٩٦٦ م) و (١٩٧٦ م) و(١٩٨٦ م) و (١٩٩٦ م) متكلمي مختلف القوميات في إيران. لقد وصفت عام (١٩٨٦ م) استمارة من أجل إحصاء تعداد نفوس القوميات في إيران، أنها لم توزع وأسدل الستار عليها حتى يومنا هذا .

يرى الكاتب أن إيران من حيث مقولة التنوع اللغوي تحتل المرتبة السادسة عشر حيث أن ٢ % من سكانها يتكلمون لغة واحدة في حين يتكلم السكان في الكوريتين ١٠٠% لغة واحدة وتحتل المرتبة ١٣٥ وتانزانيا ٧١ % وتحتل المرتبة الأدنى . إن التنوع اللغوي لمختلف الأعراف في إيران يعتبر مؤشرا لتنوع وضعهم الاجتماعي فالبختياريون والقشقائيون يعيشون بشكل قبلي وعشائري ومنهم من هم بدو رحل واليهود يتكلمون اللغة الفارسية، في حين يختلف الزرادشتيون في يزد في اللهجة مع أولئك الناطقين باللغة الفارسية .

لقد أكدت بحوث المؤرخين أن إيران عبر مراحل تاريخية مختلفة بدءا بـ "إيران قبل سيطرة الآريين" و "إيران قبل الإسلام" و "إيران الإسلامية حتى نهاية العهد القاجاري" و "إيران المرحلة البهلوية" و "إيران الجمهورية الإسلامية" قد سكنتها أقوام مختلفة وفي أي من هذه المراحل لم يكن يسكنها عرق واحد وقومية واحدة بمفردها وإنما " الإيرانيون عبارة عن خليط غير متجانس من المجاميع البشرية لذلك فإن إيران اليوم والتي هي في الواقع بقايا مجتمع قديم لا يمكن استثناءها من هذه الحقيقة وحسب وإنما تعتبر من هذه الحقيقة وحسب وإنما تعتبر مثالا بارزا على ذلك . فلا يحدد المجتمع الإيراني اليوم بـ "الآري" وغير "الآري" لأن هذه الجماعات بحد ذاتها لا تتمتع بالتجانس الكافي وعلى أية حال فلقد بين أحد الباحثين الإيرانيين أن هناك ثلاثة أنواع مما يسمى بالأعراق أو الجماعات في إيران، وهي :

ـ جماعات الآريين : وتشمل الأفغان والهزارة والبلوش والبختيارية وسكان محافظة فارس والأصفهانيين والكرمانيين واليزديين والجيلانيين والطاليش ، والمازندرانيين والأكراد واللور وهنا يمكن اعتبار الأكراد واللور بمجموعة قومية لها مقوماتها، إلا أنه لا يمكننا اعتبار الكرماني أو الأصفهاني أو مواطن محافظة فارس على أنه آري بالمفهوم العرقي .

ـــ الجماعات غير الآريين : وتشمل الأتراك والقشقائيون والتركمان والمغول والأرمن وأخيرا الأقوام السامية ونعني بهم العرب واليهود والآشوريين .

ـــ الجماعات المختلطة : لقد تحولت أعراق كبيرة من الأقوام التي سكنت إيران وعلى مدى التاريخ ونتيجة للتزاوج والمصاهرة إلى مجاميع عرقية أو قومية جديدة كما هو الحال بالنسبة للسادة الذين ينتهي نسبهم بالإمام علي ابن أبي طالب ومن ثم إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث يوجد هؤلاء السادة في أوساط مختلف القوميات المسلمة من فرس ، وترك ، وطاجيك وجيلانية ومازندرانية وغيرها من الأقوام الإيرانية في حين أنه وكما أشرنا سابقا ينحدرون من القومية العربية . لقد كانت إيران وفي المرحلة التي سبقت استيلاء رضا شاه البهلوي على الحكم تتكون من مجموعة ولايات متصالحة تسمى بـ "ممالك محروسة إيران" حيث قام رضا شاه بإزالة هذه الممالك وإنهاء النظام الاتحادي الذي كان قائما آنذاك بينها وحل محله مفهوم "الدولة القومية" لا بل الأسوأ من ذلك أنه حول إيران إلى دولة شاهنشاهية تستند على مفهوم العنصر الآري وعلى التمييز العنصري بين القوميات الإيرانية . إن هذا النهج وهذه السياسة العنصرية لم يكن بوسعها توحيد القوميات وحسب وإنما أدت إلى تباعد بينها وبين النظام القائم وإلى إيقاظ الحس القومي لديها .

لقد استخدم رضا شاه جنرالاته الفاشيين من أمثال شاه بختي لضرب العرب في الأحواز (عربستان) أولا ، ثم الأتراك في أذربيجان والأكراد في كردستان ، ثانيا وواصل من بعده ابنه رضا شاه نهج سلفه مستندا على جنرالاته كفضل الله زاهدي وآريانا وعشرات الضباط المدعومين من قبل مثقفين الأحزاب والمنظمات السياسية التي تسير في فلك النظرية الآرية مثل حزب "سومكا" والأحزاب العنصرية الأخرى التي تربط نفسها بالأمة الإيرانية بضرب القوميات الإيرانية وإضعاف لغتها وثقافتها مستندين على العنف والقمع والتمييز العنصري وعملت هذه الأحزاب حتى على إلغاء مادة أو مادتين من دستور "ثورة الدستور" يتعلقان بمسألة القوميات في إيران، وكلنا يعلم أن هذا الدستور ونتيجة المشاركة الفعالة للأذربيجانيين في ثورة الدستور "المشروطة" قد تضمن مادة تتعلق بتشكيل مجالس الولايات والأيالات أي "المجالس المحلية" للحد من تمركز السلطة إلا أن هذه المادة لم تر النور أبدا .

لقد كان المجتمع الإيراني وفي العهد البهلوي مبنيا أساسا على سياسة أحادية الجانب تقوم على صهر القوميات الإيرانية في بوتقة القومية الفارسية . ومما لا شك فيه أن كل منصف ومتابع للتاريخ الإيراني الحديث يشهد أن للقوميات الإيرانية وفي

أوقات حرجة من تاريخ إيران مواقف مشرفة في الدفاع عن السيادة الوطنية والحرية والتدخلات الخارجية، ومثالا على ذلك الشعب الآذري في آذربيجان الذي ساهم مساهمة فعالة في قيام ثورة الدستور والدفاع عنها وكذلك الشعب العربي الذي أبلى بلاء حسنا في الجهاد والدفاع ضد البريطانيين في واقعة "المنجور" في الأحواز أثناء الحرب العالمية الأولى وخلافا لما يعتقد بعض المنظرين المتطرفين من أنصار النظرية الآرية لم يدافعوا عن الحكام المستبدين والشوفينيين مثل رضا شاه وولده من بعده .

لقد عبرت مسألة القوميات عن نفسها وبعد انهيار نظام رضا شاه بهلوي الديكتاتوري بأشكال مختلفة وقد كان هذا التعبير بارزا في أذربيجان وكردستان ولكن في تلك المرحلة لم يكن ذلك النظام قادرا على حل هذه المعضلة الهامة ولا الأجواء العالمية الناتجة عن الحرب الباردة آنذاك وتنافس القوتين العظميين ساعدت على ذلك . وهكذا بقيت القضية القومية وبعد سقوط حكومة مصدق الوطنية كالنار التي تستمر تحت الرماد وقد عبرت عن نفسها مرة أخرى بعد رحيل الشاه وقيام ثورة شباط (فبراير) ١٩٧٩ م .

يقول الباحث : يطالعنا التاريخ الإيراني والعالمي المعاصر أن هذه المعضلة هي معضلة مدنية ولا يمكن حلها عن طريق العنف والقمع وإنما تحل عبر السبل والوسائل الديمقراطية والحضارية .

يبدو لنا ظاهريا أن القائمين على الأمور يسعون في الوقت الراهن في تنفيذ مبدأ المجالس خلال الأعوام القادمة ، فإذا تم ذلك تعتبر هذه خطوة هامة على طريق تأسيس المجتمع المدني وفي موازاة ذلك يجب الاعتراف بنشاط وفعالية الأحزاب والمنظمات السياسية والمهنية المستقلة . ويجب أن تصان حرية التفكير والتعبير ولكن سيبقى المجتمع المدني أعرج يسير على قدم واحدة إذا لم تنفذ بصورة دقيقة وجادة المادة الخامسة عشر التي وردت في دستور الجمهورية الإسلامية .

يرى الكاتب أن المسؤولين الإيرانيين ولحد الآن قد أعطوا الأذن الصماء لسماع الحديث عن هذه القضية وبقيت أقوالهم في واد وأفعالهم في واد آخر، مشيرا بذلك إلى خطاب الحملة الانتخابية الذي ألقاه خاتمي في مدينة "سنندج" والذي تحدث فيه عن الحيف الذي لحق بالأكراد وقلة مشاركتهم في السلطة . كما أن هذه المسألة قد طرحت من قبل المسؤولين في السنوات الأولى والثانية للثورة ، ففي مقابلة صحفية أجرتها "جريدة سلام" في تموز (يوليو) من عام ١٩٩٧م مع أحد أعضاء الدراسات الاستراتيجية الذي أكد على ضرورة إحقاق الحقوق القومية ، لا بل توسع هذا

المسؤول أكثر في الحديث ودعا إلى إقامة نظام فيدرالي في إيران ، وبعد فترة تحدثت وسائل الإعلام عن مشروع حول القوميات في إيران ، يقال أنه قد اقر من قبل "مجمع تشخيص مصلحة النظام" الذي يرأسه الرئيس السابق رفسنجاني؛ إلا أن بنود هذا المشروع بقيت طي الكتمان و لم يتم الحديث عن محتوياته أو الإطلاع على فحواه .

وخلال السنوات الأخيرة حاول عدد من الباحثين إزاحة الستار عن هذا المحرم (تابو) وقدموا بحوثا حول المسألة القومية وقد تناولت مجلة " نكاه نو " أي النظرة الحديثة " وكذلك المجلة الفصلية "كفتكو " أي " الحوار" إلى هذه المسألة الاجتماعية الثقافية الهامة، إلا أن هذه البحوث جاءت أحادية الجانب مقرونة بالتعصب القومي وتفتقر إلى الدقة العلمية والموضوعية والمصداقية ويحاول كتابها وضع العصا في العجلة ، ومما يدعو للأسف أن بعضا من وسائل الإعلام الإيراني سواء بحسن نية أو سوء نية قد نشرت مثل هذه البحوث التي تسيء إلى القضية القومية لأنها بحوث بعيدة عن الواقع، لا بل ملفقة أحيانا ، والأسوأ من ذلك أنها امتنعت من نشر الرد على هذه البحوث .

ومما يبعث الأمل في النفوس أن طرح المسألة القومية قد انتبهت إليه بعض التنظيمات والأحزاب الدينية والمثقفين الدينيين ، حيث كان هذا الطرح يقتصر فيما مضى على الأحزاب اليسارية فقط . مما لا شك فيه أن عقد طاولة إعلامية مستديرة تضم قادة الفكر وطلاب الجامعة وعقد الندوات التلفزيونية من شأنها أن تزيل الغموض وسوء الفهم والالتباس .

العلاقة بين الثقافتين العربية والفارسية هي أكثر الزيجات عراقة واضطرابا

يعد الكاتب والصحافي الإيراني يوسف عزيزي أحد الأدباء العرب الإيرانيين الذين أثروا الأدب الفارسي بأعمال ثقافية ودراسات اجتماعية أكدت التأثير المتبادل بين الثقافتين العربية والفارسية .

صدرت لعزيزي مجموعتان قصصيتان بالفارسية ترجمتا إلى العربية، وعدة دراسات ثقافية واجتماعية وترجمات لعدد من روائع الأدب العربي الحديث لنجيب محفوظ وحنا مينا وغسان كنفاني وأدونيس والبياتي ومحمود درويش والفيتوري .

" تحدث عزيزي لصحيفة (الزمان) عن تأثير الأدب العربي على الأدب الفارسي وقضايا أدبية أخرى .. وهنا نص الحديث : "

ـ نرجو أن تقدم لنا نبذة عن حياتك ؟

-ولدت في عام ١٩٥١ عن أب وأم عربيين إيرانيين في منطقة الحويزة التابعة لمحافظة خوزستان (الأهواز) ، درست الابتدائية فيها وأكملت الثانوية في مدينة الأهواز ومن ثم دخلت كلية الإدارة في جامعة طهران وتخرجت منها عام ١٩٧٣ وحتى دخولي الابتدائية لم أكن أتقن أي لغة ما عدا لغة أمي أي العربية ومنذ سن السابعة بدأت أدرس الفارسية التي أتقنتها وأخذت تجذبني بجمالها الأدبي وعذوبتها وقرابتها من اللغة العربية. أنا عضو في اتحاد الكتاب العرب وعضو مؤسس في اتحاد الكتاب الإيرانيين وأعمل الآن في الصحافة الإيرانية والعربية يتحدد عملي الثقافي والأدبي في ثلاثة مجالات رئيسية هي كتابة القصة حيث صدر لي حتى الآن مجموعتان قصصيتان بالفارسية، ترجمتا إلى العربية، والدراسات الاجتماعية والثقافية حول عرب الأهواز وتشمل كتاب "قبائل وعشائر عرب خوزستان" (الأهواز) والذي ترجم إلى

العربية وصدر في بيروت و كتاب "نسيم كارون" وهو كتاب عربي – فارسي ثلثه دراسات فارسية حول الثقافة واللغة العربية في منطقة الأهواز والثلثان الآخران يحتويان على الشعر والقصة والأمثال والتراث الشعبي لعرب محافظة خوزستان (الأهواز) ثم ترجمة بعض من روائع الأدب العربي الحديث إلى الفارسية ومنها قصص وروايات لنجيب محفوظ وحنا مينه وغسان كنفاني وابن جلون وروائيين عرب آخرين ، فضلا عن ترجمة الشعر لأدونيس ومحمود درويش والبياتي والفيتوري ودراسات اجتماعية وفكرية أخرى حول العالم العربي .

ـ يقول بعض المثقفين القوميين الفرس أن الفتح العربي – الإسلامي لإيران قد أعاق عملية التطور الحضاري في إيران ما هو رأيكم في هذا الخصوص ؟

ـ أنا أيضا سمعت هذا الكلام مرارا . فهؤلاء القوميون يدعون أن العرب المسلمين ولفتحهم لإيران في القرن السابع الميلادي دمروا البنية التحتية للاقتصاد الإيراني وأدوات الإنتاج المتطورة آنذاك وأعاقوا بذلك عملية التطور الاقتصادي والاجتماعي لبلاد فارس أي إحدى الدولتين العظميين آنئذ وحرفوا البلاد عن مسارها الطبيعي الذي كانت عليه . إن هذا الكلام منمط ومعسول ويثير شهية المشاعر القومية المتطرفة عند فئات من الشعب الإيراني غير أن معظم الإيرانيين وأنا منهم يرون في هذا نوعا من السفسطة والابتعاد عن التحليل العلمي والتاريخي للقضية . صحيح أن الدولة الفارسية ومنذ عهد الأخمينيين أي قبل ٢٥٠٠ سنة بدأت تعزز مكانها بين الأمم والشعوب وأنشأت إمبراطورية واسعة خلقت من إيران قوة عظمى تناطحت مع الإغريق لفترة من الزمن وتنافست بعد ذلك مع الإمبراطورية الرومانية غير أن الإمبراطورية الفارسية هرمت ووصلت إلى طريق مسدود تاريخيا في أواخر العهد الساساني ولأسباب عدة أهمها : أولا الحروب الإيرانية – الرومانية والتي دامت عدة قرون وأدت إلى إفلاس خزانة البلاط وأنهكت الجيوش والناس العاديين الذين كانوا عادة وقودا لمثل هذه الحروب .

ثانيا : أخذت التركيبة الاجتماعية والاقتصادية للإمبراطورية الفارسية في عهد الساسانيين منحى طبقيا رهيبا وبذلك أصبح الأكاسرة وبلاطهم وحاشيتهم من كبار علماء الدين الزرادشتي والقادة العسكريين والإقطاعيين في أعلى السلم الاقتصادي للمجتمع . فهؤلاء كانوا يحتكرون ثروات البلاد، إذ كانت هناك خطوط حمراء تفصل الطبقات الاجتماعية بعضها عن بعض، حيث لم يكن يستطع – مثلا – ابن الحذاء أن

يختار عملا غير تصليح الأحذية وابن الفلاح غير الفلاحة وقس على هذا . وهذه أمور معروفة في التاريخ الإيراني . وكما كتب الكاتب الإيراني المعاصر جلال آل الأحمد أن الجماهير الإيرانية استقبلت الجيوش العربية – الإسلامية الغازية بالخبز والتمر وذلك بعد أن تقهقر الجيش الملكي الساساني المدجج بالسلاح المتطور آنذاك والمجهز بالفيلة أمام حملات العرب المسلمين الحفاة . فهذا يعني أن المجتمع الإيراني في القرن السابع الميلادي كان في ذروة التفسخ الاجتماعي والطبقي وكانت الجماهير الشعبية تكن أشد الكراهية لكبار علماء الدين المجوس والبلاط الساساني . فهذه الظروف مهدت لانهيار الإمبراطورية الساسانية العظمى حيث كانت كالتفاحة الناضجة لم يتطلب اقتطافها جهدا كبيرا . ويمكن القول أنه لو لم يقم المسلمون العرب بفتح البلاد لفتحها آخرون والديانة المرشحة التي كانت تهدد الزرادشتية قبل ظهور الإسلام هي المسيحية لأنها كانت متغلغلة في ثنايا بعض الفئات الاجتماعية الإيرانية آنذاك .

فقد غير الفتح العربي الإسلامي الأوضاع السياسية بصورة جذرية وأثر بعمق في الأوضاع الحضارية . أسقط الفتح الدولة الساسانية، وأزال نظام الطبقات وهيمنة الزرادشتية . وتلا الفتح مجي جماعات من القبائل العربية وخصوصا من الكوفة والبصرة إلى المراكز الإدارية في إيران مثل أصفهان ومرو وبلخ . كما وكان هناك قبائل عربية تعيش قبل الإسلام في منطقة الأهواز ساعدت جيوش العرب المسلمين ضد " هرمزان " الحاكم الساساني للمنطقة آنذاك .

وأما الحروب والعدوان والفتوحات فهي من سمات تاريخ البشرية الطويل والدامي ولا يوجد على وجه الأرض شعب معصوم من الأخطاء وكما كانت الشعوب الأخرى تغزو إيران كالإغريق بقيادة الاسكندر الأكبر والعرب المسلمين والمغول وآخرين فإن الإيرانيين أيضا كانوا يقومون بغزو البلاد الأخرى كما يروي لنا التاريخ، فهذا غوروش (سيروس) مؤسس الأسرة الأخمينية ، احتل بدوره بلادا واسعة من نهر السند إلى النيل وأنشأ الإمبراطورية الأخمينية وأباد شعوبا بأسرها كالآشوريين والعلاميين وكذلك داريوس وكامبوجيه الأخمينيين وبعض الملوك الساسانيين كسابور وأنو شروان الذين قاموا باحتلال بابل وسوريا ومصر، لنصل إلى ما بعد الإسلام حيث قام الأباطرة محمود الغزنوي ونادر شاه الأفشاري بتدمير بلدان غنية ماديا وثقافيا كالهند ونهبوا خزائنها وثرواتها، ناهيك عن آغا محمد خان القاجاري الذي صنع المنارات والقبب من جماجم ورؤوس الإيرانيين أنفسهم في كرمان وتفليس ومناطق أخرى من الإمبراطورية الفارسية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي . ينبغي أن نذكر

أن هناك فرقا بين العرب الذين كانوا يحملون رسالة دينية وفكرية جديدة منبعثة من ثورة إسلامية عظيمة حدثت في شبه الجزيرة العربية وشعوب شبه متوحشة كالمغول والتتار . وما دام التاريخ يجري ويسير لن تنتهي سلسلة الحروب والغزوات في العالم . حتى في زماننا هذا وقبل خمسين عاما شاهدناه حروبا دامية ومدمرة حدثت بين شعوب تدعي بالتحضر والتطور أقصد الشعوب الأوروبية . وأن أمنية الإنسان لبلوغ عالم خال من الحروب لا تزال بعيدة المنال .

ـ هل لك أن تحدثنا عن العلاقات الإيرانية – العربية عبر التاريخ ؟

ـ يقول الباحث العربي عبد العزيز الدوري أن جذور العلاقات الإيرانية ـ العربية تعود إلى ما قبل الإسلام حيث كانت هناك علاقات عامة مباشرة بين إيران ووادي الرافدين ومنطقة الخليج . وفي الفترة الساسانية توسع الفرس إلى العراق . كما امتدت الهيمنة الساسانية في فترات إلى غرب الخليج وبعض سواحل عمان حيث كانت هناك علاقات خاصة تربط الأكاسرة الساسانيين بملوك آل الجلندي في عمان . وبالمقابل، فإن ضغط البدو على وادي الرافدين بالهجرة والغزو لم ينقطع ومن هنا جاء قيام مملكة الحيرة، وبينما كان المناذرة يشعرون بصلات بالقبائل العربية في الجزيرة، فإن الفرس أرادوا بهم أن يكونوا سدا أمام هذه القبائل .

وفي الثلث الأخير للقرن السادس الميلادي مد الفرس هيمنتهم إلى اليمن إثر استنجاد أحد أعيان اليمن سيف بن ذي يزن بهم لطرد الأحباش منها . ويشير الشاعر البحتري بعد قرنين ونصف من الزمان مقدرا بقوله :

أيدوا ملكنا وشدوا قواه   بحماة تحت السنور حمس

ويذكر التاريخ وجود حلقات للأدباء والشعراء وازدهار للشعر والأدب في بلاط الساسانيين في اليمن وعندما سئل شاعر ليوصف حكام اليمن آنذاك حيث كان " ظفار " مركزا لهم يقول الشاعر :

يوم شيدت ظفار قيل : لمن أنت ؟ فقالت : لحمير الأخيار ثم سئلت : من بعد ذاك فقالت : إن ملكي للأحبش الأشرار ثم سئلت : من بعد ذاك فقالت : إن ملكي لفارس الأحرار . ثم سئلت : من بعد ذاك فقالت : إن ملكي إلى قريش التجار . ثم سئلت : من بعد ذاك فقالت : إن ملكي لحمير صهار وقليلا ما يلبث القوم فيها .

منذ شيدت مشيدها للبوار

من أسود يلقيهم البحر فيها

تشعر النار في أعالي الديار

ويقول المسعودي في كتاب "مروج الذهب" بشأن العلاقات الإيرانية — العربية في الأزمنة القديمة: كان الإيرانيون القدماء يزورون الكعبة ويطوفون حولها ويعظمونها احتراما للنبي إبراهيم . ويضيف أن ساسان بن بابك وهو أول ملك من الأكاسرة الساسانيين كان يترنم بكلمات قرب بئر إسماعيل وذلك عندما توجه لحج البيت العتيق ويعتقد المسعودي إن بئر زمزم جاء من كلمة "زمزم" أي الترنم بالفارسية . ويقول الشاعر في هذا الصدد:

زمزمت الفرس على زمزم

وذاك من سالفها الأقدم

كما وتباهى بعض شعراء الفرس بعد الإسلام بهذا الموضوع وأنشدوا :

وساسان بابك سار حتى

أتى البيت العتيق بطواف دنيا

فطاف به وزمزم عند بئر

لإسماعيل تروي الشاربينا

وهناك بعض التواريخ تتحدث عن إنشاد الشعر العربي من قبل الأكاسرة الساسانيين كـ "بهرام غور" و "يزد جرد" و "قباد" وهذا يدل على وجود علاقات أدبية متينة بين الجارين التاريخيين العرب والإيرانيين، كما أن هناك الكثير من الأمثال والكلمات المأثورة في الأدب العربي هي نتاج لفكر وزراء إيرانيين كبار مثل بوذر جمهر وزير كسرى أنو شروان حيث تم تدوين معظمها فيما بعد في كتاب "جمهرة رسائل العرب" أو في كتابات الجاحظ . ولعل العلاقات الثقافية الحضارية كانت أوسع، فالخط المسماري، ثم الآرامي ، مع الكثير من المصطلحات الحضارية انتقلت إلى الفهلوية أي الفارسية القديمة قبل الإسلام .

ويؤكد الباحث العربي عبد العزيز الدوري أن الفترة الأموية شهدت عملية ترجمة واسعة بتعريب الدواوين المالية في الولايات الشرقية ــ الإيرانية ــ وهي عملية أنجزت خلال نصف قرن فأغنت العربية ومكنتها أن تصبح لغة إدارة لا لغة الثقافة وحسب. وفي هذه الفترة وضعت أسس العلوم الإسلامية وعلوم العربية وبدت مساهمة غير العرب وخصوصا الفرس فيها. كما شهدت الفترة اختلاطا واسعا في المراكز العربية كالبصرة والكوفة ، بما في ذلك مصاهرات واسعة بين العرب والفرس .

وكانت خراسان وبعض مناطق أخرى من إيران مسرح نشاط الدعوة العباسية ومن الممكن اعتبار مجيء العباسيين بداية مرحلة جديدة إذ كان العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢١٨ هـ) عصر التعاون الواسع بين العرب والفرس . لكن هذا التعاون الواسع ولأسباب عديدة لم يستمر ، كما أن الدعوة العباسية لم تف بوعودها وقامت ثورات شعبية غير دينية مثل "الخرمية" ضد الاضطهاد الاجتماعي والطبقي وكان للكتاب دور في الترجمة عن الفارسية وفي محاولة نقل التراث الساساني. والحديث عن العلاقات العربية الإيرانية يجد صفحاته اللامعة في الثقافة، وأن الكتب العلمية لم تترجم إلى العربية من السريانية فحسب بل ترجم بعضها من الفهلوية وأفادت العلوم الطبية من مدرسة جند يسابور بالترجمة والكتابة. وكان للأكاسرة علاقات سياسية وعسكرية واقتصادية وطيدة مع إمارة الحيرة العربية التي كانت تقع جنوب العراق وكان المناذرة درعا قويا لهم أمام الهجمات الرومانية أولا والقبائل العربية البدوية ثانيا .

وكان هناك مترجمون عرب في بلاط الأكاسرة الساسانيين ويمكن أن نشاهد انعكاس التبادل الحضاري بين الفرس والعرب في الأدب والشعر الجاهليين ، ناهيك عن القضايا التي رواها المؤرخون منها امتناع حاكم الحيرة عن تزويج ابنته لأحد أبناء كسرى أو قضية إعداد وتربية كسرى بهرام الساساني في بلاط حكام الحيرة وقضايا أخرى تؤكد مدى التبادل الحضاري بين الشعبين الجارين . ويمكن القول أنه لا يوجد أدبان في العالم بينهما علاقة وتواصل وثيقان كما هو الحال بين الأدب العربي والأدب الفارسي . وتأثير الأدب العربي على الأدب الفارسي كتأثير الأدب اليوناني على الأدب اللاتيني . فهذا الترابط ينشأ عن العرى والعلاقات الوثيقة والقديمة جدا بين اللغتين العربية والفارسية قبل الإسلام وبعده . فالأخيرة تطورت بشكل كبير بعد دخول الإسلام إلى إيران واستخدام الإيرانيين الأبجدية العربية . فقبل الإسلام كان الإيرانيون يكتبون بالخط الآرامي وهو خط صعب جدا ، فكانوا يواجهون صعوبة بالغة في قراءة هذا الخط . فعلى سبيل المثال إذا كان أحد منهم يريد أن يكتب له كلمة " لحم " فكان يكتبها بشكل "بسرى" ويقرأها "لحم" وكانت هذه ازدواجية بين القراءة والكتابة تخلق مشاكل جمة . ولما دخل الإسلام إيران ومعه الحرف العربي أصبحت هناك نقلة نوعية في اللغة الفارسية وذلك باندماجها مع الخط العربي واستخدامها له فاستفادت في الكثير من مفرداته . فإذا درسنا الأدب الفارسي قبل الإسلام نجد أنه معدوم الإبداع في مجال الشعر إذ يصعب علينا العثور على قصيدة واحدة في تلك الحقبة ولكن بعد اندماج الفارسية القديمة ـــ الفهلوية ـــ والعربية وانبثاق اللغة

الفارسية الجديدة نرى العديد من شعراء الفرس العظام يتألقون في سماء الأدب الفارسي بل والعالمي، منهم الرودكي وسعدي الشيرازي وعمر الخيام وحافظ الشيرازي والرومي وفريد الدين العطار والفردوسي والسنائي وناصر خسرو البلخي والقائمة طويلة جدا . والسبب هو السهولة في قراءة الخط العربي واندماج اللغتين العربية والفارسية حيث أستطيع أن أقول أن أكثر من ستين في المائة من المفردات الفارسية الآن هي عربية الأصل . وقد حاول الشاعر أبو القاسم الفردوسي وبسبب نزعته القومية آنذاك أن يقلل من استخدامه للكلمات العربية في ملحمة الشاهنامة لكن وفي النهاية اضطر أن يستخدم المفردات العربية التي شكلت حوالي ٣٠ في المائة من مجموع الكلمات في الشاهنامة .

واقتبس الشعراء الفرس نفس الأوزان التي كانت سائدة في الشعر العربي والتي طورها خليل بن أحمد الفراهيدي . فقد أعطى العرب الفرس ، الشعر الغنائي الذي زرعوه في تربة الأدب الفارسي بعد أن كانت أرضهم مقفرة منه . إذ لم يكن الفرس ـ وكما قلت سابقا ـ يعرفون الشعر بمعناه الحقيقي، إلا بعد أن تتلمذوا على يد العرب وحسبنا نظرة نلقيها على عدد من شعراء الفرس الذين قالوا الشعر بالعربية للبرهان على تعلق الفرس بالأدب العربي والثقافة العربية عامة. فأول من قام بترجمة القرآن إلى لغة أخرى غير العربية كان سلمان الفارسي حيث ترجم بعض الآيات القرآنية إلى الفارسية وعرضها على النبي (صلعم) ، كما ثابر علماء الفرس على تطوير الصرف والنحو العربيين وعملوا على صياغة قواعده وأهملوا لغتهم الفارسية لكي يقدموا بذلك الخدمة التاريخية للغة الدين والدنيا . ناهيك عن مشاركتهم في تحديد اللغة العربية وتطوير الكتابة نصا وشعرا .فقد كانت العربية لغة الثقافة في دار الإسلام في القرون الأربعة الأولى للهجرة، أو بتعبيرنا اليوم كانت اللغة الدولية في المعاملات والمداولات والعلاقات بين الدول الإسلامية في مرافق العلم والدين والأدب والثقافة والسياسة .

ـ هل شهد الأدب الفارسي كنظيره العربي فترة انحطاط ؟

ـ خيم ولمدة قرنين كاملين صمت مطبق على الأدب الفارسي حيث وصفت هذه الفترة بـ " دو قرن سكوت " أي قرنان من السكوت من قبل مؤرخي الأدب الفارسي وذلك إثر الصدمة المذهلة التي تلقتها الثقافة الفارسية عامة واللغة والأدب خاصة بسبب سيطرة اللغة والثقافة الفاتحة للبلاد . غير انه وبحدوث الحركات

الاجتماعية والسياسية والثقافية والقومية وخاصة بعد ظهور العوائل الفارسية الحاكمة في خراسان وسيستان مثل الطاهريين والصفاريين، تنفست اللغة الفارسية الصعداء وأخذ الشعراء الإيرانيون ينشدون القصائد الفارسية. ومن أبرز هؤلاء الرودكي الشاعر الضرير من ولاية خراسان. وقد بلغ الشعر والأدب الفارسي ذروة ازدهارهما في القرن الثامن الهجري (الرابع العشر الميلادي) على يد الشاعر الغنائي العظيم حافظ الشيرازي، لكن الخط البياني للشعر الفارسي وبعد حافظ الشيرازي شهد نزولا ملموسا استمر حتى مطلع القرن العشرين الميلادي. فهذا الانحطاط كان يشبه انحطاط الشعر والأدب العربيين في عصر المماليك والعثمانيين . في هذه الفترة أي منذ القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر الهجري اتجه الأدب الفارسي إلى مكاتب أدبية تركز على الغموض والتعقيد في الشعر والزخرفة والغلو في الصناعات الأدبية وإقحام المفردات العربية بكثرة وبشكل ممل في النثر الفارسي. هذا ما شاهدناه في المكتب "الهندي" والذي مثله أحسن تمثيل الشاعر الإيراني صائب التبريزي في الشعر الفارسي ونصر الله المنشي في النثر أي في ترجمته لكليلة ودمنة من العربية إلى الفارسية . وكما ذكرت إن هذا الوضع استمر حتى القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) عندما أخذ قائم مقام الفراهاني ، وزير محمد شاه القاجاري بالتجديد في النثر الفارسي وذلك في كتابه المعروف بـ "منشآت قائم مقام" لكن الشعر داوم على ركوده واستمر الشعراء على نهج وأسلوب حافظ وسعدي و لم يتجاوزوا دائرة التقليد والتكرار .

وظهرت أولى اهتمامات التجديد بين الشعراء الإيرانيين في أوائل القرن العشرين وذلك إثر احتكاكهم بالأدب الأوروبي وخاصة الفرنسي منه وكان للشاعر الإنكليزي تي اس اليوت تأثيره الحاسم على ينمايوشيج الشاعر الإيراني الأول الذي قام بتكسير الأوزان الخليلية في الشعر العمودي الفارسي حيث طبع في العام ١٩٢٥ أول قصيدة حديثة له بعنوان (أفسانة) وهي كلمة فارسية لها معنيين مزدوجين الأول بمعنى الأسطورة والثاني اسم امرأة هي محبوبة الشاعر ، وهذا الشعر الذي سمي في إيران بـ "شعرنو" أي الشعر الحديث الفارسي يشابه قصيدة التفعيلة الذي بدأ بدر شاكر السياب بتشييدها بعد الحرب العالمية الثانية . كما وشهدت هذه الفترة عدة محاولات للتجديد في القصة والرواية وبرز كتاب مرموقين كمحمد علي جمال زادة في القصة وصادق هدايت في الرواية الفارسية والأدب الإيراني الحديث يضم أساسا الأدب الفارسي كما وأدب القوميات الإيرانية الأخرى كالأدب التركي الآذري والكردي والعربي الأهوازي والتركماني والبلوشي .. إلخ .

الثورة الإيرانية في عامها العشرين : آفاق وتحديات

أدت سياسات الشاه محمد رضا بهلوي اللا متوازنة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً إلى ثورة شعبية عارمة أسقطت النظام الشاهنشاهي في إيران بعد حكم دام ٢٥٠٠ عام، وقد كانت الثورة التي قامت في ١١ فبراير ١٩٧٩ استمراراً لثورة الدستور ذات الصبغة التحررية والديمقراطية والتي انتصرت بدورها عام ١٩٠٨ على استبداد عائلة "القاجار" الحاكمة آنذاك.

وقد شهدت الساحة الإيرانية في القرن العشرين ثورتين عظيمتين متتاليتين وفي أقل من سبعين عاماً، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على رغبة الشعب الإيراني المتواصلة للتغيير والتطور.

لا شك أن كل ثورة تترافق عادة مع تخريب للبنى السياسية والاجتماعية والثقافية، بل والاقتصادية حيث يحترق فيها الأخضر واليابس، وهذا يطرح السؤال التالي : لماذا الشعب الإيراني اختار طريق الثورات وفي هذه المدة القصيرة تاريخياً ؟ هل هو محب للعنف أم أنه شعب مسالم ؟ والجواب هو: إن الجماهير الإيرانية وصفوفها السياسية والمثقفة وكما كنت شاهداً عليه شخصياً في عهد الشاه وكما قرأته عن ملوك القاجار، لم تأل جهداً لحل قضاياه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بشكل مسالم، غير أن الاستبداد المتأصل في هذه الأرض والتي كانت إيران إحدى معاقله المهمة في آسيا والديكتاتوريات المتجذرة في تاريخ البلد، كانت تمنع أي تغيير سلمي أو إصلاحي في النظام السياسي للبلاد.

وإذا قارنا الثورة الإيرانية في فبراير ١٩٧٩ بسائر الثورات المهمة في العالم كالثورة الفرنسية والثورة الروسية نرى أنها كانت أكثر الثورات شعبية حيث كانت نسبة المشاركة الجماهيرية فيها عالية جداً، إذ لم يشهد التاريخ نظيراً لمثل هذه النسبة وهذا ما أكده معظم المؤرخين للثورات في العالم. فأذكر القارئ هنا بمشاركة أكثر من عشرة ملايين متظاهر إيراني يوم " عاشوراء " عام ١٩٧٨ في طول إيران وعرضها حيث شارك في العاصمة

الإيرانية وحدها أكثر من مليون شخص في تلك التظاهرات التي قادهـا الزعيم الديني الوطني آية الله محمود الطالقاني وذلك عندما كان آية الله الخميني منفياً في باريس. كما ويمكن أن نعتبر الثورة الإيرانية ثورة مسالمة قياساً بالثورة الجزائرية – ذات المليون شهيد – في الخمسينات والثورتين الصينية والفيتنامية الداميتين في هذا القرن .

الجمهورية الأولى وأكل الثورة لأبنائها

إن أهم حدث قام به زعماء الثورة هو القيام باستفتاء شعبي لإرساء الجمهورية الإسلامية في إبريل عام ١٩٧٩ حيث قامت أول جمهورية في إيران عرفت فيما بعد بالجمهورية الأولى. وبانتصار الثورة الإسلامية على الأيديولوجية الملكية تمكنت القوى الدينية بقيادة آية الله الخميني الكاريزمية من الغلبة على سائر الأيديولوجيات المشاركة في الثورة كاليسارية والقومية وذلك لأسباب مختلفة لا مجال هنا لشرحها وقد تم القضاء على معظم الأحزاب والتيارات السياسية المنافسة للأيديولوجيات الإسلامية – بما فيها الخاصة بالقوميات غير الفارسية – بشكل تدريجي وخلال العامين الأولين من عمر الثورة، حيث كانت هذه الأحزاب قد ظهرت بكثرة بعد قيام الثورة.

وقد شرعت الثورة الإيرانية وكمعظم ثورات العالم بأكل أبنائها من منظمات وشخصيات وذلك بعد أن استقرت على أرض الواقع، لكن أول ما قامت به الثورة الإسلامية في إيران هو تصفية أعدائها الملكيين واليساريين.

لم ينقض عام كامل على عمر الثورة حتى احتل الطلبة الراديكاليين السفارة الأميركية وبذلك أجبروا أول حكومة مؤقتة للثورة برئاسة المهندس مهدي بازرغان بالاستقالة، إذ تحول بازرغان وحزبه "حركة حرية إيران" وحليفتها "الجبهة الوطنية" ومنذ ذلك الحين إلى معارضة حيث كانت هي – أي حركة حرية إيران – الوحيدة التي عارضت مواصلة الحرب مع العراق بعد استعادة مدينة خورمشهر "المحمرة " من الجيش العراقي. بعد ذلك جاء أبو الحسن بني صدر أول رئيس للجمهورية الإسلامية في إيران ومسعود رجوي زعيم منظمة مجاهدي خلق اللذان اضطرا للهروب من إيران هرباً على متن طائرة مدنية عام ١٩٨١ حيث انتهجت المنظمة بعد ذلك نهج الكفاح المسلح واستقرت في العراق نهائياً".

وكان الشعار الأساسي للثورة والتي أعلنته الجماهير الإيرانية خلال تظاهراتها الواسعة والكاسحة ضد حكم الشاه محمد رضا البهلوي هو "استقلال، حرية وجمهورية إسلامية".

ويعتقد المحللون أن جزأين من ثلاثة أجزاء هذا الشعار أي "الاستقلال" و "الجمهورية الإسلامية" قد تحققا بفعل نضال الشعوب الإيرانية الحثيث غير أن جزء "الحرية" لا يزال

غير محقق بشكل كامل وذلك رغم طموح الإيرانيين وكفاحهم للحصول على هذا المبدأ الإنساني النبيل والقيم، وهذا ما تطالب به الصفوة الإيرانية وأحزابها السياسية الإصلاحية هذه الأيام أي بعد انتخاب خاتمي رئيساً للجمهورية في إيران.

وقد سادت البلاد ظروف استثنائية بعد اندلاع الحرب العراقية – الإيرانية والتي استمرت لمدة ثماني سنوات توقف خلالها أي نشاط سياسي يطالب بالحرية والديمقراطية وسيادة القانون، وقد تراكمت المطالبات الشعبية التي تفجرت عام ١٩٨٩ لتكشف عن نفسها مرة – ولو بشكل محدود – في عهد الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني حتى إن وجدت ضالتها في الرئيس خاتمي بعد أن قامت الجماهير الإيرانية بانتخابه في مايو ١٩٩٧ رئيساً للبلاد.

الجمهورية الثانية

تبدأ الجمهورية الثانية عام ١٩٨٨ وهو عام انتهاء الحرب مع العراق ووصول هاشمي رفسنجاني إلى دفة الحكم في إيران حيث شرع الوضع يتحسن بالتدريج وبدأت بعض الأصوات – خائفة ومرتجفة – تنتقد الظروف السياسية والاجتماعية والمعيشة في البلاد. وأخذت الصحف والمجلات تتزايد خصوصاً في السنوات الأربع الثانية لرئاسته. فكان أهم حدث ثقافي هو تحول المفكر الديني د. عبد الكريم سروش من موقفه السابق كمنظر للسلطة إلى موقف جديد منتقد للسلطة. وقد كان لأفكار سروش تأثير جلي على المثقفين والطلبة في الجامعات حيث يمكن مقارنة دوره في حركة التنوير الإيرانية بما قام به د. علي شريعتي من دور تنويري في عهد الشاه. وبذلك وتحت ضغط الحركة الطلابية المتنامية، تم فتح بعض المنافذ الثقافية والسياسية – وبخاصة في الجامعات – للتنفيس عن المطالبات الشعبية والاستياء المتعاظم بين الشباب.

وقد كان تركيز رفسنجاني وحكومته التقنوقراطية على الاقتصاد وإعادة إعمار المؤسسات الصناعية والاقتصادية التي دمرها الحرب و لم يول اهتماماً كبيراً لقضية الحريات السياسية والثقافية بشكل عام وقد نشطت الفصائل المتشددة والتي كانت ولا تزال تلقي الدعم من بعض مراكز القوى في السلطة، نشطت خلال هذه الفترة وكرد فعل على الحركة الإصلاحية الوليدة التي أخذت تعيد التنظر في معظم مفاهيم الثورة وقيمها؛ ومثال على ذلك تأكيد التحديثيين على دور الجماهير في انتخاب مؤسسات السلطة والدولة من القمة إلى القاعدة والتأكيد على سواسية جميع المواطنين أمام القانون حيث لا يشذ أحد من

ذلك ليكون فوق القانون وكذلك سعيهم الحثيث للتقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية والتي لا يزال يصفها المحافظون بالشيطان الأكبر.

الجمهورية الثالثة وآفاق الثورة

تبدأ الجمهورية الثالثة في إيران بانتصار محمد خاتمي الساحق وبأكثر من عشرين مليون صوت على منافسه المحافظ علي أكبر نوري حيث أخذت الثورة الإيرانية منحى جديداً في هذه المرحلة يختلف عما كانت عليه سابقاً؛ وقد أكد خاتمي في حملته الانتخابية على شعارات سلطة القانون وإرساء مؤسسات المجتمع المدني والسير بإيران نحو الديمقراطية وضمان الحريات السياسية وحرية التعبير للمواطنين الإيرانيين. ناهيك عن تأكيده على إزالة التوتر في العلاقات مع دول الجوار والعالم وضرورة الحوار بين الحضارات، وقد ظل خاتمي متمسكاً بشعاراته حتى هذه الساعة.

لا شك أن الحركة الإصلاحية التي ترعرعت ـــ رغم كل التحديات التي واجهتها من التيارات المحافظة واليمين الديني المتطرف ـــ هي التي خلقت خاتمي وليس العكس صحيحاً. كما ولا يمكن مقارنة خاتمي بغورباتشيف آخر زعماء الاتحاد السوفياتي، وذلك رغم وجود بعض القواسم المشتركة كوجود أنظمة أيديولوجية وشمولية في كل من البلدين. غير أن هناك فرقاً شاسعاً بين إيران والاتحاد السوفياتي حيث لم تشهد إيران خلال الأعوام العشرين المنصرمة سلطة الحزب الواحد و لم تخل الساحة الإيرانية وفي أحلك ظروف الحرب العراقية – الإيرانية من المعارضة السياسية في الداخل كما ذكرنا آنفاً. و لم تكن هناك سلطة مطلقة للقطاع العام البيروقراطي في إيران حيث يؤكد الدستور الإيراني على وجود ثلاثة قطاعات حكومية وخاصة وتعاونية في الاقتصاد ولا يمكن أن ننسى الفرق بين غورباتشيف وخاتمي. فبالرغم من وجود حوافز إصلاحية قوية لدى الرجلين غير أن ميخائيل غورباتشيف يتعدى كونه رجل سياسة فحسب فيما يعتبر خاتمي رجل دين وسياسة وفكر يقدم بين الحين والآخر أطروحات فكرية ونظرية وسياسية. خاتمي رجل وطني لكنه خلافاً للزعيم الوطني السابق د. مصدق لم يتبن الأيديولوجية القومية الإيرانية القائمة على القومية الفارسية.

فهو رجل دين متنور يجمع بين جمال الدين الأفغاني و. علي شريعتي و مصدق والطالقاني، وحتى نوعاً ما، يشابه في شخصيته الزعيم الوطني القبرصي الأسقف سكاريوس الذي كان يحظى بمساندة الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر. لا تصنف حالياً وخلافاً لمرحلة "ما قبل انتخاب خاتمي سنتين" القوى السياسية في إيران بالقوى الدينية

والقوى غير الدينية لأن خاتمي وهو رجل دين يحمل الآن علم المجتمع المدني وحرية الصحافة وهذا ما يطالب به العلمانيون أيضاً. لا شك أن هناك حذراً ماثلاً أمام أعين الإصلاحيين من وجود هجوم مضاد من المحافظين للاستئثار بالسلطة والسيطرة المطلقة على الوضع السياسي في البلاد وذلك لإضعاف أو عزل التيارات الإصلاحية من السلطة.

وبعد عام ونصف عام من عمر حكومة خاتمي يمكن القول أن دبلوماسية خاتمي ورغم المعارضة الشرسة التي تواجهها من المتشددين ـــ والتي تترافق مرات بأعمال عنف منافية للديمقراطية ـــ كانت ناجحة حيث عمل على تحييد مرشد الثورة بل وكسب ثقته، خصوصاً في الفترة الأخيرة وأثار بهذا الأمر غضب المتطرفين الدينيين. وقد نجح خاتمي في ثلاثة مجالات مختلفة : ١-إلى حرية الصحافة، ٢-تشكيل الأحزاب السياسية والمنظمات المهنية، ٣-السياسة الخارجية وإزالة التوتر مع أوروبا والعالم العربي.

ويشبه بعض المحللين التيارين الرئيسيين المتنافسين في إيران – أي المحافظين والإصلاحيين بمصارعين لا يمكن لأحد منهما أن يطرح الثاني أرضاً في حلبة الصراع الجاري الآن على السلطة ويقول هؤلاء المحللون أن للمصارعين قوة متوازنة ومتساوية لا يمكن لأحد منهما أن يغلب الثاني بسهولة اللهم أن تقع أحداث مفاجئة لا يعرفها إلا الله.

ويعتقد المحللون أن التيار المحافظ قد خسر المعركة بعد انتخابات مايو الرئاسية عام ١٩٩٧ فكريا واستراتيجياً حيث لم يعد عند هذا التيار شيء حالياً يقوله للشباب والنساء والشعوب الإيرانية في مجال الفكر والثقافة، لكن سياسياً يسيطر المحافظون على ٧٥ في المائة من أجهزة السلطة مثل السلطة القضائية والأغلبية في البرلمان وقوات الأمن الداخلي. وهذا يعني أن خاتمي وحكومته يتمتعان بـــ ٢٥ في المائة فقط من أجهزة السلطة في إيران غير أن المعادلة السياسية القائمة هي قصيرة الأمد وهناك متغيرات ستلعب دورها في المدى المتوسط حيث ستتغير الكفة لصالح خاتمي ومؤيديه، مثلاً في البرلمان الذي ستجري انتخاباته في شهر مارس ٢٠٠٠. أما وزارة الاستخبارات وبعد الضربة التي سددت ضد المتشددين فيها، شرع خاتمي وبعد ضلوع بعض عناصر هذه الوزارة في الاغتيالات السياسية بإصلاح تركيبتها وذلك لتخليصها من سيطرة المحافظين لتكون تحت إمرته.

وعندما نتحدث عن دور الشباب والنساء في إيران ومعارضتهم للسياسات التقليدية للمحافظين التي عفا عليها الزمن وتأييدهم لسياسات الإصلاحيين وعلى رأسهم الرئيس خاتمي ينبغي أن نعلم بأن هناك أكثر من مليوني طالب يدرسون حالياً في الجامعات الإيرانية، كما وقد تضاعف عدد خريجي الجامعات مرات عدة قياساً لعام قيام الثورة قبل عشرين سنة، حيث يشكل الشباب الآن أكثر من نصف السكان في إيران وتحتل النساء

نحو ٤٥ في المائة من الوظائف الحكومية وهؤلاء جميعاً يطالبون بالتغيير والتحول في إيـــران اليوم.

فمن المشاكل الأساسية التي تواجهها حكومة الرئيس خاتمي هي الأزمة الاقتصاديـــة التي تعصف بالبلاد والناجمة عن انخفاض أسعار النفط في العالم حيث تعاني الكثـــير مـــن المعامل والمصانع من شحة المواد الأولية والتي تحتاج إلى العملة الصعبة لاســـتيرادها مـــن الخارج وهذا بدوره يسبب البطالة والغلاء والتضخم في الأسعار. أضف إلى ذلك إيقـــاف الكثير من المشاريع العمرانية للحكومة بسبب العجز في الميزانية غير أن الوضع الاقتصـــادي ورغم خطورته لا يهدد حكومة خاتمي التي تتمتع بمساندة شعبية واسعة، ويمكن القول أنـــه لو كانت حكومة غير شعبية أخرى بدل حكومة خاتمي في إيران لاندلعت الاضطرابـــات بين الشرائح المختلفة وخصوصاً الطبقات المعوزة بسبب ما ذكرناه من أزمـــة اقتصاديـــة مستفحلة.

وفي المجالات السياسية هناك مشاكل أخرى غير العراقيل التي يطرحها التيار المحـــافظ لعرقلة مسار الديمقراطية وأعمال العنف التي يقوم بها المتشددون الدينيون، فهناك مشـــكلة فقدان التقاليد الديمقراطية في العمل السياسي وهي مشكلة تاريخية تنشأ منذ ٢٥٠٠ عـــام من الحكم الاستبدادي الشاهنشاهي وظروف خاصة استثنائية واجهها الشـــعب الإيـــراني خلال الأعوام التي أعقبت قيام الثورة في فبراير ١٩٧٩.

كما وهناك بعض البنود المتوقفة عن التنفيذ في الدستور الإيـــراني حيـــث لم يطبـــق بحذافيره بعد عشرين عاماً من المصادقة الشعبية عليه، فحكومة الرئيس خاتمي وكما وعدت الجماهير بدأت بتطبيق أحد هذه البنود المعطلة وهو البند الخاص بالمجالس المحلية في أنحـــاء البلاد كافة وهي أوسع انتخابات تشهدها إيران والتي تحولت ومنذ فترة إلى ساحة للصراع بين التيارات السياسية المتنافسة، هناك أيضاً بند خاص يعرف بالمادة ١٥ مـــن الدســـتور الإيراني يخص حقوق القوميات الإيرانية غير الفارسية كالأتراك والأكراد والعرب والبلـــوش والتركمان والتي ينص على تدريس لغات هذه الشعوب وآدابهـــم في المـــدارس المحليـــة والسماح لهم بطبع المكتب والمجلات بلغاتهم القومية، هذا البند أيضاً متوقف و لم يؤخذ بـــه بعد عشرين عاماً من المصادقة عليه وذلك بسبب معارضة التيارات الشـــوفينية الفارســـية ذات النفوذ في المجتمع الإيراني. وفيما يحتدم الصراع الآن على حدته بين القديم والجديـــد والسماء والأرض والاستبداد والحرية، ستكون نتيجته منعطفاً مـــهماً في تـــاريخ إيـــران الحديث.

ويمكن القول في نهاية المقال أن الشعب الإيراني لن يتنازل مهما تحقق من منجزات ومكاسب سياسية حتى هذه اللحظة أمام القوى والتيارات التي لا ترغب بالانعتاق والتحرر السياسي والانفتاح على العالم والحياة العصرية المحترمة، وسيستمر في نضاله السياسي والاجتماعي رغم كل المعوقات ليكمل المشوار الديمقراطي الذي بدأه قبل قرن كامل.

خاتمي يسدد ضربة قوية لليمين الديني المتطرف

وجه الرئيس الإيراني محمد خاتمي خطابا إلى مسؤولي ومنتسبي وزارة الاستخبارات الإيرانية يوم الأربعاء الماضي (يناير ١٩٩٩) يعرب فيه عن شكره لهم لما قاموا به في كشف العناصر الضالة في الاغتيالات الأخيرة في إيران ودأبهم لإبطال مفعول هذه العناصر.

وأشاد خاتمي بعملية اعتقال عدد من منتسبي الوزارة حيث وصفهم بالخلايا المريضة وكوادر خارجة عن إطار القانون.

وتحدثت الأخبار في الأيام الأخيرة عن احتمال إقالة وزير الاستخبارات واعتقالات شملت أحد مساعدي الوزارة وعدد من أبناء الوجوه البارزة في الدولة يعملون في الوزارة وخارجها.

وقد عمت خلال الشهرين الماضيين موجة اغتيالات طالت كل من داريوش فوروهار الأمين العام لحزب الأمة الإيرانية وزوجته بروانة اسكندري والكتاب مجيد شريف ومحمد مختاري ومحمد جعفر بوياندة في طهران، أمر على أثرها الرئيس الإيراني بتشكيل لجنة مكلفة بالتحقيق في الموضوع ووعد باعتقال القائمين بهذه الأعمال. وقد سبق ذلك، أعمال إرهابية منها اختفاء أحد نشطاء اليسار العلماني بيروز دواني واغتيال اسداله لاجوري الرئيس السابق لمديرية السجون الإيرانية ومحاولة لاغتيال محسن رفيق دوست رئيس مؤسسة المستضعفين الاقتصادية العملاقة والاعتداء المسلح على علي رازيني رئيس المحاكم في العاصمة الإيرانية، طهران.

وقد نسب معظم المسؤولين الإيرانيين هذه الاغتيالات إلى الخارج أو أياد أجنبية تعمل في الداخل. غير أن البيان الذي أصدرته وزارة الاستخبارات قال إن عددا من الكوادر الجامحة والمنحرفة فكريا والمتخلية عن مسؤولياتها كانت ضالعة في هذه الاغتيالات.

وقد أدت الاعترافات العلنية الأخيرة لهذه الوزارة – والتي قلما تحدث في العالم الثالث – إلى إضعاف موقفها ولكنها أعلنت أنها معافية وقوية وقادرة على دفع الخلايا المريضة

والأعضاء الخارجين عن القانون وطالبت منتسبي الوزارة ألا يشعروا بالوهن والضعف في هذه الأيام الصعبة وأن يواصلوا عملهم كالماضي.

وقد تصاعدت الأصوات في إيران خلال الشهرين الأخيرين من أجل القيام بتغييرات أساسية وجذرية في جهاز وزارة الاستخبارات وقد طالبت بعض هذه الأصوات وبعض التحقيقات الأخيرة بإقالة وزير الاستخبارات دري نجف آبادي ومعاقبته. وتعتبر هذه الوزارة وبخاصة المناصب العليا فيها معقلاً لليمين المحافظ وذلك بالرغم من تأييد أغلبية الكوادر التحتية في الوزارة للرئيس خاتمي.

وكان لاعتراف وزارة الاستخبارات في ضلوع عدد من كوادرها بالاغتيالات الأخيرة، أصداء واسعة في إيران وخارجها. ووصفت "برستو فوروهار" الخبر بأنه مذهل ويثير الاشمئزاز والقرف، وأضافت : يجب ألا نسمح بتقليل شأن القضية وانحصارها بوجود " عدد من الجامحين " تغلغلوا بالصدفة في الوزارة.

وطالب بعض الكتّاب والسياسيين الحكومة للتحقيق في ملفات مثقفين وسياسيين وأدباء آخرين قتلوا أو توفوا بشكل مشبوه خلال الأعوام العشرة الماضية. كما طالب آخرون بتشكيل محاكم علنية لمحاكمة الضالعين في هذه الاغتيالات، ناهيك عن مطالبة عدد من نواب المجلس بالقيام بتحقيقات واسعة حول هذه القضية.

و لم يعلن حتى الآن عن أسماء المعتقلين المتهمين في هذا المجال، لكن المراقبون يعتقدون أن الجناة حصلوا على بعض الفتاوى قبل ارتكابهم لهذه الاغتيالات حيث هناك الكثير من الشائعات تتحدث عن ماهية القضاة الثلاثة الذين يقال أنهم أفتوا لهذه الاغتيالات.

وقد هنأ معظم السياسيين والمثقفين، الرئيس خاتمي على مبادرته ومثابرته في الكشف عن خيوط المؤامرة التي استهدفت أمن البلاد وأرواح مواطنيه وكذلك تحديه السافر للسياسات السرية أو التي كانت تجري في ما وراء الستار سابقاً في تداول مثل هذه القضايا الأمنية.

وقد وصف المحللون مبادرة خاتمي، بأنها ضربة موجعة تم تسديدها لليمين الديني المتطرف. وطالب البعض بالبت في الشكاوى والاحتجاجات والشائعات التي انتشرت في المجتمع الإيراني حول أداء ونشاط هذه الوزارة خلال السنوات العشرين الماضية.

وبرر بعض المحللين والصحف الموالية للتيار المحافظ موقف وزارة الاستخبارات الإيرانية وقالوا : إنه لا توجد أي صلة بين الاغتيالات والوزارة والنظام الإيراني ككل، وأضافوا أن هناك عناصر تغلغلت إلى جسم الأجهزة الأمنية أو تقوم بمخالفات وفقاً لآرائها الشخصية، وذلك كثيراً ما يحدث في الدول الأخرى بالعالم.

وشبه بعض المحللين هذه العمليات بما كان يجري في دول أمريكا اللاتينية من اختطافات واغتيالات في حقبتي الستينات والسبعينات وقالوا أن الاعترافات الأخيرة لوزارة الاستخبارات الإيرانية سيكون لها تداعيات واسعة على نطاق المجتمع والحكومة منها تعرض موقع وزير الاستخبارات دري نجف آبادي للخطر الوشيك.

هناك تقليد خاص في إيران وهو أن أي رئيس إيراني وعند اختياره لوزراء الحكومة ينبغي أن يأخذ برأي مرشد الثورة في تعيين ثلاثة وزراء هم الاستخبارات والخارجية والداخلية وهذا يؤكد أهمية وزارة الاستخبارات لقمة الهرم السياسي في البلاد. ويحاول خاتمي حالياً أن ينتهز الفرصة لكي يحافظ على التركيبة الأساسية في الوزارة ويخضعها نهائياً لسلطته ويخرجها من إطار نفوذ المتشددين والمحافظين وذلك بتغيير كبار المسؤولين فيها. لكنه من المستبعد أن يوافق المرشد على تغيير الوزير دري نجف آبادي.

بعد نتائج انتخابات أيار (مايو) الرئاسية

هل تدخل إيران عصر التعددية الحزبية ؟

تشهد إيران هذه الشهور والأيام حركة سياسية واجتماعية حثيثة ونشطة على السطح وفي العمق في عدة مجالات وكأنما تريد أن تعوض ما فاتها من تنمية سياسية وثقافية كانت شبه متوقفة خلال الحقبتين الماضيتين. إننا في الواقع شاهدنا إرهاصات المرحلة الجديدة قبل انتخابات أيار (مايو) الرئاسية بعام ونصف العام تقريباً أي عندما امتنعت أكبر جمعية سياسية آنذاك وهي رابطة علماء الدين المجاهدين " روحانيت " عن قبول مرشحين موالين لسياسات الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني الاقتصادية في قائمتها الانتخابية. فقد غضب هؤلاء وشكلوا ما سمي فيما بعد بجماعة " كوادر البناء " حيث غيروا مسار الانتخابات الخامسة لمجلس الشورى الإيراني وكسروا احتكار القوى المحافظة والتي كانت مهيمنة على المجلس في الدورة الرابعة. والذين قاموا بتأسيس جمعية " كوادر البناء " هم د. عطاء الله مهاجراني منظر المجموعة وغلام حسين كرباسجي أمين العاصمة طهران ونور بخش محافظ البنك المركزي وعلي هاشمي ابن شقيق الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني والمسؤول التنظيمي للمجموعة وفائزة هاشمي كريمة الرئيس السابق ونائبة طهران الأولى في مجلس الشورى الإيراني.

وقد تفاجأت جماعة " كوادر البناء " بنتيجة الانتخابات الرئاسية في إيران حيث لم تتوقع فوز مرشحها محمد خاتمي إذ كانت تستعد للعمل الحزبي المعارض لو فاز منافسه الرئيس الحالي لمجلس الشورى الإيراني علي أكبر ناطق نوري. أضف الى ذلك القضايا التي طرحت من قبل الأجهزة القضائية ضد بعض رؤساء البلديات في العاصمة طهران ومن ثم اعتقالهم وكذلك استجواب أمين العاصمة كرباسجي لعدة مرات. كل هذه الأمور أجلت تشكيل حزب " كوادر البناء " لعدة أشهر. غير أنهم يستعدون الآن تنظيماً ونظرياً للإعلان

عن حزبهم الجديد والمعتدل والمنفتح سياسياً وثقافياً واقتصادياً. فهم معتكفون الآن لإعداد نظامهم الداخلي والمصادقة عليه لتقديمه إلى وزارة الداخلية للحصول على تصريح يسمح لهم بالعمل السياسي القانوني.

لا شك أن تشكيل الأحزاب السياسية في إيران ونشاطها الحر سيظهر مدى استقرار واقتدار الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وللأسف لم يشهد التاريخ السياسي المعاصر لإيران ورغم النضال المديد والمرير للجماهير الإيرانية منذ ثورة الدستور من العام ١٩٠٦ وحتى الآن، لم يشهد إلا فترتين ذهبيتين قصيرتين للعمل الحزبي والتعددية الحزبية. الفترة الأولى بعد انتصار هذه الثورة مباشرة وحتى وصول رضا خان إلى سدة الحكم وترسيخ دكتاتوريته على جميع أنحاء إيران في عام ١٩٢٥.

وقد شاهدنا خلال هذه الفترة تشكيل أحزاب كانت شبه سرية قبل انتصار ثورة الدستور المشروطة ومنها "الاجتماعيون العاميون" أي "حزب الديمقراطيين الاشتراكيين" و "الاعتداليون" أي "الحزب الإعتدالي" و "الحزب الديمقراطي" و "الحزب الشيوعي الإيراني". غير أن هذه الأحزاب لم تكن تحظ بشعبية واسعة وكانت التجربة الحزبية بدائية جداً. وتبدأ الفترة الثانية في أعقاب سقوط رضا شاه البهلوي في عام ١٩٤١ وتستمر حتى عام ١٩٥٢ وهو عام سقوط حكومة الدكتور مصدق الوطنية. فمن ميزات هذه الفترة تشكيل أحزاب متعددة، يمينية ويسارية ودينية وشوفينية آرية ومعتدلة ودينية كان لبعضها قواعد جماهيرية واسعة وكذلك تشكيل أحزاب تمثل القوميات الإيرانية غير الفارسية مثل الحزب الديمقراطي في كردستان إيران وحزب الفرقة الديمقراطية الأذربيجانية "فرقة دمو كرات أذربيجان".

وقد أدى انهيار دكتاتورية رضا خان الحديدية إلى فراغ في السلطة وظهور الأحزاب المختلفة حيث لم يتمكن الشاه الجديد والشاب أن يقف أمام المد العارم للديمقراطية في إيران بل تجاهر باحترام التعددية الحزبية والديمقراطية. لكن هذا الوضع لم يدم كثيراً وبعد سنوات تحول محمد رضا شاه إلى نسخة طبق الأصل لأبيه الدكتاتور. فإذا قارنا تلك الفترتين الذهبيتين للديمقراطية في إيران بالعهود الاستبدادية المظلمة لحكم الشاهات والأباطرة الإيرانيين عبر تاريخ استمر لأكثر من ٢٥٠٠ سنة فلم نراها إلا مراحل عابرة لم ترسخ خلالها جذور المؤسسات الحزبية والتنظيمات المهنية في إيران.

فالاستبداد السياسي لحكم محمد رضا بهلوي والمدعوم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا حال دون تشكيل الأحزاب السياسية والجمعيات المهنية وحتى الثقافية منها كاتحاد الكتّاب الإيرانيين وأدى إلى الانطواء الفردي وانحسار العمل الجماعي ورواج حالات اليأس والإحباط عند المثقفين الإيرانيين لأن كل نشاط جماعي كان يجلب الويلات

والسجن والتعذيب لأصحابه والجميع يعرف ما قام به السافاك في هذا المجال. صحيح أنه كانت هناك انتفاضات شعبية ضد الشاه مثل انتفاضة حزيران (يونيو) ١٩٦٢ بقيادة الخميني وما تبعها من نشاط سياسي قامت به الجبهة الوطنية الموالية لمصدق وحركة تحرير إيران بقيادة المهندس مهدي بازرغان أو حركات مسلحة قامت بها أحزاب وفصائل إسلامية وماركسية مثل فدائي الشعب ومجاهدي الشعب؛ غير أنها جميعاً وبسبب القمع الواسع والشديد وغياب الحريات السياسية لم تتمكن من القيام بالعمل السياسي الحر والعلني إلا لفترة محدودة جداً حيث اضطر معظم هذه الفصائل بالعمل السري المسلح. وتاريخ إيران عامة والمعاصر منه خاصة، يظهر أساساً مدى رسوخ ثقافة " المريد والمراد " و " الراعي والرعية " في الأدبيات السياسية الإيرانية.

أما الآن قد بدأ المجتمع الإيراني يتطور بسرعة وتكونت طبقات وشرائح اجتماعية جديدة. وقد كان في مقطع الثورة عام ١٩٧٩ حوالي ١٠٠ ألف طالب يدرسون في الجامعات الإيرانية فيما وصل هذا الرقم الآن إلى مليون وثلاثمائة ألف طالب. ويشكل الشباب ــ دون سن العشرين ــ نصف سكان إيران في الوقت الحاضر وقد حررت الثورة الإيرانية الكثير من النساء والفتيات المنتسبات إلى السر الدينية التقليدية وأخرجتهن من البيوت إلى ساحات العمل في المؤسسات الحكومية وغير الحكومية أو للدراسة في المدارس والجامعات. ولا ننسى الطبقات التكنوقراطية التي ازدهرت في عهد الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني إثر خططه الموسومة بإعادة البناء والإعمار.

كل هذه الأمور تدفع المجتمع الإيراني بكل قومياته وطبقاته وشرائحه الاجتماعية إلى تشكيل المنتظمات والأحزاب السياسية لتلعب دورها الاجتماعي والسياسي القانوني.

ويطرح الآن السؤال التالي : هل يمكن للأحزاب السياسية في إيران أن تنشط وإلى أي مدى وأين يكون موقعها في ساحات العمل السياسي في إطار التركيبة السياسية الراهنة حيث يحتل كل من المرشد (ولي الفقيه) ومجلس صيانة الدستور ومجلس تشخيص مصلحة النظام مكاناً بارزاً فيها ؟

ويرد المراقبون السياسيون قائلين : أنه بإمكان جميع الأحزاب والجمعيات السياسية والمهنية التي تعترف بنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية والدستور الإيراني أن تقوم بنشاط سياسي في البلاد وذلك وفقاً للدستور خاصة بعد تصريحات الرئيس خاتمي المتكررة في هذا المجال وتأكيده على حق المعارضة السياسية بالوجود وضرورة الدفاع عن هذا الحق القانوني.

لكن وبالرغم من ذلك نحن نشاهد ظواهر أخرى أيضاً في المجتمع الإيراني. فهناك مراكز قوى ومجموعات ضاغطة ومتنفذة لا تتحرك في إطار القانون بل تنتهكه متى شاءت وهذه في

الواقع مشكلة يواجهها النظام في إيران. فمن ثمرات التحزب والعمل التنظيمي، الحد من النشاطات المعارضة للقانون بل تشجيع النشاطات المعارضة للحكومة، ويرى المحللون السياسيون أن هذه المراكز والمجموعات ستدرك آجلاً أم عاجلاً أنه لا يوجد أي مسوغ للعنف السياسي، بل يمكن لها أن تنفذ ما تريده سياسياً وأن تصل إلى أهدافها السياسية والاجتماعية بواسطة تشكيل المنظمات والأحزاب القانونية.

وقد يصنف البعض، التيارات السياسية الإسلامية الآن داخل إيران إلى يمين ويسار، فيما قام بعض المنظرين بتصنيف أكثر تفصيلاً حيث يرى هؤلاء في بطن اليمين واليسار، يمينيين ويساريين : يمين تقليدي ويمين تحديثي وكذلك يسار تقليدي ويسار حديث.

واليمين التقليدي من وجهة نظر هؤلاء يشمل رابطة علماء الدين المجاهدين "جامعة روحانيت مبارز" الهيئات المؤتلفة الإسلامية وجمعية الدفاع عن قيم الثورة والقوى الضاغطة ومراكز القوى التابعة لها والمدعومة اقتصادياً من قبل كبار التجار ورأسماليي السوق الكبير في طهران (البازار) والتي تتحدث باسمها صحف "رسالة" و "كيهان" و "أبرار" و "أرزشها" و "يالثارات الحسين" و "شما". فيما يصنف هؤلاء جماعة "كوادر البناء" في خانة اليمين التحديثي أو المعتدلين والتي تتحدث باسمهم صحف "همشهري" و "أخبار" و "كزارش هفتة " و " ميهن " و " جامعة " ... إلخ. ويقول المنظرون أن هذه الفئة السياسية تعتمد اقتصادياً على التكنوقراطيين والمقاولين وبعض أصحاب الصناعات الإنتاجية.

ويضيف هؤلاء المنظرون، الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية لطلبة الجامعات الإيرانية "تعزيز الوحدة" ومنظمة مجاهدي الثورة الإسلامية ومنظمة بيت العامل وهو تنظيم شبه حكومي للعمال في إيران والذي يضم بين دفتيه قسماً من الحركة العمالية في غياب المنظمات العمالية الحقيقية وكذلك جمعية علماء الدين المناضلين " روحانيون " يصنفونهم جميعاً في إطار التيار اليساري التقليدي. لكن هناك خلافاً حول مفهوم اليسار الحديث : وفيما يصنف منظرو منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية مثل بهزاد نبوي ومحمد سلامتي، جماعات أنصار حزب الله وصحفهم مثل "شلمجة" و "يالثارات الحسين" و "صبح" في تيار اليسار الحديث، يختلف البعض الآخر معهم في هذا الأمر. فعباس عبدي الكاتب السياسي ورئيس تحرير صحيفة سلام اليسارية الإسلامية يختلف مع نبوي وسلامتي ويصف هذه الجماعات باليمين المتطرف وقد ذهب الباحث والصحفي أكبر كنجي أبعد من ذلك ووصفهم بالفاشيين.

وماذا بعد ؟

تتحدث الصحف الإيرانية هذه الأيام عن الحماس والاندفاع الذي تبديه بعض المجموعات والفعاليات السياسية لتقديم الطلبات الخاصة بتشكيل الأحزاب إلى وزارة الداخلية. وينبغي التذكير بأنه في السنوات الأولى من قيام الثورة الإيرانية أنشأت لجنة خاصة لإعطاء التصاريح للمنظمات السياسية وقد اشتهرت بلجنة المادة ٤١٠، فهذه اللجنة التي تضم ممثلين عن السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية في إيران، تعقد كل أسبوع مرة اجتماعاً لها في وزارة الداخلية وذلك للبت في طلبات تشكيل الأحزاب. غير أن المحافظين كانوا يسيطرون على اللجنة في عهد الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني و لم يعطوا التصاريح إلا لمجموعات قليلة جداً من صنفهم. وبفوز الرئيس خاتمي ومجيء عبد الله نوري وزيراً للداخلية أصبح ممثلو السلطة التنفيذية من المنفتحين لكنهم وللأسف لا يزالون يشكلون الأقلية في تركيبة اللجنة لوجود الأغلبية المحافظة من ممثلي السلطات القضائية والتشريعية.

وهناك تقارير تقول أن عدداً من المسؤولين في الدولة ينوون تشكيل جمعية باسم "مناصري المجتمع المدني". وتتحدث هذه التقارير عن زهراء شجاعي مستشارة الرئيس الإيراني لشؤون المرأة وموسوي لاري المساعد القانوني لرئيس الجمهورية ومرتضى حاجي وزير التعاون وعلي خاتمي شقيق الرئيس الإيراني ومدير مكتب التفتيش التابع لرئاسة الجمهورية كمؤسسين لهذه الجمعية الجديدة.

وقد تم تقديم طلب باسم "حزب ائتلاف المثقفين الدينيين في إيران" من قبل ما شاء الله شمس الواعظين رئيس تحرير جريدة "جامعة" الجديدة الولادة. ويبدو أن المفكر الديني عبد الكريم سروش سيكون من العناصر النشطة والمنظرين لهذا الحزب. فقد أعلن ذلك مدير عام وكالة الأنباء الإيرانية فريدون وردي نجاد قبل أيام في مقابلة مع إحدى الصحف الإيرانية وقال أن سروش يستعد لتشكيل حزب سياسي جديد.

كما تم تقديم طلب باسم "حزب نداء ليقظة إيران" من قبل مؤسسي هذا الحزب وهم حسن سبك دوست ومحمد جعفر زاده وعلي مهري ورحيم حمزة، حيث لم يعرف عنهم الكثير.

وفيما سبق تناقلت الأخبار عن تقديم طلبات لتشكيل تنظيمات جديدة كحزب تضامن إيران الإسلامية من قبل عدد من نواب مجلس الشورى الإيراني وجمعية السجناء السياسيين قبل انتصار الثورة الإسلامية وحزب شباب إيران الإسلامية ومنظمات مهيمنة وسياسية أخرى.

وقد طلب أحد الأحزاب المعارضة الدينية وهو "حركة الحرية في إيران" (نهضة آزادي إيران) والتي تسمح لها السلطات بالعمل السياسي في إطار محدود، طلبت كراراً بالسماح لها

لتقوم بالنشاط السياسي القانوني. غير أنه وبسبب تأكيدات سابقة للخميني على رفض هذا الحزب والذي يتمسك به المحافظون كذريعة ضده، امتنعت حتى الآن لجنة المادة ١٠ من السماح للحركة بالنشاط القانوني. لكن يبدو أن المسؤولين في وزارة الداخلية اقترحوا على مسؤولي الحزب أن يغيروا اسم الحركة لتفادي رفض الخميني وإعطاءهم التصاريح اللازمة للعمل السياسي. ويرفض هؤلاء ومنهم أمين عام الحركة الدكتور إبراهيم يزدي هذا الاقتراح ويؤكدون على اسمهم الحالي حيث يرون فيه تاريخا من النضال السياسي ضد نظام الشاه السابق. ويعتقد الكثير من المحللين السياسيين أن نظام الشاه لم يكن يشعر بخطر جدي من حركة تحرير إيران. وقد شكل زعيم ومنظر الحركة المرحوم المهندس بازرغان أول حكومة بعد انتصار الثورة في إيران. لكن سرعان ما تحولت الحركة إلى إحدى أركان المعارضة الدينية بعد احتلال السفارة الأمريكية من قبل الطلبة الراديكاليين وسقوط حكومة بازرغان المؤقتة. وقد ذاع صيتها إثر مواقفها المناهضة لاستمرار الحرب العراقية ــ الإيرانية سيما بعد تحرير مدينة خورمشهر (المحمرة) في عام ١٩٨٢ وبذلك وقفت وجها لوجه أمام الخميني في قضية استمرار الحرب.

يبدو أن ما حدث للصحافة الإيرانية بعد رئاسة محمد خاتمي وما أعطى من تصاريح كثيرة للصحف المختلفة لم يحدث نظير له في مجال الأحزاب السياسية لسبب ذكرته سلبقا وهو هيمنة المحافظين على لجنة المادة ١٠. فعليه إن تشكيل أو إعادة تشكيل الأحزاب في إيران قد تخلف نوعا ما قياسا لتطور الصحافة نسبيا. لكن من المؤمل أن يؤثر هذا التطور على الوعي السياسي للجماهير وتشكيل الأحزاب السياسية الدينية والقومية مستقبلا. ويعتقد المراقبون أن اللوحة لن تكتمل إذا لم تشارك كل طبقات وشرائح المجتمع الإيراني ومن كل قومياته في الساحة السياسية وتشكل منظماتها وأحزابها السياسية والمهنية وبأيديولوجياتها المختلفة من يمينية ويسارية ودينية وعلمانية وذلك وفقا للدستور الإيراني وفي إطار الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وهذا ما يصبو إليه جميع المناضلين والسياسيين في إيران ويستندون في ذلك ما أكده ويؤكده — تكرارا — الرئيس الإيراني محمد خاتمي حول حق الناس من مسلمين وغير مسلمين في تشكيل الأحزاب والمنظمات المهنية والدفاع عن حقوق المعارضة حيال كل انتهاك يقوم به المعارضون للنظام والقانون.

العرب في الخطاب الإيراني المعاصر

كان من الأصوب أن أختار الخطاب الفارسي المعاصر بدل الخطاب الإيراني لأن إيران تضم شعوباً غير فارسية لا ناقة لها ولا جمل في هذا الموضوع لكنني استخدم هذا العنوان للتطابق الذي يتم في الكثير من الأحيان بين الفرس والإيرانيين. لا شك أن هذا الخطاب موجه للعرب عامة لكن تأثيره السياسي والثقافي على عرب الداخل أي الأهوازيين وباعتبارهم مواطنين إيرانيين يعيشون مع الفرس في وطن واحد، يختلف عن تأثيره على عرب الخارج أي الدول العربية. وسندرس تداعيات هذا الخطاب على العرب في داخل إيران وخارجها.

فقد ساعد اندماج إيران في الحضارة الإسلامية إثر الفتح العربي الإسلامي لبلاد فلرس في القرن السابع الميلادي على ازدهار الفن والأدب وخاصة الشعر الفارسي الذي كان شبه معدوم قبل الإسلام في إيران.

لم تكن أية ثغور تفصل الدول الإسلامية بعضها عن بعض في عز ازدهار الثقافة الإسلامية في القرون الوسطى وقد كان للإيرانيين دور بارز في إثرائها وتطويرها.

وبالرغم من وجود جيوب شعوبية فاعلة في المجتمع الفارسي آنئذ غير أن معظم المفكرين والمتصوفين والشعراء تأثروا بالأدب واللغة العربيتين حيث وصل الأمر إلى حد أن شاعراً إيرانياً كبيراً كناصر خسرو البلخي كان يعتز باللغة العربية ويعظم من شأن العرب وله قصائد وأشعار في هذا المجال.

بزوغ القومية الإيرانية في العصر الحديث

مثلما أيقظت مدافع نابليون المصريين من سبات دام قروناً، أيقظت الحروب العسكرية الطاحنة في النصف الأول من القرن التاسع عشر بين إيران وقواها الحربية التقليدية من جهة والقوات الروسية القيصرية بأجهزتها الحديثة من جهة أخرى، أيقظت

الإيرانيين من تخلفهم أمام الركب الأوروبي في شؤون الحياة كافة. وقد بزغت أولى الإرهاصات القومية والفكر القومي بين النخبة الوليدة إثر المواجهات الأولى بين الإيرانيين والغرب في أواسط القرن التاسع عشر وقد برز بين هؤلاء الصفوة ٣ رجال هم ميرزا فتح علي آخوند زادة، المفكر والمسرحي، وميرزا طالبوف المراغي، الرحالة والمفكر، وميرزا آقاخان الكرماني، الخطيب الشهير، الذين لعبوا دوراً تنويرياً لا يستهان به. غير أن خطلهم السياسي القائم على القومية الفارسية لم يخل من العداء للإسلام معتبرين الدين عقبة أمام تطور المجتمع الإيراني المتخلف جداً آنذاك. كما ناصبوا العداء للعرب كمبشرين بالدين الإسلامي وفاتحين للأراضي الإيرانية في القرن السابع الميلادي.

ولا بد هنا، وفي معرض إشارتنا إلى الحركات الفكرية والثورية الحديثة في إيران، أن ننبه القارىء إلى دور العرب والإسلام ومدينة النجف بشكل خاص في هذه الحركات والثورات. وقد كانت أولى الفتاوى المتعلقة بتحريم التنباك البريطاني تصل إيران من آية الله ميرزا الشيرازي المستقر في مدينة النجف حيث كان يقوم بتحريض الجماهير ضد الشاه ناصر الدين القاجاري.

وقد تأثر آية الله النائيني في كتابه النظري " تتريه الأمة " بأفكار المفكر العربي عبد الرحمن الكواكبي عندما كان يقيم في النجف وسامراء. وشارك آية الله الكاشاني في ثورة العشرين في النجف وبغداد قبل أن ينقل تجاربه الثورية إلى إيران ويلعب دورا لا يستهان به في الحركة الوطنية الإيرانية بقيادة د. محمد مصدق في الخمسينيات من القرن المنصرم. والمثال الأخير وليس الآخر هو آية الله الخميني حيث استقر مدة ١٥ عاما في النجف ليقود ثورة شعبية هزت أركان عرش الطاووس في إيران.

كان خطاب ثورة الدستور (١٩٠٦ – ١٩٠٨) خطابا تحريريا ديمقراطيا ممزوجا بخطاب قومي إيراني، فارسي المحتوى. شعر حاكم محافظة الأهواز الشيخ خزعل الذي كان يتمتع بسلطات الحكم الذاتي آنذاك بخطر المد القومي الفارسي الجديد بعد أن كان يحكم وفقا لأحكام ملوك القاجار وقام إثر ذلك بدعم رجال ثورة الدستور في طهران ليس حبا لمعاوية بل كرها لعلي أي أنه وبعقليته الاستبدادية كان ينوي استغلال الفوضى السائدة آنذاك لصالحه ولصالح إمارته كما كان يساند معارضي الشاه رضا البهلوي مثل الشاه أحمد القاجاري والنائب المعارض في البرلمان الإيراني آية الله المدرس وذلك إحساسا منه بخطر شوفينية رضا خان وخطابه العنصري.

وتشرح كتب التاريخ الفارسية وخاصة كتاب " تاريخ الأعوام العشرين " لحسين مكي الرسائل المتبادلة بين آية الله حسن المدرس والشيخ خزعل والمساعدات المالية المقدمة من خزعل لمدرس. وقد لقي الشيخ خزعل الكعبي حتفه على يد جلاوزة الدكتاتور رضا شاه البهلوي في الحقبة الثالثة من القرن العشرين بمنفاه بطهران.

وسيطر خطاب شوفيني فارسي معاد للقوميات غير الآرية وخاصة العرب والأتراك على الأجواء السياسية والثقافية بعد أن أمسك رضا خان البهلوي بمقاليد الأمور في إيران وقد تطورت الترعة العنصرية عند رضا خان بابتعاده عن البريطانيين في أواخر حكمه وتقربه من النازيين في ألمانيا وترافقت هذه الترعة مع الأساليب الدكتاتورية التي كان ينتهجها في تسييره لشؤون الحكم في إيران.

وقد تغير نظام الدولة في عهد سلالة القاجار والمعروف بـ " الممالك الإيرانية المحروسة " أي – ممالك محروسة إيران – بالفارسية إلى دولة إيران الشاهنشاهية في عهد رضا شاه.

وكانت الممالك الإيرانية المحروسة وكما يستفاد من اسم الدولة تضم ممالك متحدة تتمتع بنوع من الفيدرالية التقليدية كما كان مثلاً الشيخ خزعل يتمتع بنوع من الحكم الذاتي في محافظة الأهواز بحكم من الشاه مظفر الدين ومن ثم الشاه أحمد القاجاريين. وقد اقتدى رضا شاه بكمال أتاتورك في تركيا محاولاً نزع إيران من تربتها الإسلامية وربطها بما كان يصفهم بأشقائها الألمانيين والآريين في أوروبا حيث استخدم، ومن بعده ابنه الشاه محمد رضا خطاباً قومياً متعالياً على العرب في الخارج أيضاً.

والجميع يعرف أن رضا شاه البهلوي وصل الحكم إثر مشروع بريطاني متكامل بعد أن تخلت عن أصدقائها السابقين كشيخ المحمرة حيث لعب الجنرال آيرون سايد والجاسوس البريطاني من أصل إيراني شابورجي الدور الرئيسي في نصب رضا خان ملكاً على إيران عام ١٩٢٥. وقد خطط شابورجي لتهجير أكبر عدد ممكن من سكان سائر مناطق إيران إلى محافظة خوزستان / الأهواز / وتغيير التركيبة السكانية حيث نجحت الخطة نسبياً بعد ٥٠ – ٦٠ عاماً أولاً في مدينة عبادان وثانياً في مدينة الأهواز.

لا شك أن أحداً من العرب الأهوازيين لا يعارض الهجرة من منطقة لمنطقة أخرى في إيران، غير أهم يقولون أن تطبيق مواد الدستور الإيراني المتعلقة بتدريس لغتهم القومية في

المدارس الابتدائية ونشرهم للصحف العربية في المحافظة سيحد من التداعيات السلبية للهجرة على العرب ويحول دون التغيير الديمغرافي للسكان هناك.

و قد أكد منظري الشاه رضا البهلوي – وأبرزهم محمود أفشار – على قضية تفريس القوميات الإيرانية ومنها العرب في خطة مبرمجة طويلة الأمد لخلق مجتمع إيراني أحادي اللغة ذي ثقافة فارسية واحدة. وقد استمر منظرو التفريس على النهج ذاته في عهد محمد رضا بهلوي حيث سببوا صدمات وعاهات لا تعوض في جسم الثقافة ولغات القوميات الإيرانية غير الفارسية. وقد استمر هذا النهج بشكل أو بآخر بعد قيام الثورة الإيرانية وحتى انتخاب الرئيس خاتمي في عام ١٩٩٧؛ إذ بدأ يؤكد ومنظروه السياسيون – وخاصة سعيد حجاريان – على التعددية السياسية والقومية في إيران، كما وأن هناك إلحاح من قبل مثقفي القوميات غير الفارسية على تنفيذ المواد الدستورية التي توفر أقل حقوق القوميات في إيران.

ويبدو أن الخطاب الخاتمي الإصلاحي وخاصة الخطاب اليساري أخذ يتفهم هذه الأمور رويداً رويداً غير أن المسافة بين التفهم والتطبيق لا تزال بعيدة بسبب وجود تيار قومي فارسي متشدد ومتغلغل في الجهاز البيروقراطي للدولة والأمل معقود حالياً على البرلمان السادس وأغلبيته الإصلاحية ليقوم بعمل ما في هذا المجال.

ويعاني العرب في الأهواز من أزمة هوية حيث لا تجيد الجماهير وحتى العديد من المثقفين لا العربية ولا الفارسية وهذا ينشأ من تدريس الطفل العربي ومنذ سن السابعة لغة غير لغة أمه وأبيه. فعليه تشهد المحافظة انحداراً في المستوى الدراسي أصبحت على أثره في المركز الثالث والعشرين بين المحافظات الإيرانية ونسبة كبيرة من الإقلاع عن الدراسة في المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية حيث يترك الطفل أو اليافع المدرسة إلى مصير مجهول سيؤدي به في أفضل الحالات إلى العمالة في دول الخليج إذا ساعده الحظ أو يرفده مع جيش العاطلين عن العمل أو المدمنين على المخدرات- والمتوفرة حالياً في مدن وأحياء المحافظة – أو سيصبح " ناطوراً أو عاملاً في البلدية أو شيئاً من هذا القبيل. كما أن هناك نسبة مئوية كبيرة من الأمية بين النساء العربيات اللواتي تقع أعمارهن بين ٤٥ – ٧٠ سنة، تصل إلى ٩٠% وبين سائر الشرائح النسائية تبلغ ٦٠ – ٧٠ % وتوجد هناك أيضاً أمية متفشية بين الرجال. لنقرأ ما كتبته صحيفة (آفتاب أمروز) الإصلاحية بتاريخ ٢٠٠٠/٣/٤ في هذا المجال: "هناك ١٠٠ قرية بين الأهواز وخورمشهر (المحمرة) لا توجد فيها إلا إعدادية واحدة". وهذا يعني أن هناك إهمالاً في تأسيس المدارس الإعدادية والثانوية في المناطق العربية حتى باللغة الفارسية.

وقد أدت عملية التفريس إلى نشوء لغة عربية أهوازية ركيكة تعيق نقل المفاهيم من شخص إلى شخص آخر لأن اللغة ممزوجة بكلمات فارسية عديدة وتستخدم أحياناً وفقاً للنحو الفارسي. والأخطر من ذلك أن الجيل الجديد خاصة في أحياء وسط مدينة الأهواز وعبادان أخذ يتفرس — أي لا يتكلم العربية — إثر الضغوط النفسية والتحقير والتمييز وأهمها الضغط على والدي التلميذ الابتدائي ليتحدثوا معه بالفارسية، ناهيك عن التلفزيون والبيروقراطية في الدوائر الحكومية والتي تنهل من الخطاب القومي الفارسي المتجذر في التاريخ المعاصر والقديم. وقد أدى الحصار اللغوي هذا إلى استنزاف اللغة العربية في محافظة خوزستان / الأهواز / أي أن العرب هناك ينفقون من الجيب من دون أن يضاف شيء إلى هذا الجيب. لذا فإن المطالبة بتطبيق المادة ١٥ من الدستور الإيراني وتدريس العربية في الابتدائية هي أهم مطلب ملح وشعار شعبي مطروح حالياً على الساحة الأهوازية.

كما وطالب المثقفون والكتاب العرب في الأهواز في رسالة بعثوها في نيسان (أبريل) ٩٩ الرئيس الإيراني محمد خاتمي بتغيير أسماء المدن والقرى والأحياء والشوارع وإعادتها إلى أسمائها السابقة قبل عام ١٩٣٥ ووفقاً لما جاءت في المصادر الفارسية.

فهم يقولون أن أي مصدر فارسي إيراني في تلك الفترة وفي عهود السلالات القاجارية والزندية والأفشارية والصفوية لا يذكر المحمرة بخورمشهر ولا عبادان بابادان ولا معشور بماهشهر ولا الخفاجية بسوسنجرد ولبا بني طرف والحويزة بدشت آزادغان ولا الفلاحية بشادغان ولا خلف آباد برامشير بل يذكرها بأسمائها العربية التاريخية، وأن الخطاب البهلوي الشاهنشاهي هو الذي غير ومنذ مجيئه إلى الحكم هذه الأسماء. حتى وأن للمؤرخ الإيراني المرموق أحمد كسروي كتاباً ألفه في الأربعينات من هذا القرن أي في عهد الشاه محمد رضا البهلوي اسمه " جنك إيران وأنكليس در محمرة " أي الحرب بين إيران والإنكليز في المحمرة". ويضيف هؤلاء المثقفون أن الشخص لا يرى في مدينة كالأهواز والتي يشكل العرب أكثر من ٧٥% من سكانها أي شارع باسم شاعر أو أديب عربي كبير أهوازي كأبي نواس وأبي الهلال العسكري وسهل بن هارون وابن معتوق وشهاب الدين الموسوي أو العشرات الآخرين. لكن ترى فيها العديد من الشوارع باسم شعراء فرس من الدرجة العاشرة عاشوا في القرون الماضية في مناطق أخرى من إيران.

كما وتمنع دوائر الأحوال الشخصية العرب في خوزستان / الأهواز / من تسمية مواليدهم بالأسماء العربية ما عدا الأسماء الدينية وعلى سبيل المثال فإن العربي هناك لا يمكن أن يختار اسم ميساء ورانيا ونبيل ووليد.. إلخ غير أنه يستطيع أن يختار أسماء فارسية قحة لا

تناسب ثقافته مثل آزيتا وبريسا وكامبيز وكامران وكيومرث.. إلخ وقد طرحت القضية مراراً في الصحافة الإيرانية غير أنها لم تحل حتى الآن.

ولنقرأ ما تقوله صحيفة آفتاب أمروز حول القرى العربية في نفس العدد المذكور: "هناك قرى في محافظة خوزستان كخسرج وجنانة والرفيع يعيش أبناؤها كما كان يعيش العرب في عهد النبي (ص)"؟

وركز الخطاب الشوفيني منذ رضا شاه ومن ثم ابنه على التنظير والعمل لمحاربة الزي العربي في محافظة خوزستان / الأهواز / وذلك بمحاربة الكوفية والدشداشة والعباءة النسائية والأزياء العربية الأخرى وقد نجحوا نسبياً باستخدامهم التحقير والتمييز.

ومع الأسف فقد استمر الوضع كما كان عليه سابقاً ـ ولو بشكل أخف ـ حتى يومنا هذا ويعترف القانون الدولي والدستور الإيراني بأن تكون هناك مساواة بين الناس أياً كان انتمائهم القومي أو العرقي ويشمل هذا قضية الأزياء من دون شك حيث أن من حق كل إنسان أن يرتدي زيه الوطني أو القومي من دون خوف.

تشويه صورة العرب في الخطاب الثقافي

شهدت الكتب المدرسية وخاصة كتب التاريخ منها في الفترة البهلوية تشويهاً متعمداً وغير متعمد لصورة العرب حيث حملت الكتب بين دفتيها الإساءة للإسلام والعرب. ناهيك عن الروايات وكتب التاريخ والأدب والاجتماع.

وقد قامت الحكومة الإيرانية بعد قيام الثورة ومن خلال وزارة الإرشاد بخطوة إيجابية وذلك بمنعها طبع ونشر أي كتاب يمس بالإسلام أو يتعرض بالإساءة إلى الفتح العربي الإسلامي لكن في العامين الأخيرين وبسبب انفتاح الأجواء السياسية وصعوبة الرقابة على أسواق الكتب فقد أخذ القوميون يعيدون نشر بعض الكتب المعادية للعرب والإسلام بعيدا عن أعين الوزارة أو غفلة عنها ويطبعون بعض المقالات من هذا القبيل في الدوريات والمجلات. فهناك العديد من الكتّاب القوميين المعادين للعرب وبدرجات مختلفة نذكر البعض منهم وما كتبوه في هذا المجال إنما هو غيض من فيض .

١) كتب "مازيار" و "بروين بنت ساسان" و "الحاج آغا" و "أسطورة الخلق" و "مدفع مرواري" و"أنيران" والبعثة الإسلامية في البلاد الإفرنجية " للروائي صادق هدايت .

٢) "دواوين الشتاء" و "آخر الشاهنامة" و "من هذه الأوستا" للشاعر مهدي إخوان ثالث.

٣) معظم أعداد مجلة "إيران كوده" التي كانت تصدر في عهد رضا شـــاه البـــهلوي وبعد ذلك وخاصة مقالات أعضاء مجمع اللغة الفارسية (في دورته الأولى) لذبيح بهـــروز ومحمد مقدم وصادق كيا ومحمود أفشار.

٤) " ٥٠٠ عام من تاريخ خوزستان " للمؤرخ أحمد كسروي.

٥) كتب ومقالات للباحثين والمؤرخين د. بمرام فره وشي وإبراهيم بورداود وســعيد نفيسي وكاظم زادة إيرانشهر والشاعرين ملك الشعراء بهارفي كتاب " معرفة المكـــاتيب الأدبية " ومير زاده عشقي.

٦) كتاب "قرنان من الصمت" للكاتب غلام حسين زرين كوب و "تـــاريخ الأدب الإيراني" للدكتور ذبيح الله صفاء.

٧) كتابي " تاريخ الحركات الشعوبية " للباحث غلام حسين ممتحن و " الشــعوبية " لأستاذ جامعة طهران سابقاً جلال الدين همائي.

٨) مقالات للباحث داريوش آشوري في مجلة فردوسي عام ١٩٦٧ وللشاعر محمـــد علي سبانلو في صحيفة آيند كان عام ١٩٨٠.

٩) كتاب "الحلاج" للباحث علي مير فطروس.

١٠) كتاب "نقد الحال" للأديب مجتبي مينوي.

١١) كتاب " تاريخ إيران الاجتماعي " للمؤرخ مرتضي راوندي في عدة مجلـــدات وخاصة المجلد الرابع.

١٢) كتب " ألف عام من النثر الفارسي " و " يعقوب الليث " و " حسن الصبـلح " للأديب والمؤرخ كريم كشاورز.

١٣) قصة " فتح مغانة " وعدد من مقالات الروائي هوشـــنغ غولشـــيري في مجلـــة "آدينة".

١٤) مقالات للكاتب مصطفى رحيمي وللشاعر نادر نادربور وهوامش كتبها علـــي نقي مترزوي على كتاب " دروس عن الإسلام " للكاتب المجري جولد زيـــــهر باعتبـــاره مترجم هذا الكتاب وعلي نقي مترزوي هو ابن آغا بزرك الطهراني مؤلف كتاب الذريعة في تصاتنيف أهل الشيعة.

١٥) مقالات للباحثين مير جلال الدين كـــزازي وجنكـــيز بهلـــوان والسياســـين برويزورجاوند (مسؤول الجبهة الوطنية حالياً ومحسن بزشكبور (مؤسس حـــزب بـــان إيرانيست) القومي المتطرف وما تابعه في هذا المجال.

١٦) دور وزير الإعلام في عهد الشاه ومؤسس صحيفة آيندكان داريوش همايون حيث أنشأ الصحيفة عام ١٩٦١ بمساعدة إسرائيل وتسلم مبلغ ٤٠ مليون تومان من الحكومة الإسرائيلية آنذاك لإنشائها. وكانت آيندكان ولمدة ١٧ عاماً منبراً للدفاع عن إسرائيل وكيل الاتهامات والشتائم للعرب وتشويه صورهم. وقد كان الصحفي المقيم حالياً في لندن هوشنغ وزيري رئيس تحريرها (١٩٦١ – ١٩٧٩).

والتأكيد أن هناك كتابا أو كتبا معادية للعرب لم أتذكرها غير أنني يجب أن أؤكد أن هناك كتابا وصحفيين إيرانيين شرفاء في عهد الشاه وفي عهد الثورة كانوا ولا يزالون منصفين في وجهتهم إزاء العرب. فعلى سبيل المثال لا الحصر اذكر منهم الروائي جلال آل أحمد والمفكر الديني د. علي شريعتي والباحثين إحسان طبري و د. محمد حسين روحاني والشاعر محمد رضا شفيعي كدكني والروائي رضا براهني والباحث د. حميد عنايت والمترجم عبد المحمد آيتي وآخرون.

ولبعض هؤلاء الكتاب القوميين الفرس روايات وكتب تاريخية قيمة أعترف بقيمتها الفنية أو التاريخية لكن هذا لا يعني ألا نوجه النقد لأيديولوجية هؤلاء والتي أفصلها نوعا ما عن كتبهم الفنية أو التاريخية. وكان هؤلاء الكتاب الذين رحل معظمهم من دنيانا قد نهلوا من مناهل الخطاب البهلوي الأول حيث كانوا يعتبرون الشعب الإيراني كتلة واحدة لا تعدد فيها ولا تنوع ويتصورون أن لهذا الشعب لغة واحدة هي اللغة الفارسية وهذا خطاب متخلف في عصر القوميات وحقوقها. ولا ننسى أن للخطاب الثقافي تأثيرا هاما على الخطاب السياسي بل وأن الأخير ينهل من الأول في الكثير من الأحيان.

ومراجعتنا لأعمال وكتب الرعيل الأول والثاني من الكتاب الإيرانيين ونقد خطابهم القومي يتم بقصد عدم تكرار الهفوات والأخطاء المضرة بحال الوحدة الوطنية الإيرانية من قبل الجيل الحالي من المفكرين والكتاب الفرس .

ولا يطالب المثقفون العرب بتصفية أو إقصاء أصحاب مثل هذه الأفكار بل يعتقدون بطرحها في أجواء ديمقراطية بعيدة عن التعصب ليتمكن المعارضون من الرد عليها من دون أن يمس القوميون الفرس مشاعر القوميات الأخرى وخاصة العرب ويوجهوا إليهم الإساءات والإهانات. ومن المعلوم أن مواجهة هذا التيار القومي ـ الشعوبي مهمة صعبة تحتاج إلى جهود كبيرة ومؤازرة الشخصيات والقوى التقدمية الفارسية وسائر القوميات الإيرانية.

كان الخطاب السياسي في عهد الشاه المخلوع معادياً ومحقراً للعرب عامة ومنحـــازاً بشكل كامل لصالح إسرائيل والصهيونية فكنا نرى ونسمع ذلك من الإذاعـــة والتلفــزة والصحافة الصفراء التي كانت تصدر آنذاك. وذكرنا منها على ســبيل المثــال صحيفــة آيندكان قبل قيام الثورة. وكان الخطاب الشاهنشاهي يصف عرب الأهواز بـــ " الكواولة " أي الغجر و لم يعترف بهم كشعب أو قومية بل كان ينفي أساساً وجودهـــم. ونـــرى تداعيات هذا الخطاب بين الشرذمة الباقية من القوميين المتطرفين هنا وهناك والتي تتقـــوى وتتعزز يوماً بعد يوم إثر الأخطاء التي ارتكبتها السلطة الدينية بعد قيام الثـــورة ولا مجـــال لذكرها هنا.

ولهذا الخطاب الشوفيني أثر ليس على أفكار وسلوك النخبة بل والجماهير الفارســـية العادية في محافظة خوزستان / الأهواز / وإيران كلها.

ونلقي هنا نظرة على خطاب الأحزاب والفصائل السياســـية الإيرانيـــة في الداخـــل والخارج، لكن قبل ذلك ينبغي التنويه بأن بعض الأحزاب والجمعيات السياسية والثقافيـــة الإصلاحية أخذت تتفهم قضايا القوميات الإيرانية غير الفارسية حيث تقـــوم الصحافـــة الإصلاحية بين الحين والآخر بنشر المقالات التي تشرح أوضاع العرب والأكراد وســـائر القوميات الأخرى وتطالب بحقوقهم وأما الأتراك وبسبب امتلاكهم لصحافة خاصة هـــم فإنهم لا يحتاجون كثيراً للصحافة الفارسية المتمركزة في طهران.

أ : التيار المحافظ والعرب

أهم الأحزاب والفصائل التي يضمها التيار المحافظ حالياً هي : رابطة علمـــاء الديـــن المجاهدين (روحانيت) وحزب الهيئات الإسلامية المؤتلفة، وتابعو نهج الإمام والمرشد. كما كان حزب "جمهوري إسلامي " ينتمي إلى التيار ذاته. لم يحمل التيار اليميني الديني المحـــافظ وخاصة رجال الدين منه – خلافا للتيار القومي الفارسي – نزعات شوفينية تجاه العـــرب بل يشعر بعلاقة عاطفية معهم بسبب تدينه وممارسته للغة العربية باعتبارها لغـــة القـــرآن والأئمة والأحاديث والأدعية لكنه لا يتفهم قضايا حقوق القوميات وهي قضيـــة حديثـــة تاريخية وقد شارك هذا التيار الشمولي الاتجاه بشكل أو بآخر في قمع القوميات وإســـكات صوتها خلال الأعوام العشرين المنصرمة ولا تتطرق صحف هذا التيار ـــ خلافاً للصحـــف الإصلاحية ـــ لا من قريب ولا من بعيد إلى قضايا القوميات غير الفارسية في إيران.

ب: تيار الوسط

أهم فصيل في هذا التيار هو حزب "كوادر البناء" الذي يضم التقنوقراطيين في السلطة ويتفيء تحت عباءة الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني ويتزعم الحزب حالياً رئيس بلدية طهران السابق غلام حسين كرباسجي. ويصنف هذا التيار بأنه صاحب اتجاهات يمينية حديثة – خلافاً لليمين التقليدي – مع شيء من الاتجاه القومي الليبرالي حيث يتجنب التطرق إلى قضية القوميات الإيرانية غير الفارسية.

ج: قوى اليسار الديني

ويضم التيار "رابطة علماء الدين المناضلين" (روحانيون) بزعامة رئيس البرلمان السابق مهدي كروبي وله اتجاهات موالية للعرب في الخارج أكثر من الداخل. فعلى سبيل المثال قام أحد الأعضاء البارزين في هذه الرابطة علي أكبر محتشمي بالمساعدة في إنشاء حزب الله في لبنان. كما وكان لمحتشمي وبعض رفاقه في الرابطة مواقف موالية للعراق أثناء حربه مع التحالف الغربي. إذ دعا هؤلاء الحكومة الإيرانية –حكومة رفسنجاني –آنذاك للوقوف إلى جانب العراق في تلك الحرب واصفين صدام حسين بسعد بن أبي وقاص.

كما وكانت صحيفة "جيهان اسلام" لصاحبها هادي الخامنئي و هو عضو في الرابطة، الصحيفة الوحيدة التي نشرت رسالة وجهها المثقفون و الكتاب العرب الأهوازيون إلى الرئيس خاتمي في نيسان (أبريل) الماضي.

و مع أن جبهة المشاركة لإيران الإسلامية التي يتزعمها شقيق الرئيس خاتمي د. محمد رضا خاتمي لم تذكر شيئاً في برامجها حول حقوق القوميات الإيرانية لكن وباعتبارها حزباً اشتراكياً ديمقراطياً تتبنى موقفاً إيجابياً بشأن قضايا القوميات الإيرانية حيث أصبحت صحيفتها اليومية (مشاركة) منبراً لطرح قضايا العرب الأهوازيين و هي تنوي إصدار أسبوعية عربية في الأهواز من المقرر أن يصدر عددها الأول في يوم السبت ١٨ آذار(مارس) ٢٠٠٠. ويلعب المنظر الرئيسي للإصلاحات و العضو البارز في قيادة الجبهة سعيد حجاريان ــ طريح السرير حالياً ــ إثر محاولة إغتيال دوراً رئيسياً في هذا المجال.

العرب في خطاب القوى الإيرانية الأخرى

نلقي هنا نظرة على القوى السياسية الإيرانية التي تقع خارج إطار النظام لنرى كيف تنظر إلى العرب في الداخل و الخارج.

أ- القوى الوطنية ـــ الدينية : تقع تحت هذا العنوان أحزاب وفصائل وشخصيات مختلفة تمزج الأيديولوجية القومية بالدينية و انشط هذه القوى السياسية هو السياسي المخضرم عزت الله سحابي العضو السابق في مجلس قيادة الثورة و مدير مجلة " إيران فردا" حيث تغلب عنده الترعة القومية الفارسية على الترعة الدينية لكن هناك محررين في مجلته لهم آراء أكثر تقدمية تجاه العرب و القوميات الأخرى.

وتؤيد حركة حرية إيران بزعامة د. إبراهيم يزدي تطبيق المادة ١٥ من الدستور الإيراني والتي تنص على بعض الحقوق للقوميات الإيرانية و منهم العرب في الأهواز، غير أنها لا تهتم كثيراً بهذه القضية إلا نادراً. غير أن هناك خطاباً أرقى بين هذه القوى و هو موقف حركة المسلمين المناضلين والتي يتزعمها السياسي المخضرم د. حبيب الله بيمان والذي رفع الشعار "تساوي حقوق القوميات الإيرانية" في برنامجه للانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٧.

ب- المثقفون الدينيون : ظهر هذا التيار منذ سنوات خلت، و لم يكن للمعلم الأول لهذا التيار د. علي شريعتي وبالرغم من مواقفه المؤيدة لحركة التحرر العربية في الستينات ومطلع السبعينات لم تكن له أية مواقف واضحة تجاه قضايا القوميات الإيرانية وانه كمفكر ديني يساري لم يشر في كتبه العديدة إلى قضايا وحقوق القوميات الإيرانية مع العلم بأن هذه القضايا كانت ومنذ ثورة الدستور أي منذ ١٠٠ عام جزءاً من عملية الثورة الديمقراطية في إيران. والأمر نفسه يصدق على المفكر الديني عبد الكريم سروش بل وعارض هذا الأخير ومن نظرة قومية ضيقة عملية التدريس باللغة العربية في الحوزات الدينية الإيرانية.

لكن للمثقفين الدينيين الشباب مواقف تقدمية نسبياً تجاه قضايا القوميات الإيرانية نشاهدها في صحيفة " عصر آزادغان " للمثقفين الدينيين شمس الواعظين وجلائي بور وصحيفة فتح ـــ خور داد سابقاً ـــ والتي يرأس تحريرها المثقف الديني علي حكمت.

ج- القوى القومية :يبدأ هذا التيار القومي العلماني من الجبهة الوطنية التي أنشأها الزعيم الوطني الراحل د. مصدق ويمر بحزب الأمة الإيراني " حزب ملت إيران" والذي قتل زعيمه داريوش فوروهار في عام ١٩٩٨، ويرزح بعض قياديه حالياً في السجن وينتهي بحزب "بان إيرانيست" القومي المتطرف.

تباين في المواقف السياسية إزاء العرب

يعظم هذا التيار من شأن القومية الإيرانية التي يقصد منها القومية الفارسية. لكن هناك اختلافاً في مواقف أجنحته إزاء العرب وفيما تتبنى الجبهة الوطنية موقفاً معتدلاً تجاه العرب في الخارج فإنها لا تعترف بحقوق القوميات الإيرانية ولا سيما العرب فهناك موقف للجبهة الوطنية وحزب الأمة مؤيدة للأكراد الإيرانيين وذلك باعتبارهم آريين لكننا لا نرى مثل هذا التأييد للعرب والأتراك والتركمان.

ويتميز حزب بان إيرانيست بنزعاته الشوفينية حيث لا يعترف بتاتاً بشيء اسمه قوميات إيرانية أو عرب في إيران وهذا الموقف يشبه نوعاً ما موقف الشاه المخلوع. وقد لعب الحزب الذي كان متحالفاً مع البلاط الشاهنشاهي قبل قيام الثورة دوراً خطيراً في إنماء الثقافة القومية العربية في محافظة خوزستان / الأهواز / كما وينتهج الحزب خطاباً ليس ودياً – إن لم نقل عدائياً – تجاه العرب في الخارج.

د- الملكيون : خطاب الملكيين هو خطاب الملك أي الشاه نفسه بالرغم من تسمية أنفسهم حالياً بالدستوريين.

هـ- التيار اليساري العلماني : تشكل الأحزاب والفصائل الشيوعية الركن الأساسي لهذا التيار ومع أنها ليست حاضرة على الساحة الإيرانية حالياً وتعيش في المنفى غير أن لها تأثيراً ثقافياً في الداخل.

وكانت هذه الأحزاب والفصائل كحزب توده الشيوعي ومنظمة فدائيي خلق تطالب بحق تقرير المصير للقوميات الإيرانية قبل انهيار الاتحاد السوفيتي غير أن نزعة قومية فارسية أخذت تشوب هذا الخطاب في التسعينات ما عدا بعض المنظمات اليسارية الصغيرة.

و- منظمة مجاهدي خلق : لم يوجد خطاب محدد لهذه المنظمة بشأن القوميات الإيرانية وهي تقوم بمعارضة مسلحة للنظام الإيراني وتنفذ أعمالاً (إرهابية) بين الحين والآخر ويبدو أن مواقفها ليست مواقف مؤيدة لحقوق القوميات ومنهم العرب في الأهواز.

المذهب الشيعي والقومية الإيرانية

يلعب الإسلام (والمذهب الشيعي بالدرجة الأولى) والقومية الإيرانية (والفارسية بالدرجة الأولى) دوراً هاماً في الحياة السياسية الإيرانية منذ ثورة الدستور في مطلع هذا القرن إلى يومنا هذا..

شهدت إيران حكم القوميين ـــ إبان حكومة د. مصدق ـــ وسيادة الخطاب القومي الوطني وحكم القوميين الشوفينيين إبان حكومة الشاه رضا البهلوي وابنه محمد رشا البهلوي وسيادة خطابهما العنصري، كما وشهدت الخطاب الديني منذ عام ١٩٧٩ حتى الآن غير أن الخطاب الديني — الإسلامي أخذ ومنذ عامين يتمقرط أي أصبح يتجه صوب نوع من الديمقراطية التي تنفع الإيرانيين عموماً والقوميات والعرب خصوصا.

والإسلام كدين وكحضارة جاءت من العرب، يهم عرب إيران أكثر من أي شيء آخر. يهم المتدينين باعتباره ديناً وعقيدة دينية ويهم العلمانيين باعتباره حضارة عريقة تجمع الفرس بالعرب والصلة السياسية بين العربي الإيراني والفارسي الإيراني والتركماني الإيراني.. إلخ كما وأن الإسلام هو الصلة الدينية والحضارية والتاريخية والسياسية بين الإيرانيين والشعوب العربية عامة.

يبدو من قراءة التاريخ الإيراني المعاصر أن الإسلام الديمقراطي هو أفضل خيار للقوميات الإيرانية غير الفارسية المتخوفة دائماً من السلطة الاحتكارية للخطاب القومي الفارسي وهي مرحلة تاريخية عابرة. غير أنه وفي المدى البعيد لا مناص من إيجاد كتلة وطنية تضم جميع الأحزاب والتيارات السياسية والقومية من فرس وترك وكرد وعرب وبلوش وتركمان. فالخطاب الإصلاحي الذي يسعى لإرساء مجتمع مدني تعددي إذا نجح وتغلب على الخطاب الديني المتشدد سينجح أيضاً في إرساء المجتمع المدني شبه الديمقراطي والذي يوفر أقل حقوق القوميات الإيرانية بمن فيهم العرب.

القبائل والعشائر العربية في خوزستان

الأحواز، عربستان، خوزستان : المضمون واحد !

مقال لــ "ايلي سعادة" في صحيفة الحياة

منذ أقدم العصور شاركت الأحواز (خوزستان) بلاد وادي الرافدين في الازدهار العلمي والحضاري، ولا تزال آثار عظمة المنطقة باقية إلى اليوم تذكر الأجيال بعراقة الحضارة التي قامت على هذه الأرض الواقعة إلى الجنوب الشرقي لمنطقة الهلال الخصيب وتطل على رأس الخليج وشط العرب من خلال حدودها الجنوبية مكونة امتداداً يبلغ طوله ٤٢٠ كلم. يحد الأحواز من الغرب محافظتا البصرة وميسان العراقيتان، أما من الشرق والشمال فتحده جبال البختياري التي تعتبر جزءاً من سلسلة جبال زاغروس وهي تكون حاجزاً جغرافياً طبيعياً يفصل بين الأحواز وبين إيران ذلك أن إيران عبارة عن هضبة تحيط بها السلاسل الجبلية الضخمة وتفصلها عن الخارج من جميع جهاتها تقريباً ولاسيما الجهة المحاذية للأحواز التي قامت إيران بإبدال اسمها إلى (عربستان) أيام الشاه إسماعيل الصفوي ثم إلى (خوزستان) أيام رضا شاه العام ١٩٢٥. وتبلغ المساحة الحقيقية لإقليم الأحواز ١٨٥ ألف كلم مربع غير أن حكومة إيران اقتطعت مساحات منها في العام ١٩٣٦ وضمتها إلى ولايات إيرانية أخرى مجاورة بحيث تقلصت المساحة الكلية إلى ١٥٩,٦٠٠ كلم مربع.

ويحدثنا التاريخ أن الإقليم مر مع المشرق العربي في مراحل تاريخية واحدة منذ أيام العيلاميين والسومريين والآكاديين. وسكنه العرب منذ الهجرات التاريخية من شبه الجزيرة. ومن أقدم القبائل العربية التي نزحت إلى المنطقة بنو حنظلة وهم فرع من بني تميم خرجوا عن طاعة يزدجرد، آخر ملوك الساسانيين وطلبوا المساعدة من الخليفة أبي بكر الذي أمدهم بما يحتاجون إليه. وشارك أبناء الإقليم في كثير من الفتوحات الإسلامية شرقا

وبالأخص بلاد السند بعد أن فتح العرب الأحواز في أيام الخليفة عمر بن الخطاب واستغرق فتح مدنها الواحدة تلو الأخرى فقرابة خمس سنوات ألحقت الأحواز بعدها بالبصرة إداريا وبقيت كذلك حتى الحكم الأموي.

أما في العصر العباسي فقد نالت الأحواز شهرة زراعية واسعة وأصبحت ذات مركز مرموق في الإمبراطورية الإسلامية على رغم معاناتها من ثورة الزنج التي اندلعت في العصر العباسي بزعامة رجل فارسي ادعى بأنه من أبناء الإمام علي زين العابدين، وكان ذلك في سنة ٨٦١م، فانتشرت دعوته في جنوب العراق والأحواز والبحرين وقطر إلى أن تمكن العباسيون من سحقها وإعدام رئيسها العام ٨٨٠م.

ومرت الأحواز والخليج العربي بأحداث ومؤامرات وانقلابات وحركات مشبوهة استمرت عهودا طويلة انتهت بالغزو المغولي سنة ١٢٥٨ م الذي أنهى الخلافة العباسية في بغداد، فأصاب الأحواز ما أصاب بغداد من متاعب وإراقة دماء ودمار لمعالم الحضارة.

ثم بدأت مرحلة الأطماع الأجنبية في الخليج العربي فكان أولها الغزو البرتغالي بالتعاون مع الشاه إسماعيل الصفوي مما حفز العرب على القيام بعمل مضاد خصوصا بعد أن بدأ العثمانيون زحفهم على الخليج منطلقين من البصرة العام ١٥٤٩ م. وبذلك بدأ الصراع بين البرتغاليين والفرس من جهة وبين عرب المنطقة وأحلافهم العثمانيين من جهة أخرى مما حفز الهولنديين والإنكليز على التدخل.. وتمكن الإنكليز من إقصاء النفوذ الهولندي والبرتغالي بعد تحالفه مع الشاه عباس.

وظهرت دولة المشعشعين نسبة إلى مؤسسها السيد محمد بن فلاح المشعشعي الذي اتخذ من مدينة الحويزة عاصمة له بمساعدة بعض القبائل وفرض سلطانه على معظم مناطق الإقليم وأبعد النفوذين الفارسي والعثماني عن البلاد واضطرهما للاعتراف باستقلال الدولة المشعشعية بموجب معاهدة عام ١٦٣٩ التي وقعها الشاه الصفوي بعد هزيمته أمام العثمانيين. وبعد صراع مرير مع قبائل عبادة وتميم وغيرها ضعفت إمارتهم وسقطت فخلفهم الكعبيون وأسسوا إمارتين : أولاهما في الدورق سنة ١٦٩٠ وثانيهما في المحمرة سنة ١٨٢٣ حيث برز منهم شيوخ كبار أمثال الشيخ سلمان في الدورق والشيخ خزعل في المحمرة.

استطاع الشيخ خزعل حكم (١٨٩٧ — ١٩٢٥) أن يجمع إقليم الأحواز كله تحت سيطرته، وأقام صلات جيدة مع الدولة العثمانية في الوقت الذي فتح بلاده أمام التدخل البريطاني وأبدى رغبته في الحصول على ضمان رسمي من الحكومة البريطانية للاعتراف باستقلاله. فوافقت الحكومة البريطانية على إعطائه بعض الضمانات المشروطة

و لم تعقد معه معاهدة في هذا الصدد. وقد احتجت الحكومة الفارسية على هذه الضمانات والاعتراف بالاستقلال الداخلي للأحواز. وظل رضا خان يتحين الفرص للقضاء على الإمارة العربية في الأحواز والتخلص من الشيخ خزعل. وعندما أعلن رضا خان نفسه ملكا على بلاد فارس باسم الشاه رضا البهلوي في نيسان (أبريل) ١٩٢٦ وتعهد للإنكليز باستمرار تدفق النفط وحماية المصالح البريطانية والوقوف بوجه التيار الشيوعي القادم من روسيا، تخلت بريطانيا عن وعودها وضماناتها للشيخ خزعل وغضت النظر عن نية الشاه للإطاحة بالحكم العربي في الأحواز.

ونظرا إلى أن الشيخ خزعل لم يجد في نفسه القدرة على الاستمرار في القتال، فقد وجه رسله إلى العراق وإلى بعض الأقطار العربية الأخرى موضحا موقفه، كما قدم إلى عصبة الأمم شكوى وقعها أكثر من ١٥ ألف عربي يشرح فيها العدوان الفارسي ويدعوها لمعاونته. لكن نهايته اقتربت منذ أن أعلن الجنرال فضل الله زاهدي الحاكم العسكري والفارسي لعربستان الأحكام العرفية في جميع أنحاء البلاد. ونفذ خطة أدت إلى اختطاف الشيخ خزعل على ظهر يخت ونقله إلى طهران.

هذه اللمحة السريعة لتاريخ الأحواز السياسي كان لا بد منها لتكتمل فصول الكتاب. فالمؤلف، وهو من أبناء الإقليم، لم يتطرق إلى الوضع الحقوقي والقانوني لإقليم الأحواز واكتفي في المقدمة بتقديم لمحة سريعة عن هجرة القبائل العربية إلى الأحواز. واكتفي في الفصل الثالث بإبراز المكانة التاريخية والفكرية والاجتماعية لمدينتيّ الأهواز والحويزة. ولا يوجد عنده ذكر للصراع الدولي للسيطرة على المنطقة أو لدور بريطانيا في تسهيل السيطرة الفارسية على الإقليم لتأمين مصالحها النفطية وحماية طريقها إلى مستعمراتها البعيدة.

وفي العودة إلى الكتاب، فإن الفصل الأول يتناول القبائل العربية بالتفصيل في أصولها وفروعها ونبذة عن تاريخها. وقد جاء موثقا أفضل توثيق وصار يعتبر مرجعا — ربما كان الوحيد في اللغة العربية — للتاريخ الاجتماعي لسكان منطقة الأحواز.

الفصل الثاني من الكتاب يغطي الأعراف العشائرية، إلا أنه لم يتطرق سوى لموضوع واحد هو تقاليد الفصل. وهذا التقليد في جوهره يتناول وضع المرأة بين عشائر الأحواز. والفصل هو الحل والأسلوب لحل التراعات والخلافات بين العشائر. ففي " فصل " النسلء تضطر مثلا أسرة القاتل أن تدفع لأسرة القتيل دية هي عبارة عن امرأة واحدة أو امرأتين وأحيانا أربع نساء. لكي يتزوج منهن أبناء أو أبناء عمومة القتيل. ويبدو، كما يقول المؤلف، أن القصد من وراء ذلك إيجاد رابطة دموية تربط بين أسرتي القاتل والقتيل. وهنا

لا بد من الإشارة إلى مسألة مهمة وهي أن تقاليد الفصل تجري على جميع أبناء العشائر بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية (صابئة، مسيحيين، مذاهب أخرى) ولا يوجد تحيز في هذا المجال. والملاحظ أن عادات الفصل تتشابه بين القبائل والعشائر العربية التي تسكن في الجهة الثانية من الحدود أي في البصرة والعمارة في العراق..

هذا هو الموضوع الوحيد الذي تناوله المؤلف في الفصل الثاني، فغابت عنه مسائل التقاليد والعادات الاجتماعية التي من دونها يبقى الموضوع ناقصا.

الفصل الرابع من الكتاب يتناول الشعر والشعراء في الأحواز. فالشعر الفصيح شأنه شأن الشعر المعاصر يشهد تيارين : الشعر الكلاسيكي والشعر الحديث، ويتأثر الشعر الكلاسيكي الراهن في أوساط الشعراء الأحوازيين بالشعر الشعبي بل ويتوحد معه أحيانا. ويقدم المؤلف نماذج جيدة ومتنوعة من قصائد الأحوازيين ويفرد بابا خاصا للشعر الشعبي. أما الفصل الخامس فيعرفنا بالآلات الموسيقية المستعملة في المنطقة، وهي لا تختلف عن آلات المناطق المجاورة.

الصحفي العربي الإيراني يوسف عزيزي في رسالة لمهاجراني

التعامل الخاطىء مع المثقفين العرب يضر بالوحدة الوطنية في إيران

وجه الكاتب والباحث والصحفي العربي الإيراني يوسف عزيزي رسالة إلى الدكتور عطا الله مهاجراني وزير الثقافة والإرشاد الإيراني، نشر في ما يلي نصها :

سماحة د. مهاجراني

هناك أكثر من ثلاثة ملايين عربي ـ إيراني محرومون من حقهم الطبيعي وذلك بالرغم من النص الصريح للمادة ١٥ من الدستور الإيراني، حيث لم تمنحهم وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي أي ترخيص لإصدار ولو صحيفة أدبية وثقافية واحدة (ولا أقول سياسية) بل و لم تمنحهم حتى صفحة واحدة — نعم صفحة واحدة — كصحيفة لهم باللغة العربية.

ويكفي يا سيادة الوزير أن تسأل مساعدك في شؤون الصحافة أو مستشاريك لتعلم أن هناك نحو ١٠-١٥ طلبا تقدم من قبل الأهوازيين للسماح لهم بإصدار صحف باللغة العربية أو العربية — الفارسية حيث لم توافق وزارة الثقافة والإرشاد على أي طلب، ناهيك عن بعض الطلبات التي ترقد في الرفوف وتحت الغبار لعدة سنوات.

غير أننا نشاهد أن التراخيص لإصدار صحف يومية فارسية تمنح لبعض المواطنين من الدرجة الأولى خلال أسبوع واحد فقط.

سماحة الوزير، لم أتوقع منكم أن تذكروا أسماء صحيفتي " كيهان العربي " و " الوفاق " لذلك الشاب العربي الأهوازي لتؤكدوا على رأيكم بوجود صحف عربية في منطقة الأهواز لأن أولا، لم تصدر هاتان الصحيفتان في المحافظة و لم تكونا مخصصتين لعرب

خوزستان. ثانيا، أن قراءة هاتين الصحيفتين التي تصدران في طهران هم للعرب في العاصمة طهران وخارج إيران حيث لا توجد فيها أية كلمة حول الثقافة والأدب والتراث والشؤون الاجتماعية والسياسية لعرب خوزستان (الأهواز).

السيد مهاجراني، إنني متأكد بأنك تتذكر لقاءنا في تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٩٧ حيث حذرتكم عن الأخطار الناجمة عن التعامل الثقافي الخاطىء مع العرب والمشوب بالتمييز وذلك حرصا على الوحدة الوطنية الإيرانية. فلعلكم تتذكرون أنني كنت من الأشخاص الأوائل الذين قدموا طلبا للوزارة في عام ١٩٩١ لإصدار شهرية عربية ـــ فارسية غير أن الوزارة وبعد التحقيقات المطولة رفضت الطلب في عام ١٩٩٣.

كما وأنني قدمت مرة أخرى طلبا لإصدار صحيفة عربية ـــ فارسية في نيسان (أبريل) عام ١٩٩٨ بسبب إلحاحكم أنتم والذي كان مشفوعا بحسن النية لا شك. لكن، وللأسف، فإن الوزارة وبعد مرور ٨ سنوات لم ترد علي بشكل واضح وأنا أظن ـــ وباحتمال قوي ـــ أن الرد سيكون سلبيا هذه المرة أيضا.

وفي الختام أرجو الانتباه إلى موضوع آخر لا يمكن فصله عن الموضوع الأول وهو أن الدائرة العامة لشؤون الكتاب في وزارة الثقافة والإرشاد لم تسمح لي بطبع كتاب نسيم كارون ٢ ـــ وهو باللغتين العربية والفارسية ـــ والمسجل لديها منذ حزيران (يونيو) عام ١٩٩٥.

سماحة الوزير، ألا يكفي مرور ٥ سنوات من تسجيل هذا الكتاب في الوزارة وإصدار مجلده الأول وتأييد الدائرة العامة للثقافة والإرشاد في مدينة الأهواز له. وهل لا تكفي جميع هذه الأمور لكي تسمح الوزارة بنشره إذا لم تقم بذلك فلتعلن، على الأقل، عن رفضها بشكل مكتوب ؟

فأؤكد هنا مرة أخرى على الحقوق المشروعة لأخوتكم العرب الإيرانيين لتكون عندهم صحيفة أو عدة صحف باللغة العربية وأطلب من سماحتكم النظر في طلبات هؤلاء ومنهم صاحب هذا القلم.

ولا ننسى أن العرب في هذه المحافظة وطيلة التاريخ وخاصة خلال الحقبتين الماضيتين كانوا خير جنود للذود عن حياض الوطن وشكرا.

أكثر من ٢٣٠ مثقفا وكاتبا وشاعرا من عرب الأهواز يطالبون الرئيس خاتمي بتدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية ونشر الصحف العربية

ذكرت صحيفة جهان إسلام التي يرأسها هادي الخامنئي – شقيق مرشد الثورة الإيرانية – وفي صفحتها الأولى أن العرب في محافظة خوزستان (الأهواز) طالبوا الرئيس خاتمي بتدريس اللغة العربية في المناطق التي يسكنها العرب في هذه المحافظة باعتبارهم السكان الأصليين لها. وأضافت: أن هؤلاء طالبوا بنشر الصحف والمجلات العربية وإعادة أسماء المدن والقرى المفرسة إلى أصلها العربي.

وفيما يلي النص الكامل للبيان الذي طبعت صحيفة جهان إسلام الإيرانية الفقرات الرئيسية منه والموقع من قبل ٢٣٢ طالبا وأستاذا جامعيا وكاتبا وشاعرا من عرب الأهواز من بينهم : موسى سيادت (باحث) ويوسف عزيزي (كاتب وصحفي) ومحمد رادمهر (كاتب) والشعراء جبار الطائي وعبد الكريم الأهوازي وعبد القادر سواري وعدد من السيدات العربيات الإيرانيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الرئيس المحترم والمحبوب

حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد خاتمي رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية أيده الله

بعد التحية ودعاء الخير لكم

نشكر الله سبحانه وتعالى ونحن نعايش مرحلة يدير فيها إنسان مؤمن وكفء وعالم فاضل شؤون البلاد. إذ يتطلع الآن شعبنا العربي في محافظة خوزستان (الأهواز) وهو

جزء لا يتجزأ من الشعوب الإيرانية العظيمة يتطلع إلى تطبيع جميع مواد الدستور وتبلور القيم الإنسانية المتعالية والميل إلى " المجتمع المدني " وبسط العدالة الاجتماعية في كافة أرجاء الوطن الإسلامي الإيراني.

سماحة الرئيس

يشكل الشعب العربي في خوزستان (الأهواز) نحو ٦ في المائة ؛ من كل سكان إيران إذ لم يبخل هذا الشعب وعبر تاريخه الطويل على بذل الأرواح للحفاظ على الوحدة الوطنية ووحدة أراضي وطننا الحبيب إيران. حيث يدل على ذلك وبشكل ناصع نضالاته التاريخية ضد المستعمرين البرتغاليين والبريطانيين والعثمانيين وقد كافح هذا الشعب جنبا إلى جنب سائر أشقائه الإيرانيين ضد الظلم والاضطهاد والعنصرية طوال عهد البهلويين العنصريين، حيث لعب دورا بارزا في قيام الثورة الإسلامية المجيدة في إيران. وقد تحمل خلال الحرب المفروضة خسائر فادحة دفاعا عن أرض آبائه وأجداده وحفاظا على وحدة الأراضي الإيرانية ومبادىء الثورة ومكتسباتها. إن استشهاد الشباب والأطفال والكبار في جبهات القتال والمدن والقرى وتدمير الدور السكنية والمنشآت الاقتصادية والصناعية وتشريد قسم من العرب وهجرتهم الاضطرارية إلى سائر المدن، لهو خير شاهد ودليل على ما عانى ويعاني هذا الشعب من آثار الحرب المدمرة. واستمرارا لحضوره في ساحات المعارك السياسية والمصيرية شارك الشعب العربي في محافظة خوزستان (الأهواز) جنباإلى جنب سائر إخوته من المواطنين الإيرانيين، شارك في انتخابات الثاني من خرداد (٢٣ / مايو ١٩٩٧) حيث صوت وبنسبة أكثر من ٩٥ في المائة لسماحتكم لينتخب بذلك رئيسا حرا صاحي الضمير وليظهر بذلك ذكاءه ووعيه السياسي.

سماحة الرئيس

أنتم تعلمون جيدا أن اللغة هي عنصر رئيس في عملية التفكير لدى كل قوم أو شعب حيث إذا أصيب هذا العنصر بالمرض سيصاب تفكير ذلك القوم أو الشعب بالجمود والتوقف. فالطفل العربي مضطر منذ السابعة من عمره لتعلم اللغة الفارسية التي هي ليست لغة أمه وأبيه. نحن لا نعارض تعليم اللغة الفارسية التي تعتبر اللغة الرسمية في البلاد، لكننا نقترح أن يتم تدريس اللغة العربية وهي لغة العرب ــ وهم سكان المحافظة الأصليون ــ إلى جانب اللغة الفارسية في المرحلة الابتدائية ليتعلم الطفل العربي اللغة الفارسية جنبا إلى جنب لغة أمه تدريجيا بشكل علمي ومنتظم وذلك للحيلولة دون التراجع في مستوى

الدراسة في محافظة خوزستان (الأهواز) والذي هبطت إلى المرتبة الثانية والعشرين بين المحافظات الإيرانية.

وقد نصت المادة الخامسة عشرة من الدستور الإيراني بدورها أيضا على هذا الحل المقترح من قبلنا غير أنها لم تر النور و لم تنفذ كمثيلاتها من المواد الخاصة بالمجالس البلدية. ولعلمكم أن عملية التعليم في محافظتنا وخاصة ما سمي بمكافحة الأمية لم تتمكن من استئصال جذور الأمية بين العرب بل ساعدتنا على اتساع رقعة التخلف الثقافي وما يتبعه من تخلف اجتماعي واقتصادي.أضف إلى ذلك عدم السماح للعرب وهم السكان الأصليون في المنطقة بطبع ونشر الصحف العربية، فلا يملك ٣ ملايين عربي إيراني في هذه المحافظة أية صحيفة باللغة العربية لتعكس مشاكلهم وقضاياهم القومية والمحلية. إذ وبالرغم من تقديم العرب العديد من الطلبات لأخذ التراخيص الخاصة بإصدار الصحف العربية لم يلب المسؤولون هذه الطلبات حتى إذا كانت تطالب بتراخيص لإصدار صحف عربية — فارسية أو صحف ثقافية وأدبية فقط، وهذا ما نعتبره انتهاكا صارخا للدستور الإيراني ولحقوق الإنسان ولكننا من جهة أخرى نشاهد حاليا العديد من الصحف التي تصدر في المحافظات الإيرانية الأخرى وباللغات التركية والكردية والأرمنية وحتى التركمانية كما وقد ظهرت مؤخرا صحيفة خاصة لليهود الإيرانيين أيضا. يذكر أن إنشاء ما يسمى بمرحلة ما قبل الابتدائية لتعليم اللغة الفارسية في محافظة خوزستان (الأهواز) والمقترحة من قبل وزارة التعليم والتربية لا تعالج مشاكل العرب في محافظتنا بل وأدت إلى إثارة نوع من التشاؤم القومي بين العرب تجاه مخططي هذه السياسات حيث يعتبرونها محاولة لإزالة لغتهم العربية وثقافتهم القومية.

إن كتب التاريخ التي تدرس حاليا في المراحل الدراسية المختلفة في إيران تغمض عيونها عن تاريخ العرب في المحافظة حيث وكأن هذا التاريخ بدأ من عام تتويج الشاه رضا البهلوي و لم يكن قبل ذلك للعرب لا تاريخ ولا أدب.

نحن نعلم جيدا أن هناك تفكيرا قوميا فارسيا متطرفا يغض الطرف عن هذا الفصل من تاريخ بلادنا ويقوم بالتعتيم عليه في الكتب المدرسية ناهيك عن التحريف والابتعاد عن الحقيقة في بعض الإشارات الواردة في الكتب الدراسية وغيرها من الكتب والمنشورات التي تمس مشاعر الشعب العربي في خوزستان (الأهواز) كما وتؤثر كلمات مثل " عرب اللسان " و " المستعربين " و " العرب المهاجرين " سلبا على أذهان العرب في هذه المنطقة حيث إن مصطلح " العرب الإيرانيين " هو أفضل تعريف للشعب العربي في خوزستان (الأهواز) ويجدر بالذكر أن كل هذه التصرفات السلبية تقع في إطار المحاولات الهادفة لنفي الهوية التاريخية والقومية للعرب في إيران والتي تتناقض وشعار الوحدة الوطنية.

لا شك أن عزم وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي قبل سنوات والقاضية بالحيلولة دون إصدار الكتب التي تستنكر الفتح العربي ظاهرا وتهاجم الدين الإسلامي باطنا، عزما مفيدا لصالح الدين والوحدتين الدينية والوطنية للإيرانيين خصوصا العرب منهم.

سماحة الرئيس خاتمي

إن أشقاءك العرب في إيران كانوا في مقدمة الذين قاموا بنجدة الجيوش الإسلامية في هجومها ضد كسرى يزدجر الثالث آخر ملوك الساسانيين وأنهم كسائر المواطنين الإيرانيين يتمتعون بأدب وثقافة غنيتين جدا لها جذور في الثقافة العربية والإسلامية الإيرانية، لكن ومع الأسف لعدم وجود صحافة وإذاعة وتلفزيون باللغة العربية وكذلك غياب المراكز الثقافية والفنية والمؤسسات والجمعيات المهنية والأدبية والثقافية في المحافظة لم يتمكن العرب من التعبير عن فنونهم وآدابهم الأصيلة بصورة كاملة؛ إذ ورغم سنوات القمع والمحاولات التي بذلها النظام البهلوي للقضاء على التراث الفني والأدبي للعرب ما زالت هذه الآداب والفنون حية، غير أن ازدهارها وتطورها مرهون بتطبيق المادة ١٥ من الدستور الإيراني واهتمام المسؤولين في البلاد. ومن الظواهر التي كنا نشاهدها في النظام البائد والمشهودة حاليا أيضا في منطقة خوزستان (الأهواز) والتي يستشم منها رائحة القضاء على الهوية القومية للعرب، هي إزالة الأسماء العربية والمحلية للمدن والقرى والحارات والشوارع ومنع أو عرقلة عملية التسمية باللغة العربية للمواليد العرب وفرض الأسماء الفارسية القحة على ناس لم تألف مثل هذه الأسماء من قبل. فقد قام النظام البهلوي البائد بتغيير معظم أسماء المدن والقرى والحارات والشوارع العربية في محافظة خوزستان (الأهواز) لكن وبالرغم من إعادة الأسماء القديمة للعديد من المدن والقرى في المحافظات الإيرانية الأخرى بعد قيام الثورة في إيران لم تعد أسماء المدن والقرى العربية إلى ما كانت عليه قبل الحكم البهلوي بل وقام التيار الثقافي المتطرف بتغيير باقي الأسماء التي لم يجد النظام السابق وقتا لتغييرها.

سماحة رئيس الجمهورية

في الختام نؤكد مرة أخرى على دعمنا لسماحتكم ومساندتنا لأهدافكم السامية وأفكاركم الإنسانية كما نؤيد إجراءاتكم القانونية لتطوير العدالة الاجتماعية والحرية والديمقراطية حيث ننتظر وبفارغ الصبر تطبيق المادة ١٥ من دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية بصورة تامة غير منقوصة ونكرر مرة أخرى على مطالبنا بالشكل المحدد التالي :

تدريس اللغة العربية إلى جانب اللغة الفارسية في المدارس الابتدائية والثانوية وفي جميع المدن التي يقطنها العرب في محافظة خوزستان (الأهواز) بشكل رسمي وإجباري.

منح التراخيص للمواطنين العرب في المحافظة والراغبين لإصدار الصحف العربية أو العربية – الفارسية وكذلك القيام بإنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية باللغة العربية اعتمادا على الخبراء المحليين وبعيدا عن الابتذال والتحقير الذي نشاهده الآن في البرامج العربية القليلة الساعات.

إعادة أسماء القرى والمدن والحارات والشوارع العربية إلى أسمائها المحلية والتاريخية والتي تغيرت منذ وصول الحكم البهلوي إلى السلطة وحتى الآن.

مع خالص تمنياتنا لكم بالتوفيق.

ملاحظة : هذه الرسالة موقعة من قبل ٣٢٢ طالبا وأستاذا جامعيا وكاتبا من عرب محافظة خوزستان (الأهواز) حيث توجد نسخة من أصل التواقيع عند مكتب رئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ونسخة أخرى عند مكتب رئيس لجنة متابعة تطبيق الدستور الإيراني الدكتور مهربور.

رجال الدين في إيران على مفترق طرق

لم تكن هناك في القرون الأولى للإسلام صفوة دينية تتمايز بزيها أو شكلها على سائر فئات الشعب. وقد ظهرت بعد انبثاق المذهب الشيعي ابتداء في العراق ومن ثم في إيـــران وخاصة بعد تأسيس الحوزات الدينية الشيعية في النجف، وفي فترة متأخرة في قم، صفـــوة دينية اصطلح على تسميتها في إيران بـــ (الروحانيين) أي رجال الدين.

وتفيد كلمة "روحانيون" ، ذات الأرومة العربية، أن هذه الفئة الدينية الاجتماعية هـــي فئة روحانية ومعنوية أكثر من أن تكون مادية وزمنية.

وكان لرجال الدين دور مهم في الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في إيران قبـــل الإسلام وبعده.

وكانت المؤسسة الدينية التي تضم رجال الدين (الموغ) في الديانة الزرادشتية الضلـــع الثاني للحكم إلى جانب الملوك والأكاسرة، حيث كان لها دور حاسم في الحكـــم وإدارة شؤون البلاد. وهذا ما قد سهل مهمة القوات العربية الإسلامية لفتح بلاد فارس في القـــرن الأول الهجري واجتثاث الديانة الزرادشتية بالرغم من جذورها الثقافية والدينية الفارســـية، حيث كانت الجماهير الفارسية تعاني من التمييز والاضطهاد وتحقد على المؤسستين الدينيـة والحكومية معا.

رجال الدين الشيعة في المعارضة

تغيرت الأمور بعد الفتح الإسلامي لإيران، حيث كان الشيعة وأئمتهم من المعـــارضين لحكام الجور والجبابرة في المجتمع الإسلامي. وسار رجال الدين الشيعة على نهج المعارضـــة للخلفاء والملوك وأصبحوا ملجأ للجماهير الشعبية ومصدر ثقتهم.

أصبح المذهب الشيعي مذهبا رسميا باعتلاء السلالة الصفوية سدة الحكم في إيـــران في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر. وقد تمكن رجال الدين الشـيعة أن يتنفسوا الصعداء بعد كبت واضطهاد دام قرونا عدة غير أنهم وبالرغم من تأييدهم للدولــة الشيعية الوليدة والوحيدة في العالم ظلوا بعيدين عن السلطة الزمنية.

وباصطدام الإيرانيين مع الحضارة الغربية الجديدة في عهد السلالة القاجارية وتدخـــل القوتين الكبريين آنذاك أي بريطانيا وروسيا في شؤون إيران الداخلية واللتـــين لعبتـــا دورا استعماريا مبطنا، وليس ظاهرا كما كان في معظم الأقطار الإسلامية، شاهدنا دور المثقفين وخاصة رجال الدين في مقارعة الاستعمار وهذا ما ظهر في انتفاضة " التنباك " بقيادة آيـــة الله الشيرازي والتي هزت عرش الشاه المستبد ناصر الدين القاجاري وأدت في النهايــــة إلى ثورة الدستور عام ١٩٠٦.

وكانت على راس هذه الثورة التي شكلت الانطلاقة لرواج الحداثة في إيران، عـــلاوة على المثقفين والمناضلين الآخرين، رجلان دينيان آخران هما البهبهاني والطباطبائي، حيـــث أديا دورا بارزا في قيام الثورة الدستورية بعد سنوات من الكفاح ضـــد ملـــوك القاجـــار المستبدين.

وهكذا شارك رجال الدين من أمثال آية الله المدرس والشيخ الكاشاني في النضال ضد الشاه رضا البهلوي وابنه الشاه محمد رضا البهلوي، غير أن آية الله الخميني وأعوانه مـــن رجال الدين الذين كانوا يشكلون شبكة شبه حزبية في إيران ــ إثر فراغ البلاد مـــن أي حزب سياسي معارض بسبب سياسات الشاه القمعية ــ استغلوا الوضع في الحقبة الأخيرة من حياة الشاه محمد رضا البهلوي وقادوا ثورة شباط (فبراير) عام ١٩٧٩.

رجال الدين الشيعة في الحكم

ولج رجال الدين الشيعة في الحكم من أوسع أبوابه وذلك بعد القضاء علـــى النظـــام الشاهنشاهي في إيران ومن ثم قمع الفصائل السياسية الأخرى التي شـــاركت في الثـــورة كالليبراليين والقوميين واليساريين العلمانيين والنخب الدينية وغير الدينية من القوميات غـــير الفارسية.

واستأثر رجال الدين بالحكم لأول مرة في حياتهم التاريخية والسياسية بعد تصفيـــات عديدة تطورت عاما بعد عام أخذت شكل عملية الانسلاخ،حيـــث شـــغلت العمليـــة منظمات دينية سياسية مثل منظمة مجاهدي خلق (معارضة سياسية أولا ومن ثم معارضـــة مسلحة مؤخرا) والرئيس الأسبق بني صدر وجماعته وإقصاء جبهة حرية إيران من الســـلطة

وهي جبهة دينية – وطنية كان يتزعمها المهندس مهدي بازرغان أول رئيس وزراء بعد قيام الثورة الإيرانية.

وقد تواصلت عملية الاستحالة أو الانسلاخ في السلطة حيث انشطرت مؤسسة رجال الدين على نفسها في عام ١٩٨٧ إلى يمين ويسار، كان ممثل الشطر الأول "رابطة علماء الدين المجاهدين" – روحانيت ـــ وممثل الشطر الثاني "رابطة علماء الدين المناضلين" – روحانيون – لكنهم ظلوا يتقاسمون السلطة بينهم بسبب التوازن الذي أوجده آية الله الخميني آنذاك لتقريبه الراديكاليين أكثر من المحافظين.

وبعد وفاة الخميني، طرد رجال الدين المحافظون شركاءهم اليساريين ومؤيديهم من السلطة ولكنهم – وخلافا للفترات السابقة – لم يصفوهم نهائيا.

واستمر الصراع خفيا بين التيارين الرئيسيين حتى أيار (مايو) عام ١٩٩٧ حيث قامت الجماهير المستاءة من أداء المحافظين والمستأثرين بالسلطة بثورة مسالمة وذلك بانتخابها المثقف الديني ذا الاتجاه الإصلاحي محمد خاتمي رئيسا للجمهورية.

واشتد الصراع بين الفئتين الحاكمتين من رجال الدين بعد أن تمكن اليساريون منهم وبمساعدة الشعب من فتح ثغرة في صفوف رجال الدين المحافظين.

ولا شك أن القنوات القانونية في إيران لم تسمح للجماهير بخيار علماني أو قومي أو ليبرالي آخر غير رجال الدين بسبب عملية التزكية المشددة على المرشحين لرئاسة الجمهورية حيث أن خاتمي ذاته ـــ وهو من عائلة دينية مناضلة ومقرب من عائلة الزعيم الراحل آية الله الخميني ـــ لم ينج من فخ لجنة التزكية المؤلفة من ١١ رجل دين حيث حصل على ٦ أصوات موافقة مقابل ٥ أصوات معارضة لترشيحه.

ويبدو أن انتصار خاتمي على منافسه المحافظ ناطق نوري فجر الصراع بين رجال الدين في إيران ـ إن كانوا في السلطة أو على هامشها – بعد أن كامنا وخفيا، غير أن هذا الصراع لم يصل حالة العنف حتى الآن على الرغم من شراسته في بعض الأحيان.

كانت الخلافات بين علماء الدين في القرون والأعوام التي سبقت قيام الثورة الإسلامية في إيران تقتصر على التباين في الآراء حول الفرعيات في المذهب الشيعي كما كنا نراه في كتب "الرسائل"؛ غير أن إقصاء رجال الدين من الساحة السياسية أو نفيهم عن مناطق سكناهم في الأعوام الأولى لقيام الثورة أوجد الشروخ الأولى في جدار مؤسسة رجال الدين المتماسكة حتى ذلك الوقت، وهذا ما شاهدناه في معاملة السلطة الدينية الجديدة مع آية الله شريعتمداري (وهو تركي من تبريز) وآية الله الشبيري الخاقاني (وهو

عربي من الأهواز) وآخرين، لكن هؤلاء المغضوب عليهم لم يشاركوا في السلطة يوما من الأيام.

أصدرت محكمة رجال الدين عام ١٩٨٧ أحكاما بالإعدام على رجل الدين مهدي هاشمي، وهو شقيق لصهر المنتظري " وعدد من مؤيديه مما أثار غضب خليفة الزعيم الراحل آية الله الخميني آنذاك الشيخ حسين علي المنتظري وأدى – علاوة على قضايا أخرى – في نهاية المطاف إلى إقصائه عن منصبه عام ١٩٨٩ ليعيش تحت الحراسة الجبرية منذ ذلك الوقت وحتى الآن. وهذه كانت أخطر ثغرة تحدث بين رفاق الأمس.

سقوط جدار العفة

وكما قلنا آنفا أن انتخاب خاتمي ــ المتميز بفكره عن رجال الدين التقليديين والمحافظين ــ قد ساعد على شفافية الوضع السياسي واصطفاف القوى الدينية من التيارات المتنافسة بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ مؤسسة رجال الدين حيث انعكس الصراع الدائر بينهم بشكل سلبي على شرائح المجتمع التي كانت ترى فيهم رجالا " روحانيين " بعيدين عن المال والجاه والسلطة.

وقد لعبت الأجهزة القضائية وخاصة محكمة رجال الدين – التي يسيطر عليها المتشددون – دورا بارزا في اشتداد الصراع في السنوات الأخيرة. ونذكر هنا أربعة نماذج من الأعمال التي قامت بها هذه المحكمة مؤخرا أدت إلى توسيع الهوة بين رجال الدين الشيعة في إيران فأصبحوا منقسمين إلى تيارين رئيسيين، إصلاحي يطالب بالتحديث ومسايرة أوضاع العصر والعالم، وأصولي محافظ يطالب بالانطواء على الذات والحفاظ على الوضع الراهن والتشبث حرفيا بالتراث والأصول.

واصل المحافظون في معركتهم ضد الإصلاحيين في الفترة الجديدة – أي بعد انتخاب خاتمي – بمحاكمة أحد أقطابهم البارزين وهو رجل الدين السابق غلام حسين كرباستشي الذي نزع زيه الديني بعد تعيينه محافظا لإقليم أصفهان في الثمانينات أي قبل أن يصبح أمينا للعاصمة وبتوصية من الزعيم الراحل آية الله الخميني. وقد تحولت محاكمة كرباستشي إلى ظاهرة سياسية مثيرة على المستويين المحلي والدولي. حيث أسفرت عن اتساع شعبية كرباستشي خاصة بعد أن أودعوه السجن في صيف ١٩٩٩.

إذا كانت محاكمة كرباستشي قد تمت تحت ستار قضايا مالية واختلاسات يرفض صحتها الإصلاحيون فإن محاكمة رجل الدين والمفكر الديني محسن كديفر قد تمت بتهم فكرية وعقائدية تختلف عن التفكير الرسمي في البلاد. وقد أحدثت هذه المحاكمة التي

نشرها الصحف الإيرانية في شباط (فبراير) ٢٠٠٠ ضجة في أوساط المثقفين والناس العاديين، و لم تكن لصالح المحافظين خاصة ورجال الدين عامة، لأنها ساعدت على رسم صورة جلية لرجال الدين وعلى الشكل التالي : رجال دين يحاكمون ورجال دين محكومون.

وكانت الخطوة الثالثة ضد رجال الجدين من أصحاب الفكر الآخر هي إغلاق صحيفة " سلام " في تموز (يوليو) ١٩٩٩، ومحاكمة مديرها محمد خوئينيها، وخوئينيها هذا كان مقربا لآية الله الخميني ورئيسا أسبق لديوان القضاء الأعلى. غير أن خوئينيها لم يدافع عن نفسه في المحكمة وقبل قرارها بصمت واستياء.

استهداف ورثة الخميني

وأخيرا جاءت محاكمة رجل الدين عبد الله نوري وهو من الموثوقين هم لدى آية الله الخميني ووزير الداخلية السابق في حكومة خاتمي وأحد أهم أقطاب الإصلاح في إيران. ويعتبر المحللون محاكمة عبد الله نوري كثالث محاكمة سياسية مهمة في تاريخ إيران المعاصر أولها محاكمة الزعيم الوطني الراحل د. محمد مصدق في أوائل الخمسينيات وثانيها محاكمة الزعيم الوطني — الديني المهندس مهدي بازرغان في أوائل الستينات.

وحول عبد الله نوري محاكمته إلى محاكمة المتشددين حيث تطرق إلى قضايا يعتبرها النظام الإيراني حساسة وحرجة مثل قضايا الاغتيالات السياسية وصلاحيات مرشد الثورة الإيرانية ودور رجال الدين المحافظين في قمع الكتاب والمثقفين من دينيين وغير دينيين وبوأ ساحة رجال الدين عامة من مثل هذه الأعمال. وقارن نوري بين التشديدات المطبقة ضد المثقفين والمنتقدين للسلطة وأصحاب الرأي الآخر في إيران بما كان يجري ضد المنتقدين في الاتحاد السوفيتي ورفض أن تكون لمرشد الثورة الإيرانية صلاحيات تفوق الصلاحيات المخولة من قبل الدستور. ودافع نوري عن حرية الصحافة في إيران وادعى أنه يحمل معلومات خاصة حول الاغتيالات السياسية يمكن أن يكشف عنها في المحكمة إذا سمحت له النيابة العسكرية بذلك. وركز عبد الله نوري على دور وزير الاستخبارات الأسبق على فلاحيان في الاغتيالات السياسية التي شملت حسب قوله أكثر من ٨٠ مثقفا وسياسيا معارضا خلال الأعوام ١٩٨٩ — ١٩٩٧. ورفض نوري صلاحية محكمة رجال الدين وقال أنه لا يعترف بشرعيتها مادام البرلمان الإيراني لم يصادق عليها حتى لو كان مرشد الثورة قد صادق على مواصلة عملها. ويمكننا أن نقول أن دفاع عبد الله نوري في المحكمة

كان انتقادا لاذعا لأداء النظام في مجالي الأمن والقضاء حيث يشمل المسؤولين من أعلاهم حتى أدناهم.

ويتوقع أن تستمر عملية الاستحالة والانسلاخ في مؤسسة رجال الدين إذا واصل المتشددون المسيطرون على الأجهزة القضائية والأمنية تعنتهم وأكدوا عزمهم على سد الطريق أمام الإصلاحيين ليطووا بذلك عملية الإصلاح في إيران. ويعتقد المحللون أن وجود رجال الدين في السلطة والصراع السافر بينهم سيقلل يوما بعد يوم من مصداقيتهم في عيون الناس وسيؤدي إلى ابتعادهم التدريجي عن الجماهير بعد أن كانوا ملاذا روحانيا وعلمانيا للناس بل داعما وقائدا لنضالاتهم ضد الحكام المستبدين على طول التاريخ.

ولا ننسى انفصام الأجيال الصاعدة والشباب – الذين لم تتجاوز أعمارهم عمر الثورة الإيرانية – عن مفاهيم هذه الثورة وحيثياتها بسبب التشديدات المفروضة عليهم منذ قيام الثورة وحتى هذه الساعة. أضف إلى ذلك جهلهم النسبي بالظروف التي كانت سائدة في عهد الشاه والنضال الذي خاضه رجال الدين في ذلك العهد.

وهذه الأمور تطرح أسئلة منها : هل أن الهوة بين الأجيال والتي أخذت تظهر بوادرها في الأفق ستؤدي إلى فصل الجيل الصاعد عن رجال الدين ومن ثم إلى انتمائهم للاتجاهات القومية والعلمانية ؟ لا شك أن الجواب عن هذا السؤال رهين في جزء منه بأداء رجال الدين وأخذهم الدروس من قضية انتخاب خاتمي (وعدم انتخاب منافسه المحافظ) وتمسكهم باللعبة الديمقراطية واحترام رأي الشباب والنساء وهم الجيش الاحتياطي للرئيس خاتمي والإصلاحيين.

وأكد عبد الله نوري في إحدى مقابلاته أن التباين بين رجال الدين المحافظين والإصلاحيين يشمل كل مناحي الحياة الفكرية والسياسية والدينية والاجتماعية. ويضيف المحللون مجالا آخر إلى هذه المجالات وهو الصراع على السلطة بين التيارين المتنافسين.

ويرون أن رجال الدين المحافظين إن أرادوا أن يبقوا على الساحة وأن يواصلوا نشاطهم السياسي بل وحتى من أجل البقاء بشكل عام ينبغي لهم أن يراعوا اللعبة الديمقراطية في البلاد ويكفوا عن إثارة العراقيل – القانونية وغير القانونية – أمام عملية التحول التي يشهدها المجتمع الإيراني وهو مخاض تاريخي للانتقال من التراث إلى الحداثة والمتواصل منذ أكثر من قرن.

الحركة القومية في إيران، بدايات ظهور جديدة !

الحركة القومية ظهرت وتطورت بعد قيام ثورة الدستور (ثورة المشروطة) في إيران عام ١٩٠٦، وتشمل قوى وتيارات تحمل أيديولوجيات حديثة لم تكن معظمها معروفة سابقا، حيث أخذت تلعب دورا مهما في الحياة السياسية الإيرانية.

وقد صنف المفكر المصري د. حسن الحنفي التيارات الأيديولوجية الفاعلة في العالم العربي إلى التيارات : الدينية الإسلامية، القومية، الليبرالية واليسارية. ونحن هنا في إيران نصنف التيارات الأيديولوجية ـــ السياسية كما يلي : الدينية، الإسلامية، القومية ـــ الليبرالية، اليسارية والملكية.

وللملكية جذور تاريخية في إيران تعود إلى ٢٥٠٠ سنة، حكم خلالها الأباطرة والشاهات من دون أي رادع ومانع وكمستبدين شرقيين يشعرون بامتلاك رقاب الناس في الإمبراطورية الفارسية التي كانت، وفي كل عهد، تعرف بأسماء عوائلهم.

وفي تاريخنا المعاصر أصبحت الملكية وكأيديولوجية تنافس الأيديولوجيات الأخرى منذ وصول الشاه رضا بهلوي إلى سدة الحكم في إيران عام ١٩٢٤ وإلى يومنا هذا؛ حيث نرى الملكيين ينشطون خارج البلاد إما كمؤيدين للأسرة البهلوية وبشكل جلي أو تحت ستار الدستوريين أي (المدافعين عن المشروطة). غير أن الملكية لا تحظى بقاعدة شعبية في الداخل بعد أن أسقطتها الجماهير الإيرانية في ثورة فبراير ١٩٧٩ وينحصر أنصارها بعدد من الذين كانوا منتفعين من الأسرة البهلوية وهم قلة جدا. فالتيار الملكي حكم إيران المعاصرة من ١٩٢٤ حتى ١٩٧٩ أي لفترة دامت ٥٥ عاما.

أما التيار الأيديولوجي السياسي – الديني والذي كان منسجما إبان قيام الثورة المضادة للملكية عام ١٩٧٩ فقد تقسم إلى فئات انشق منه البعض كمنظمة " مجاهدي خلق " وهاجر إلى الخارج وبقي الآخرون كحركة " حرية إيران " و "حركة المسلمون المناضلون " في الداخل كمعارضة غير مسلحة، وانقسمت البقية الباقية في الحكم على

نفسها رويدا رويدا خلال الأعوام العشرين المنصرمة إلى أجنحة وتيـــارات كالمحـافظين والمتشددين والمعتدلين واليساريين الإسلاميين ولكنها بقيت تحكم إيران بالتناوب وبـالرغم من بعض الخلافات بين فئاتها وفصائلها.

التيار الأيديولوجي الثالث هو التيار اليساري – العلماني ويشمل الشيوعيين بـأحزابهم وفصائلهم المختلفة والاشتراكيين العلمانيين والديمقراطيين اليساريين و لم يتواجد هذا التيـار الأيديولوجي بشكل تنظيمي وعلني على الساحة السياسية في إيـران حاليـا وأن معظـم زعمائه وكوادره يقيمون في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وبخاصة ألمانيا. غـير أن لهذا التيار حضوره الثقافي المؤثر خصوصا في حقل الصحافة والفن ونشر الكتب وما شـابه ذلك.

فلليسار الإيراني تاريخ نضالي طويل ضد الملكية والاستعمار لا يقل عن نضال الدينيين والقوميين بل كان يفوقهم في بعض الفترات كـالفترة مـن ١٩٤١ – ١٩٥٣ وذلـك بتنظيماته الحديدية ونشاطاته الواسعة بين الجماهير العمالية والطبقة الوسطى والقوميـات الإيرانية. وقد كان لليسار الإيراني دورا لا يستهان به في حرب العصابات التي شنها ضـد نظام الشاه المخلوع وإسقاطه، كما سيطر على العديد من الاتحادات والجمعيات المهنيـة والطلابية في السنوات الثلاث الأولى للثورة في إيران. غير أن اليسار العلماني الإيراني – من شيوعيين واشتراكيين – لم يصل إلى السلطة في تاريخ إيران المعـاصر خلافـا للتيـارات الأيديولوجية الأخرى، الدينية والقومية والملكية، وكذلك خلافا لما وقع في العا لم العـربي والذي شهد صعود التيارات اليسارية إلى الحكم مثل الشيوعيين في اليمن الجنوبية والبعثيين في العراق وسوريا. أما الأيديولوجية القومية بمعناها الحديث فقد ظهرت عقب احتكـاك إيران بالغرب في القرن التاسع عشر وبروز المفكرين القوميين كـ "فتحعلي أخو نـدزاده" و "ميرزا آقاخان الكرماني " وآخرين حيث انبهروا بإنجازات الغـرب وبـدأوا ينتقـدون العقائد الدينية المسيطرة على المجتمع الإيراني وأبدوا نوعا من العداء للعـرب وباعتبـارهم حاملي الرسالة الإسلامية لإيران قبل ١٤٠٠ سنة. غير أن الحركة القومية في إيران نهضـت وترعرعت في أوائل عهد الشاه محمد رضا بهلوي كمعارضة وطنية طالبت وعلى لسـان زعيمها الوطني د. محمد مصدق بتأميم النفط الإيراني ووصلت إلى الحكم بعـد مسـاندة الجماهير لها عام ١٩٥١، حيث أصبح مصدق رئيسا للوزراء حاز خلالها على صلاحيات كبيرة هددت سلطة الشاه وهيمنته.

أنشأ مصدق عام ١٩٥٠ وحينما كان زعيما للكتلة الوطنية في البرلمان الإيراني " الجبهة الوطنية " والتي كانت ـــ ولا تزال ـــ تتبنى أيديولوجية قومية إيرانية مرتكزة أساسا على القومية الفارسية التي تشكل نصف السكان في إيران.

وقد كانت الجبهة تضم آنذاك، أحزابا مثل حزب إيران وحزب الأمة الإيرانية وجمعية الاشتراكيين الإيرانيين وعناصر مستقلة كالدكتور حسين فاطمي وزير خارجية مصدق والذي حكم عليه بالإعدام في عهد الشاه عام ١٩٥٥ ود. سنجابي ود. بختيار والمهندس شايغان وآخرين.

وقد حظيت الجبهة الوطنية بشعبية واسعة إثر تأميمها للنفط في مطلع الخمسينات وبخاصة بعد سقوط مصدق وإعدام فاطمي في أعقاب الانقلاب الذي قام به الشاه وبمساعدة المخابرات الأمريكية والبريطانية عام ١٩٥٣. غير أن الجبهة الوطنية وكممثلة أساسا للأيديولوجية القومية الفارسية – الإيرانية لم تستطع أن تواصل النضال ضد حكم الشاه وأن تقود الجماهير في الستينات والسبعينات، حيث أخذت الحركة الدينية – الإسلامية المبادرة في مطلع الستينات وبقيادة آية الله الخميني وتمكنت من إسقاط الشاه وانهيار الحكم الملكي في إيران في نهاية السبعينات واستبداله بحكم ديني – إسلامي.

وقد انفتح المجال بعد قيام الثورة في عام ١٩٧٩ لكافة التيارات الأيديولوجية والسياسية ـــ ما عدا الملكيين المنهزمين ـــ لتنشط على الساحة، بل وشارك القوميون بوزراء عدة في أول حكومة تشكلت عقب انتصار الثورة برئاسة المهندس بازرغان وهم د. سنجابي زعيم الجبهة الوطنية آنئذ وزيرا للخارجية وداريوش فوروهار وزيرا للعمل وميناجي وزيرا للإعلام، ناهيك عن مناصب أخرى احتلوها في الدولة الإسلامية الفتية حيث كان برويز ورجاوند الأمين الحالي للجبهة، مساعدا لوزير الإعلام في حكومة بازرغان.

لا شك أن هناك نقاطا مشتركة في النظرات السياسية والأيديولوجية تربط حركة حرية إيران (التيّ أنشأها بازرغان عام ١٩٦١ ويرأسها حاليا د. إبراهيم يزدي) والتيّ تتبنى أيديولوجية قومية ليبرالية دينية، بالجبهة الوطنية ذات الأيديولوجية القومية الليبرالية العلمانية. فقد قضى التيار الأيديولوجي الإسلامي في عام ١٩٨١ على التيارات الأيديولوجية والسياسية المنافسة كافة، حيث هاجر العديد من زعمائها إلى خارج البلاد. ومن أبرز الذين بقوا في الداخل هو داريوش فروهار زعيم حزب الأمة الإيرانية، الصغير الحجم حيث بدأ معارضته العلنية من أول يوم تشكيل حكومة الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني عام ١٩٨٩. ويرجع ذلك إلى انتهاء الحرب العراقية – الإيرانية واستتباب

الأمور في الداخل والانفتاح الجزئي للأجواء الثقافية والسياسية في إيران بعد أن كانت تحكمها ظروف الحرب الاستثنائية.

وقد تطورت المعارضة في الداخل والتي كانت تنحصر بوجود حركة حرية إيران برئاسة مهدي بازرغان أثناء الحرب العراقية – الإيرانية، تطورت وشملت بعد ذلك حزب الأمة الإيرانية في عهد الرئيس رفسنجاني حتى شاهدنا عقب انتخاب الرئيس خاتمي ظهور تيارات وعناصر قومية أخرى صغيرة في حجمها ولكن لها بعض التأثير كالجبهة الوطنية وحزب " بان إيرانيست " فقد استغل هؤلاء أخطاء النظام الحاكم في تسيير سياساته الداخلية والخارجية ليكسبوا بعض الشعبية في إيران. ومن الأمور التي استغلتها هذه القوى القومية، عدم اهتمام السلطة الإسلامية في السنوات العشر الإيرانية الأولى لحكمها، بالمناسبات والقضايا القومية الإيرانية، بل واتباعها سياسة أممية ـ إسلامية. هذا ما رأيناه في الحقبة الأولى من عمر الثورة الإسلامية في إيران. وبرغم محاولات رفسنجاني وبعض اتجاهاته القومية الإيرانية غير أن الأمر لم يرضي القوميين الذين تلقوا المساندة من القوى القومية المعارضة في الخارج. كما ساعد تشتت اليسار الإيراني وضعفه إثر انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، التيار القومي ـ بقسميه الديني والعلماني – أن يطرح نفسه كمنافس لا يستهان به على الساحة الإيرانية وبخاصة بين الطلبة الجامعيين.

يجب أن نذكر أن القوى القومية العلمانية في إيران تتشكل أساسا من فئات مختلفة بعضها متشددة وبعضها معتدلة، أهمها الجبهة الوطنية التي تتبنى أيديولوجية قومية ظاهرها معتدل وباطنها، كما أن حزب الأمة الإيرانية الذي قتل زعيمه داريوش فروهار وزوجته قبل أيام قد ابتعد عن اتجاهاته الفاشية والقومية الفارسية المتطرفة التي كان يتبناها في الأربعينات والخمسينات من هذا القرن وأخذ يؤكد على حقوق بعض القوميات الإيرانية كالأكراد وباعتبارهم من العنصر الآري. ولا نرى في الأدبيات السياسية للجبهة الوطنية وحزب الأمة الإيرانية تأييدا لحقوق سائر القوميات الإيرانية كالأتراك والعرب والبلوش والتركمان ولو في مستوى ما جاء بالدستور الإيراني الراهن. وهناك حزب صغير جدا في التيار القومي هو حزب (بان إيرانيست) العنصري المتشدد ذات الاتجاهات المتطرفة حيث بدأ يبرز نفسه خلال العامين الأخيرين وبانعقاده بعض الاجتماعات المحدودة وإصدار المنشورات وما شابه ذلك من نشاط سياسي تتحمله الحكومة الإيرانية. فهذا الحزب وخلافا لحزب الأمة انشق عن د. مصدق وتحالف مع البلاط والشاه محمد رضا بهلوي حيث كان أمين عام الحزب محسن بزشكبور نائبا في البرلمان من مدينة خرمشهر (المحمرة) بأغلبيتها العربية وكذا العديد من كوادره الآخرين. كما لا يعترف هذا الحزب

بوجود أي قومية في إيران ما عدا القومية الفارسية بل ويحارب لغة وثقافات القومية الفارسية. ولا ننسى أن المادة ١٥ من الدستور الإيراني تؤكد على بعض الحقوق للقوميات الإيرانية غير الفارسية. ومن بين الأجنحة القومية في إيران كان حزب داريوش فروهار – الذي كان يكن العداء لحزب بزشكبور بسبب مواقفه من مصدق – صريحا في انتقاداته للنظام والحكومة الإسلامية في إيران، لكن وبرغم ذلك لم يكن فروهار معروفا في إيران إلا بين بعض الأوساط السياسية في الداخل والمعارضة في الخارج. غير أن اغتياله وزوجته في ٢٢ من تشرين الثاني ١٩٩٨، سبب له الشهرة حيث اجتمع في تشييع جثمانه عدد غفير من المعارضة الإيرانية باتجاهاتها كافة. وكما قلنا أن المد القومي أخذ ينمو عقب انتهاء الحرب العراقية – الإيرانية وذلك باستغلاله الأخطاء التي ارتكبها النظام خلال السنوات المنصرمة وضعف اليسار المقموع والفاقد للدعاية الدولية المتمثلة سابقا بالمعسكر الاشتراكي.

فقد طرحت الأحداث الأخيرة وفي ذروتها اغتيال زعيم حزب الأمة الإيرانية داريوش فروهار وزوجته وانتقادات القوى والعناصر القومية والقومية – الدينية كحركة حرية إيران بقيادة د. إبراهيم يزدي والجبهة الوطنية وحزب الأمة والجمعيات والاتحادات المهنية والطلابية المؤيدة لها في الجامعات الإيرانية، طرحت هذه الأحزاب كقوة من الممكن أن تنافس التيارات الإسلامية الحاكمة في إيران والذي لم تخف قلقها بين الحين والآخر من تنامي نفوذ هذه الأحزاب القومية بين الشباب والطلبة والجامعيين والصحافة الإيرانية. فالمحللون هنا وبقراءتهم للواقع السياسي الإيراني وبرغم اعترافه بتنامي قوة القوميين العلمانيين والقوميين الدينيين في إيران لا يرون في هؤلاء خطرا يمكن أن يهدد النظام على المدى القصير، لأن القوى الدينية بتياراتها وأجنحتها كافة لا تزال تتمتع بدعم قسم لا بأس به من الفئات الشعبية والطبقات الوسطى التقليدية مثل التجار وأصحاب المال والحوزات الدينية بينما يعتمد القوميون على الطبقة الوسطى الحديثة كالجامعات وقسم من موظفي الدولة والفئات التقنوقراطية في البلاد.

كما أن القوميات الإيرانية غير الفارسية ومعظم مثقفيها لا يميلون للتيارات القومية (الفارسية) وهذا ما رأيناه سابقا في عهد حكومة د.مصدق والجبهة الوطنية الموالية له في الأربعينات والخمسينات. فعليه يعتقد بعض المراقبين أن الطريق الأمثل لمعالجة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إيران واستمرار الانفتاح السياسي والثقافي الذي نادى به الرئيس الإيراني محمد خاتمي لمشاركة جميع القوى الدينية والقومية والديمقراطية ومن الشرائح والقوميات الإيرانية كافة في الحكم ووفقا لكتلة سياسية تحافظ على استقلال

البلاد ووحدة أراضيه وتؤسس للديمقراطية الفتية وتعمل على تنفيذ جميع بنود الدستور الإيراني كخطوة مرحلية لاجتياز الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الإيراني حاليا. حيث أثبتت التجارب التاريخية في العالمين العربي والثالث وكما وضحها بجلاء المفكر العربي د. محمد عابد الجابري أنه لا يمكن لأي حزب أو تيار مهما كانت شعبيته أن ينفرد بالسلطة وهذا ما ينطبق على إيران أيضا. حيث أخذ بعض المسؤولين وبخاصة بعد انتصار خاتمي في الانتخابات الرئاسية يدركون أنه لا يمكن لأي تيار سياسي أن يحكم البلاد لوحده مهما كان قويا ومقتدرا في فترة من فترات حياته السياسية.

فلهذا وكخطوة أولى، أدرك التيار المحافظ في إيران أنه لا مناص من التعايش مع التيار المعتدل واليسار الإسلامي ولا بد من تقاسم السلطة مع منافسيه في الحكم. هذا يصلح وكحل في القصير الأمد لكن وعلى المدى المتوسط والبعيد لا بد من إشراك الأحزاب والتيارات الوطنية والقومية والمعتقدة بالدستور الإيراني كافة في لعبة الديمقراطية وتشكيل الكتلة التي نظر لها د. محمد عابد الجابري.

سوسيولوجية التيارات السياسية الإيرانية بعد ثورة فبراير ٧٩

أدى قيام الثورة الإيرانية في فبراير ١٩٧٩ إلى تحول أساسي في ميزان القوى السياسية والاجتماعية الفاعلة على الساحة الإيرانية وفيما كان حزب شمولي شاهنشاهي واحد يحكم إيران في عهد الشاه وهو حزب "استاخيز" أي البعث، كانت هناك فصائل عدة سياسية معارضة ومسلحة وغير مسلحة تناضل ضده بأشكال مختلفة، غير أن المعادلة قد تغيرت بعد سقوط الملكية والملك من العرش الإيراني.

وتضم الخارطة السياسية الإيرانية حاليا ألوان الطيف كافة حيث يحاول كل تيار وجناح سياسي الاستيلاء على السلطة أو الحصول على حصة منها. ومعظم هذه التيارات والقوى تعمل على الساحة السياسية في الداخل والبعض منها يقيم في الخارج.

ويصنف بعض علماء الاجتماع، الأجنحة والتيارات السياسية الإيرانية الفاعلة إلى ثلاثة صنوف هي: ١-الأوتوقراطيون ٢-الأرستقراطيون ٣-الديمقراطيون.

وتعتقد التيارات الأوتوقراطية أن السلطة ينبغي أن تنحصر بيد فرد واحد بشكل مباشر أو غير مباشر وهذا حق إلهي يمكن أن يفوضه الله إلى فرد خاص وأنه ينشأ من شخصية كارزمية غير دينية ومرجع الشرعية للحاكم في هذه الحالة هي ذاته فحسب، وحتى في الفلسفة الدينية التي يعتبر فيها الحاكم خليفة الله والرسول على الأرض لا يمكن البحث عن آلية مستقلة عن هذا الحاكم لإثبات شرعيته.

ويستند الأوتوقراطيون إلى الآية القرآنية "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.." حيث يفسرونها بصورة تتطابق مع تصوراتهم الأوتوقراطية.

ومن المصطلحات الكثيرة الاستخدام في أدبيات هؤلاء "الذوبان في الولاية" وهذا يعني أنه وحيال صاحب الولاية أو ولي الفقيه لا يملكون أي حق لإبراز وجودهم ورأيهم ويحاولون الاستحالة في وجوده. إن أفضل تعبير عن هذه التبعية المطلقة والتي يتبناها هؤلاء ما كتبته صحيفة "شلمجة" الأصولية قبل مدة وقالت فيها بالحرف الواحد "إن تبعيتنا

لولاية الفقيه (مرشد الثورة) لها شكلها الخاص حيث إذا قال الولي إن لون الحليب اسود نراه أسود ولا نشكك في الأمر ".

ويوجد في النظام المثالي للأوتوقراطيين عامة، قائد أو زعيم ملهم في أعلى سلم السلطة، حيث لم يكن هناك مكان للمؤسسات الواسطة في إدارة البلاد. وحتى إذا أنشئت مثل هذه المؤسسات لإثر الظروف التي يمليها التاريخ والوضع الدولي فتكون شكلية بلا لون ولا أصل وذلك حيال هيبة الزعيم الملهم وسلطته.

وتوجد مجموعات من هذه الفئة الاجتماعية في إطار النظام الإيراني وخارجه وذلك بالرغم من تباين هذه المجموعات وتناقصها في المضمون.

ويشكل تيار اليمين الديني المتطرف والذي تمثله جماعات متشددة مثل مجموعة " أنصار حزب الله " الإيرانية أحد صنوف هذه الفئة الاجتماعية والسياسية، كما أن هناك الوجه الآخر للأوتوقراطية وهو يتمثل في الفصائل المسلحة المعارضة للنظام والمستقرة في البلدان المجاورة والتي تؤله الفرد القائد. وتنتمي هذه الفئة أي تيار اليمين الديني اجتماعيا إلى الشرائح التجارية – السمسرية وهي شرائح لها جذور تاريخية في إيران لكنها ترعرعت بعد الثورة وبخاصة في ظروف الحرب العراقية _ الإيرانية وأصبحت من القطط السمان إثر حصولها على الريع الكبير الناتج عن ظروف الحرب.. وتستخدم هذه الفئات – والفئات المتناقضة لها خارج إطار السلطة – أساليب غير ديمقراطية بل وعنيفة للوصول إلى أهدافها وهذا ينشأ عن ماهيتها السياسية شبه العسكرية.

٢-الفئات الأرستقراطية : وتعتقد هذه الفئات بنوع من الحكم الأوليجارشي العائلي أو القبلي أو الطبقي أو إلى حكم ينتمي إلى مجموعة خاصة ومحدودة. كان حكم العائلة البهلوية والعوائل الأرستقراطية المعدودة المرتبطة به، حكما أوليجارشيا جليا. وقد تقلص عدد الأنظمة الأوليجارشية بالعالم في القرن العشرين ماعدا بعض الأنظمة الملكية الاستبدادية أو القبلية القائمة هنا وهناك.

وبعد سقوط الأرستقراطية الملكية وتصفية رموزها في إيران بدأت تظهر إلى الوجود أرستقراطية دينية يشكل نواتها رجال الدين، حيث أخذت تستنفع من الريع السياسي وذلك من خلال موقعها المسيطر في المجتمع.

وقد طرح أحد منظري الأرستقراطية الدينية في إيران نظرية "الجمهور النقي" حيث أراد بذلك أن يميز بين الجماهير العامة والواسعة و "الجمهور النقي" الذي تعتمد عليه هذه الفئة السياسية والتي توصف بالمحافظين في إيران حيث لهؤلاء قراءتهم الخاصة لمبدأ ولاية الفقيه يختلف بعض الشيء عن المتشددين الدينيين، فإذا كان ولي الفقيه في القراءة

الأوتوقراطية يتمتع بصلاحيات مطلقة فتشترط ولايته، وفقا للقراءة الأرستقراطية، بإجماع الفقهاء أي مراجع التقليد الكبار، وهو في رأيهم ينبغي أن يتعهد بالحفاظ على المبادىء والمعايير الرسمية للفقه والفقه الرسمي أي الشيعي في البلاد.

ويعتقد هؤلاء أن كل الفقهاء هم خلفاء لله والرسول أي هم الواسطة بين الخلق والخالق ولهم الولاية ـــ بالقوة وليس بالفعل ـــ على المؤمنين لكن ينبغي اختيار واحد منهم وليا فقيها وذلك للاجتناب من التزاحم في الأمر.

ويؤكد الأرستقراطيون على دور شريحة رجال الدين في إنقاذ ولاية القائد على الناس ويقوم المنظرون لهذه الفئة السياسية بتقديس شريحة رجال الدين أو " الروحانيون " في إيران.

ويعتبر المحللون "رابطة رجال الدين المجاهدين" ـــ جماعة روحانيت مبارز ـــ وحزب الجمعيات المؤتلفة الإسلامية والمنظمات المناصرة لها من المدافعين للأرستقراطية الدينية في إيران وتضم رابطة "رجال الدين المجاهدين" شخصيات سياسية مثل ناطق نوري ومهدي كني وأمامي كاشاني وغيرهم.

ويرى المحللون نظيرا لهذه الاتجاهات الأرستقراطية بين التيارات الملكية وبعض الاتجاهات الشيوعية ولكن بمضمون آخر.

وتمثل الأرستقراطية الدينية، أقلية طبقية نبيلة تشكلت خلال الأعوام العشرين المنصرمة وشرائح من الطبقة الوسطى التجارية – التقليدية وقسم من أصحاب المحال والمهنيين المرتبطة مع البازار.

٣-فئة الديمقراطيين : تعني النظرية الديمقراطية في أبسط معانيها " سلطة الشعب على الشعب" إذ تعتبر هذه النظرية، الإنسان خليفة الله على الأرض حيث خلق حرا ولا ينبغي أن تتحكم عليه أي طبقة اجتماعية وتنظر " الديمقراطية الدينية " كما تسمي نفسها في إيران، إلى الدستور الإيراني من هذا المنظار وتعتقد أن حق السيادة هو مختص لله فقط حيث يفوضها إلى خلقه.

ولا يعتقد الديمقراطيون الدينيون – خلافا للأرستقراطية الدينية – بأية واسطة بين الله وخلقه وهم يبحثون عن شرعية السلطة السياسية بين الرأي العام الشعبي.

وتنقسم هذه الفئة السياسية إلى تيارات عدة أهمها :

الليبرالية الديمقراطية " الدينية " حيث يدافع هؤلاء عن مبدأ النيابة البرلمانية ويعتبرون البرلمان أهم الأدوات لتطبيق سلطة الشعب ويؤكدون على تفويض سلطة الشعب إلى نواب الشعب وهذا يؤدي إلى ظهور فئة من الصفوة السياسية لا تختلف مع الصفوة

الأرستقراطية الحاكمة إلا في أمر واحد هو الرجوع إلى الشعب للحصول على الشـرعية، فيما ترى الفئات الأرستقراطية الدينية، الشرعية في ذاتها وليس في خارجها.

ويتألف هذا التيار من مجموعات عدة وفصائل أهمها :

حركة حرية إيران الذي أسسها المهندس مهدي بازرغان ــ أول رئيس وزراء بعـد قيام الثورة الإسلامية في إيران – عام ١٩٦١ ويرأسها حاليا د. إبراهيم يزدي.

حزب كوادر البناء والذي يرأسه حاليا غلام حسين كرباسـجي عمـدة طـهران الموقوف ويضم الحزب وزير الإرشاد د. مهاجراني ومحافظ البنك المركزي نوربخش والنائبة فائزة هاشمي حيث يعتبر أبوها – هاشمي رفسنجاني – المرشد الروحي لهذا الحزب.

يضاف إلى هاتين المجموعتين جناح معتدل يتألف من مؤيدي المفكر الديني د. عبـد الكريم سروش والذي كانت صحيفتا " جامعة وطوس " المحظورتان منبرا له. ويتمتع هـذا الجناح الفكري السياسي وخلافا للمجموعتين السابقتين بمبادىء أيديولوجية تتغذى مـن النحلة الليبرالية الديمقراطية في العالم ويتأثر بأفكار الفيلسوف النمساوي – البريطاني كـارل بوبر. وهناك وجه علماني أيضا لليبرالية الديمقراطية يتمثل في " الجبهة الوطنية " التابعة لنـهج الزعيم الوطني الراحل د. مصدق وكذلك بعض الدسـتوريين الإيرانيـين، فالليبراليـة الديمقراطية في إيران لا تنحصر في إطار نظام حكومي خاص حيث نرى مؤيديـها بـين الملكيين والجمهوريين وبين " كوادر البناء " في إطار نظام ولاية الفقيه على سواء.

فئة الاشتراكيين الديمقراطيين : قد يرى هؤلاء في الديمقراطية المباشرة – أي الشـورى كما يقولون – الديمقراطية الحقيقية وهم يؤكدون على نظام المجالس المحلية أكثر من البرلمان وكان الزعيم الوطني – الديني آية الله محمود الطالقاني من المتحمسين والمدافعين للديمقراطية الشورية غير أن هذا النظام لم يطبق حتى الآن بحذافيره في إيران.

وتجد مجموعات من اليسار الإسلامي التحديثي كحركة المسلمين المناضلين بقيـادة د. حبيب الله بيمان وهو من المناضلين المخضرمين ومنظمة جاما ــ مؤيدي السياسي الراحل كاظم سامي ــ وبعض الفئات السياسية المشاركة في السلطة الإيرانية أي الفئات اليسـارية الإسلامية الحديثة مثل جبهة المشاركة الإسلامية الإيرانية برئاسة د. محمد رضا خاتمي، تجـد مكانها في تيار الاشتراكيين الديمقراطيين.

ويصطف الآن في الساحة السياسية الإيرانية تياران رئيسـان همـا الأوتوقراطيـون والأرستقراطيون من جهة، ضد الائتـلاف الديمقراطـي "الليـبراليين والاشـتراكيين – الديمقراطيين" من جهة أخرى حيث يشكلان قطبي الصراع السياسي الدائـر الآن علـى السلطة في إيران.

وهناك تحليل اجتماعي آخر للقوى السياسية والاجتماعية في إيران يطرحه العالم الاجتماعي والمناضل السياسي د. حبيب الله بيمان حيث يعتقد بوجود ثلاثة تيارات اجتماعية – سياسية في إيران هي : أ) التيارات التي تساند وتمثل، على حد قوله، فئة النبالة الدينية والتجارية – السمسرية. ب) التيارات التي تساعد وتمثل الطبقات الاجتماعية المؤيدة للتنمية الصناعية والتي تعمل لإحياء سلطة العلاقات الرأسمالية الحديثة. ج) الأجنحة التي تسعى إلى أن تتكىء وتعتمد على الشرائح التحتية في المجتمع حيث تدعي أنها تمثل البورجوازية الصغيرة وحتى نوعا ما العمال والفلاحين وتفضل تركيز السلطة السياسية والملكية الاقتصادية بيد الحكومة.

وللنائب السابق وأحد رجال الدين المناضلين محمد جواد حجتي كرماني رأي حول " أصحاب الرأي الآخر " في المجتمع الإيراني حيث يصفهم كالتالي : هناك فئات مختلفة تندرج تحت هذا العنوان، منهم المعارض للإسلام، والمسلم بالهوية حيث لا يتقيد كثيرا بشؤون الدين، والمسلم الذي يؤدي فريضة الصلاة فقط، والمسلم الذي يعتقد بالنظام الإسلامي لكنه لا يقبل بمبدأ ولاية الفقيه، والمسلم الذي يقبل بمبدأ ولاية الفقيه لكنه لا يقبل بآية الله الخميني ليكون وليا فقيها، والذي يقبل بولاية الفقيه وآية الله الخميني والمرشد الحالي لكن لهم انتقادات على بعض الأمور.

أما السؤال الذي يطرح نفسه فهو أين يقف الرئيس محمد خاتمي من هذا التيارات والاتجاهات السياسية والاجتماعية كافة في إيران ؟

سبق أن أعلن الرئيس خاتمي عشية الانتخابات الرئاسية قبل عام ونصف العام أنه ورغم انتمائه إلى فصيل جماعة رجال الدين المناضلين " مجمع روحانيت مبارز " اليسارية الإسلامية يترشح كشخصية مستقلة ليكون رئيسا لكل الإيرانيين وليس لحزب أو فئة خاصة.

غير أن ذلك لا ينفي وجود اتجاه سياسي يقتنع به الرئيس الإيراني حيث يقربه من هذا أو ذاك من التيارات السياسية الفاعلة في إيران، وبرأيي أن أقرب حزب سياسي للرئيس خاتمي هو " جبهة المشاركة الإسلامية في إيران " التي يرأسها شقيقه محمد رضا خاتمي وتضم العديد من الوزراء والمستشارين للرئيس والمسؤولين في الحكومة، إذ سبق أن ذكرنا عن هذه الجبهة وموقعها في الخريطة السياسية الإيرانية.

بين الأدب العربي والفارسي علاقات وثيقة بدأت قبل دخول الإسلام إلى إيران

حوار أجرته صحيفة الوطن العمانية

يوسف عزيزي كاتب وصحفي إيراني من مواليد مدينة الأهواز عام ١٩٥١ م. يعمل في صحيفة همشهري الإيرانية اليومية مسؤولا عن شؤون العالم العربي ويمارس إلى جانب عمله هذا ثلاث مجالات يعتبرها أبرز هواياته هي: كتابة القصة القصيرة والدراسات عن العرب في الأهواز والترجمة للأدب العربي المعاصر من اللغة العربية إلى الفارسية في مجال الفكر والرواية والشعر.

وبجانب ذلك فيوسف عزيزي درس العلوم الإنسانية وحصل على شهادة البكالوريوس ومن ثم الليسانس، وقد طبع مجموعتين قصصيتين باللغة الفارسية وترجم بعض قصصه إلى اللغة العربية.

في هذا الحوار السريع الذي تم مع عزيزي أثناء زيارته الأخيرة للسلطنة، نلقي الضوء على أبرز ما يحمله الكاتب من أفكار وآراء، وفي بدء تناول الحديث موضوع دراسته للعلوم الإنسانية وكتابة القصة القصيرة وعما إذا كان بينهما أي ترابط أثر في ذاته فقال :

أنا أعتبر الصحافة عملي الذي أكسب منه معيشتي وأوفر ما أحتاجه من أساسيات الحياة، لكن كتابة القصة القصيرة والكتابة الأدبية بشكل عام تظل هوايتي الأساسية، وقد استطعت من خلالها الاطلاع على نماذج الأدب العربي حيث ترجمت الكثير من الروايات والشعر العربي الحديث لنجيب محفوظ وحنا مينا وغسان كنفاني وعبد الوهاب البياتي وأدونيس والفيتوري وبعض الأدباء في الخليج مثل ليلى العثمان.

ـــ وماذا عن ترجمتك من الفارسية إلى العربية ؟

ـ يمكن القول أن لي بعض الترجمات من الفارسية إلى العربية، ولكن هذه الترجمات تتمحور بشكل خاص في قصصي، كما أقوم بكتابة بعض مقالاتي باللغة العربية، أما بالنسبة لترجمة الأعمال الفارسية للكتاب الإيرانيين فما زالت حتى الآن مشروعا مؤجلا، أنا أفضل الترجمة من العربية إلى الفارسية حتى نطلع على الأدب العربي أساسياته وتطوراته.

ـ ماذا وجدت من تواصل بين الأدبين العربي والفارسي، في ظل إطلاعك الواسع عليهما ؟

ـ لا أعتقد أن هناك أدبين في العالم بينهما علاقة وتواصل وارتباط وثيق كما هو الحال بين الأدب العربي والأدب الفارسي. وتأثير الأدب العربي على الفارسي كتأثير الأدب اليوناني على الأدب اللاتيني، هذا الترابط نتج عن العرى والعلاقات الوثيقة والقديمة جدا قبل الإسلام وبعده بين اللغتين العربية والفارسية، فالأخيرة تطورت بشكل كبير بعد دخول الإسلام إلى إيران واستخدام الإيرانيين الأبجدية والخط العربيين. فقبل الإسلام كان الإيرانيون يكتبون بالخط الآرامي وهو خط صعب جدا، فكانوا يواجهون في ذلك صعوبة بالغة في قراءة هذا الخط، ولما دخل الإسلام إلى إيران أصبح هناك طفرة في اللغة الفارسية باندماجها مع الخط العربي واستخدامها له فاستفادت من مفرداته .

وبنظرة إلى الأدب الإيراني قبل الإسلام نجد أنه معدوم الإبداع إذا صح التعبير، إذ يصعب علينا العثور على قصيدة شعر أو مقالة أدبية في ذلك الوقت؛ ولكن بعد الإسلام نجد أن أفضل شعراء العالم برزوا في إيران منهم الرودكي وحافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي والرومي والسنائي والفردوسي والقائمة طويلة جدا، وذلك كما قلت بسبب سهولة االابجدية واندماج اللغتين العربية والفارسية بعد الاسلام.

ـ وماذا عن موقع إيران بين الحضارات القديمة، ألم يؤثر ذلك في اتجاهها إلى التأثر بحضارة أخرى غير الإسلام ؟

ـ إيران، بلا شك، لها حضارة عريقة جدا منذ ثلاثة آلاف سنة وعندما ذكرت أنه من الصعب علينا أن نجد قصيدة شعر أو مقالة أدبية قبل الإسلام لا أعني أننا متخلفون عن الفنون والآداب الأخرى، فكانت لدينا حضارة موسيقية أثرت على الموسيقى العربية بعد الإسلام، وكان الإيرانيون متطورين أيضا في إدارة شؤونهم السياسية والاقتصادية، لذا فإن تداخلهم مع حضارات العالم الثالث جاء من هذا المنطلق، وهم شأنهم شأن العرب تداخلوا مع كل الحضارات الموجودة في ذلك الوقت، لكن تأثيرهم كان أقوى مع الحضارة الإسلامية.

ـ ما تقييمك للأدب العربي بشكل عام والأدب العماني بشكل خاص ؟

ـ من حيث الأدب العربي فشأنه شأن الأدب الفارسي واجه قرونا من الانحطاط بعد الازدهار الذي كان عليه في القرون الأولى للإسلام، فالحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها وخصوصا خلال العهد الأموي والعباسي كان الأدب والشعر يتربعان على عـرش الآداب العالمية في ذلك الوقت، وظهرت أسماء لها مكانتها المرموقة، ولكن حالة الانحطـاط الـتي أصيبت بها هذه الحضارة مع الحروب الداخلية والتزاعات السياسية أصابت حالة من الشلل للأدب العربي. وكان ذاته الحال للأدب الفارسي الذي واجه تخلفا وسباتا لم يفق منـه إلا مع بداية هذا القرن.

أما بالنسبة للأدب العماني فقد أتيحت لي الفرصة للاطلاع على الحديث منـه وأرى أنه يسير في ذات الخط للأدب العربي عموما والخليجي خصوصا والذي حـاول التـأثر بالمدرسة الحداثية، وينتهج خطا يحاول من خلاله إبراز قضاياه وهمومه الاجتماعية بصـورة أدبية راقية،، وقد قرأت بعض قصص للقاص حمد بن رشيد وقاصين آخريـن لا أذكـر أسماءهم الآن، وأيضا قصائد للشاعر سيف الرجبي ولكن أقولها بشكل عام أنه تطور فكـرا وإبداعا وفي نيتي ترجمة بعض هذه الأعمال للفارسية قريبا.

التنمية السياسية والتنمية الاقتصادية في إيران

يتم تصنيف الثورة الإسلامية في إيران عادة ومنذ قيامها عام ١٩٧٩ وحتى الآن إلى ثلاث فترات :الفترة الأولى أي فترة اللا استقرار والقلاقل في السنوات الأولى للثورة تليها سنوات الحرب مع العراق (١٩٧٩ – ١٩٨٩).

الفترة الثانية : فترة ما بعد الحرب أو ما سميت بفترة البناء والإعمار في إيران (١٩٨٩ – ١٩٩٧). أي إعادة بناء ما دمر في حرب الثماني سنوات.

الفترة الثالثة : وهي الفترة الأخيرة تبدأ بالانتخابات الرئاسية في ٢٣ مايو ٩٧. وقد وصفها البعض بفترة الجمهورية الثالثة أي استمرار للجمهورية الأولى في الفترة الأولى والجمهورية الثانية التي كان يرأسها هاشمي رفسنجاني لدورتين ولمدة ثماني سنوات.

وقد انتقد البعض هاشمي رفسنجاني وحكومته بالتركيز على التنمية الاقتصادية دون الالتفات إلى التنمية الثقافية والتنمية السياسية. حتى أن البعض ادعى أن فوز الرئيس خاتمي على مرشح المحافظين كان بمثابة رد فعل على انسداد نوافذ الحرية السياسية والثقافية في إيران قبل مايو ٩٧.

فنحن لم نحكم هنا على سياسات رفسنجاني الاقتصادية والتي كانت ترتكز على الخصخصة وبيع الشركات المؤممة إلى القطاع الخاص والتي أسفرت عن ارتفاع نسبة التضخم وانخفاض سعر العملة الإيرانية إزاء العملات الأجنبية مما أدى إلى تدخل البرلمان والمسؤولين وتعديل ما وصف بالإصلاحات الاقتصادية في عهد الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني.

وقد شاهد الجميع انفتاح الأجواء السياسية والثقافية في إيران خلال أول عام لرئاسة خاتمي، وذلك رغم جميع المشاكل الاقتصادية التي يقوم بها التيار الفاشل في الانتخابات الرئاسية والذي يسيطر على مؤسسات اقتصادية هامة في إيران كالسوق الكبير (البازار) ولجنة الإمام للإغاثة ومؤسسة المستضعفين وما شابه ذلك. فقد واجه إيران أثناء العام

الماضي موجة ركود شملت إيقاف العمل في العديد من المعامل والمصانع خاصة في حقل صناعة النسيج وانخفاض نسبة الصادرات وارتفاع الواردات.

لكن وبرغم كل هذا لم تتزعزع الجماهير الإيرانية وخاصة الجامعيين والطلبة والمثقفين والأجنحة المعتدلة واليسارية من دعم الرئيس خاتمي والتأكيد على الأولوية السياسية بالنسبة للتنمية الاقتصادية. وقد كان للصراع من أجل التأكيد على أولوية الأولى على الثانية بعض الضحايا خلال العام الماضي سقطوا إثر نيران المدفعية المحافظة منهم عبد الله نوري الذي أقاله المحافظون في البرلمان من وزارة الداخلية الإيرانية وغلام حسين كرباسجي أحد ركائز التنمية الثقافية والسياسية حيث تجري محاكمته هذه الأيام بتهم تتعلق بالفساد المالي.

وأخيرا وليس آخرا إصدار قرار محكمة المطبوعات بإلغاء ترخيص صحيفة جامعة المستقلة والتي تنتظر هذه الأيام وبنفاذ الصبر قرار محكمة الاستئناف حيث يرى العديد من المراقبين أنها ستصادق على قرار المحكمة الأولية.

وقد شن التيار التقليدي خلال الأيام والأسابيع الأخيرة حملة كلامية ضد القائلين بأولوية التنمية السياسية على التنمية الاقتصادية.

فقد دعا آية الله يزدي رئيس السلطة القضائية وأحد أركان التيار المحافظ في إيران في صلاة الجمعة قبل أسبوعين وبلهجة ناقدة ومعاتبة دعا الشباب والطلاب أن يولوا جل اهتمامهم للمشاكل الاقتصادية التي تنخر في جسد الاقتصاد الإيراني وأن يضعوا قضايا التنمية السياسية في المرتبة الرابعة أو الخامسة. كما تفوه علي أكبر ناطق نوري رئيس مجلس الشورى الإيراني — منافس الرئيس الإيراني في الانتخابات الرئاسية — بكلمة مشابهة في إحدى المناسبات وركز على الصعوبات الاقتصادية وطالب بإهمال القضايا الأخرى أو وضعها في المراتب الأدنى من الأهمية. والتصريح الأخير في هذا المجال هو لحجة الإسلام رازيني رئيس دائرة العدل في محافظة طهران والذي يشرف على جميع المحاكم ومنها محاكمة رئيس بلدية طهران غلام حسين كرباسجي حيث قال وبالحرف الواحد : " في أي وقت أعطيت الحرية وبمقدار كاف ندم المسؤولون والجماهير عن إعطاء الحرية ".

وقد وردت الصحف الموالية للحرية والتنمية السياسية في أعدادها الأخيرة على هذه التصريحات وانتقدتها وقارنت المتفوهين بها بالذين عارضوا الحرية من ملوك ومسؤولين مستبدين في تاريخ إيران الحديث واتهم التيار الموالي لخاتمي هؤلاء التقليديين وخاصة الأغلبية الضئيلة والمحافظة في مجلس الشورى الإيراني بعدم تفهم وعدم قبول شعارات الرئيس خاتمي الخاصة بالتنمية السياسية والثقافية والمنادية بتمسك الجميع بالقانون وبناء

المجتمع المدني في إيران الآن، والشعب الإيراني يتلقى نتائج محاكمة أمين العاصمة ويبحث عن اسم الوزير الذي سيحتل أكبر وأهم وزارة في حكومة الرئيس خاتمي أي وزارة الداخلية لا ينسى وضعه الاقتصادي الصعب لكنه ورغم ذلك يبدو عازما على دعم رئيس حكومته الذي بذل الكثير من الحكمة والحنكة في معالجة التوترات السياسية التي واجهها العام المنصرم والمقرون بالانفتاح الداخلي والخارجي.

ورقة من شجرة الإصلاح الإيرانية

الجميع يعرف المهندس سعيد حجاريان لدوره المتعدد الجوانب في الحركة الإصلاحية الإيرانية لكن الصحفيين والمثقفين الإيرانيين يعرفون أن حجاريان ليس رجلا عاديا فحسب بل يعد المنظر الرئيسي وأحد أقطاب الحركة الإصلاحية في إيران والساعد الأيمن للرئيس خاتمي ولهذا قرر أعداءه المتشددون اغتياله.

عرف اسم حجاريان قبل سنوات غير أن الشيء الذي جذب إليه الأنظار تصريحاته في صحيفة سلام – المحظورة حاليا – في خريف عام ١٩٩٦ والذي كان يؤكد فيها على حق القوميات الإيرانية لتقرير مصيرها وبل والأكثر من ذلك كان يعتبر الفدرالية الإطار الملائم لحل مشاكل إيران وشعوبها المختلفة.

لقد التقيت حجاريان البالغ من العمر ٤٧ عاما والمولود بمدينة كاشان وجها لوجه في مبنى صحيفة همشهري خريف عام ١٩٩٨ وذلك بعد انفتاح الأجواء السياسية في إيران وقد جاءنا ليشارك في ندوة لطرح بعض الأسئلة عليه وأخذ الأجوبة منه، وكنت أول المبادرين إلى محاورته وطرحت سؤالا عليه حيث طلبت منه أن يوضح أطروحاته بشأن القوميات الإيرانية. فرأيت الملل على وجه الرجل وكأنه لم يتوقع أن يكون أول سؤال من هذا النوع. وقد تواصل النقاش حول القوميات الإيرانية بطرح أحد زملائنا الأتراك سؤال آخر في هذا المجال.

قال حجاريان وبالحرف الواحد عقب انتهاء الندوة لقد أحرجت بهذا السؤال ولما ذكرته بما صرح به في صحيفة سلام قال : " المحافظون يتابعون هذه الأيام كل صغيرة وكبيرة لتصريحاتي".

كان حجاريان عضوا من مجموعة " طلبة خط الإمام " الذين تسلقوا جدران السفارة الأمريكية في طهران عام ١٩٧٩ ومن ثم وعند إنشاء وزارة الاستخبارات كان أحد

مؤسسيها حيث أصبح فيما بعد مساعدا لوزيرها الأول محمد ريشهري في عهد رئيس الوزراء مير حسين موسوي.

أما المحافظون فهم يتهمون حجاريان، ومن بين تهم عديدة، بتزكية مسعود كشميري المدبر لخطة انفجار مبنى رئاسة الوزراء في طهران عام ١٩٨١ والذي راح ضحيتها رئيس الجمهورية آنئذ محمد علي رجائي ورئيس وزرائه باهونر، ناهيك عن تزكية سعيد إمامي مساعد وزير الاستخبارات الثاني بعد الثورة على فلاحيان الذي انتحر في السجن بعد اتهامه بارتكاب الاغتيالات السياسية التي شملت المثقفين والسياسيين المعارضين قبل عام ونيف.

غير أن الإصلاحيين يدعون أن حجاريان قد وصى آنذاك أي بعد توظيف سعيد إمامي بعدم توظيفه في المراكز المفصلية بالوزارة.

لقد عين آية الله المنتظري – والذي كان خليفة آية الله الخميني في الثمانينات – سعيد حجاريان ممثلا له لمتابعة المحاكمات التي عمت إيران في تلك الحقبة للحد في موجة الإعدامات التي شملت العديد من أعضاء ومؤيدي المنظمات المعارضة بوصفه مساعدا لوزارة الاستخبارات في تلك الحقبة حيث شارك في قمع القوى المعارضة آنذاك مثل منظمة مجاهدي خلق والمنظمات اليسارية كحزب تودة ومنظمة فدائيي خلق والقضاء عليها في الداخل.

وبعد انتهاء الحرب العراقية – الإيرانية ومجيء حكومة رفسنجاني عقب حكومة مير حسين موسوي الحربية قام وزير الاستخبارات الجديد والمحافظ علي فلاحيان بتصفية القوى اليسارية الموالية لمير حسين ومنهم سعيد حجاريان ورفاقه في وزارة الاستخبارات.

وقد شغل حجاريان لفترة منصب معاون محافظ إقليم خوزستان (الأهواز) حيث تعرف عن قرب بالقضايا التي تعاني منها القوميات غير الفارسية ومنهم العرب في هذه المحافظة. إذ ذكر أنه كان ينوي أن يؤلف كتابا حول العرب والعشائر والقبائل العربية في الأهواز غير أنه انصرف عقب اطلاعه على مؤلفاتي في هذا المجال. وحاورته حول إجراءاته القمعية ضد الشيوخ العرب من المحافظة ونفيهم إلى سائر مناطق إيران وشرحت لهم أنهم ليسو معادين للثورة كما يتصور وقبل النقد برحابة صدر. كما تحدثنا حول التركيبة السكانية لمدينة الأهواز وعدد العرب في هذه المدينة حيث شعرت انه لا يملك الكثير من المعلومات في هذا المجال.

وكان ثمة اقتراح قبل الانتخابات النيابية بأشهر – أي بعد عام من إصدار صحيفته صبح أمروز – أن تصدر المؤسسة نشرة عربية خاصة لعرب خوزوستان (الأهواز) وقد رحب بالفكرة حيث نتوقع أن تصدر النشرة العربية لصحيفة " مشاركت " التابعة لجبهة

المشاركة هذه الأيام. فقد كان لفصل حجاريان من وزارة الاستخبارات بالغ الأثر علـــى توجهاته السياسية إذ أصبح مساعدا لمركز الدراسات الاستراتيجية التابعة لرئاسة الجمهورية. وقد تعمقت نظرته في هذا المركز الهام وخاصة حول القضايا الإصلاحية والديمقراطية ومنها حقوق القوميات الإيرانية وحرص على متابعة القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعيـــة بصورة أكاديمية ولعب دورا بارزا في انتخاب خاتمي رئيسا للجمهورية في إيران وأصبـــح مستشارا سياسيا له كما تابع نشاطه بإنشاء صحيفة (صبح أمروز) الإصلاحية ودعـــاني للعمل فيها لتغطية الشؤون العربية.

الجميع في إيران يعرفون الجهود التي بذلتها (صبح أمروز) للكشف عن خبايا عمليـة الاغتيالات السياسية والاعتداء على الحي الجامعي من قبل قوات الشرطة (التي يسيطر عليها المحافظون) والميليشيات الدينية المتشددة. وقد انتخبت الجماهير في العاصمة الإيرانيـــة في طهران حجاريان عضوا في المجلس البلدي للعاصمة في الانتخابات التي جرت في شباط عام ١٩٩٩ وأصبح في المركز الثاني للائحة الفائزين وذلك بعد وزير الداخلية السابق والمعتقـل حاليا عبد الله نوري. ويبدو أنه نجا من الاعتقال عندما قرر أنه لا يحذو حذو عبد الله نوري ولا يرشح نفسه للانتخابات النيابية التي تمت قبل أسابيع. غير أن ذلك لم ينقذه من الرصاص حيث يقول البعض هنا وبحالة من الجدية والمزاح أن السجن هو أفضل مثـــوى للوجـــوه الإصلاحية البارزة حين يتعلق الأمر بالاحتفاظ بالحياة. في آخر لقاء لي مع سعيد حجاريـان في شهر رمضان عندما كان ضيفا على صحيفة همشهري ذكرته بطلبي لإجـــراء مقابلـــة لصحيفة (الزمان) غير أنه قال لي أنه يرجح المقابلة مع مجلة (الزمان الجديد) لديمومة المقال أو المقابلة في المجلة أكثر من الصحيفة اليومية واتفقنا بأن " ندردش " في أقرب فرصة ممكنـة لضيق وقته بسبب كثرة المسؤوليات الموكولة إليه وأهمها مسؤولية جبهة المشاركة لإيـــران الإسلامية والذي يعتبر حجاريان عضوا مؤسسا ومنظرا لها. ولا يشك اثنان في إيـــران أن فوزها الساحق في الانتخابات النيابية في إيران يرجع إلى مهارته الدعائية ومثابرته في العمـل السياسي وانفتاحه على الأفكار المختلفة رغم تمسكه بأفكاره الاشتراكية — الديمقراطية.

كلمة قائد قوات الحرس الثوري تؤجج الصراع بين التيارات السياسية

أثارت كلمة اللواء يحيى رحيم صفوي قائد قوات الحرس الثوري والتي ألقاها في جمع من قياديي هذه القوات في مدينة قم (مايو ١٩٩٨) وهدد خلالها التيار المعتدل بضرب الرؤوس وقطع الألسن ووصف بعض رجال الدين بالمنافقين أثارت ردود فعل متباينة أدت إلى تأجيج الصراع بين التيارات والأجنحة السياسية مرة أخرى بعد أن هدأ الوضع السياسي بإطلاق سراح رئيس بلدية طهران غلام حسين كرباسجي قبل أقل من شهر وقد شنت الصحافة المعتدلة واليسارية والتي تضم في صفوفها رجال دين سياسيين هجوما مضادا ضد اللواء صفوي، شبهه البعض بصدام حسين واتهمه البعض الآخر بأنه ينوي القيام بحركة شبه انقلابية تماثل الانقلابات العسكرية في تركيا.

وقد ركزنا في تحاليل سابقة نشرت في "الوطن" العمانية أن هناك ثلاثة خيارات يواجهها المجتمع الإيراني في لحظته التاريخية الراهنة : الأول الخيار العسكري أي أن تقوم فئة من القوات المسلحة بحركة انقلابية وبظاهر إسلامي متشدد وتقضي على نتائج انتخابات ٢٣ مايو الرئاسية من ديمقراطية وانفتاح سياسي وثقافي.

ويرى المحللون السياسيون في كلمة اللواء صفوي قرائن على ما يدور في أذهان قياديي الحرس الثوري حيث ساندوا منافس الرئيس خاتمي في الانتخابات الرئاسية وقاموا بحملة انتخابية واسعة لصالح المرشح الأصولي واستغلوا كل إمكانياتهم لإلحاق الهزيمة بالرئيس خاتمي غير أن النتيجة كانت مباغتة ومخيبة لهم. إذ أدلى ٢٠ مليون إيراني وبمن فيهم نحو ٧٠ في المائة من قوات الحرس الثوري بأصواتهم لصالح خاتمي وذلك رغما على كل الدعاية السلبية التي تمت ضده.

فالعديد من المتابعين للشؤون الإيرانية لا يعتقدون بنجاح أي انقلاب عسكري حتى لو قام به الحرس الثوري. إن إيران لم تشهد انقلابات عسكري عبر تاريخها المعاصر وذلك

خلافا للكثير من دول المنظمة والعالم. وأما في العملية التي قامت بها الولايات المتحدة وبريطانيا لإعادة الشاه السابق إلى الحكم في عام ١٩٥٣ لم يلعب الجيش إلا دورا ثانويا في الإطاحة بحكومة الدكتور مصدق الشرعية.

كما وأن الحرس الثوري لم يحظ بمساندة أجنبية أو غربية بسبب مبادئه وسياساته المعادية للولايات المتحدة الأمريكية. صحيح أن هناك نماذج من الانقلابات العسكرية قام بها العسكر في بعض البلدان دون مساندة غربية مثل ما حدث في بورما غير أن إيران تختلف عن بورما وحتى العراق من حيث موقعها الجيوستراتيجي وأهميتها في المنطقة بالنسبة للغرب ناهيك عن عراقة نضال الشعب الإيراني المستمر منذ مطلع هذا القرن حيث أنشأ أول برلمان في القارة الآسيوية عام ١٩٠٦ وكان أول من أمم النفط في منطقة الشرق الأوسط.

وأخيرا لا ننسى الدعم الشعبي الذي يحظى به الرئيس خاتمي فعليه ورغم الأزمة الاقتصادية التي تتجسد الآن بشكل ركود اقتصادي أخذ ينخر في جسد الشعب الإيراني غير أن المحللين السياسيين يستبعدون إمكان أي تحرك من قبل قوات الحرس الثوري ما عدا بعض المحاولات لتخويف الفصائل والعناصر المستقلة والليبرالية واليسارية الناشطة على الساحة السياسية.

ويرى المحللون أن هذه المحاولات التي يقوم بها الحرس الثوري تستهدف التأثير على انتخابات مجلس الخبراء المقرر إجراؤها بعد حوالي تسعة أشهر. وهذه الانتخابات التي تجري كل سبع سنوات هام جدا لأن المجلس سوف يبحث ويقرر في قضية مصيرية وهي قضية القيادة في إيران. ولأسباب ذكرناها آنفا لا يعطى المحللون السياسيون إلا ٥ ـــ ١٠ بالمائة من الاحتمالات للقيام بانقلاب عسكري من قبل الحرس الثوري لصالح التيار المحافظ وذلك بسبب ميزان القوى القائم الآن على الساحة السياسية.

إن الخيار الثاني والمتمثل باحتمال هيمنة المحافظين على الجهاز الحكومي إثر الضغوط الاقتصادية والسياسية المكثفة على حكومة الرئيس خاتمي مستبعد أيضا وذلك لصمود الرئيس خاتمي والتيارات المؤيدة له والمساندات الجماهيرية التي يحظى بها والتي تحثه على المضي على نهجه القاضي بالانفتاح السياسي والثقافي في الداخل والابتعاد عن التوتر في الخارج.

وأخيرا يبقى الخيار الثالث أي المسار الديمقراطي للثورة الإيرانية الذي يتزعمه الآن الرئيس خاتمي حيث يتلاءم مع الظروف الداخلية وميزان القوى السياسية والتأييد الذي يحظى به دوليا وفي المنطقة.

ويرى المراقبون أنه إذا تمكن الاقتصاد الإيراني — وهو الآن ككعب أخيـــل بالنســبة لحكومة الرئيس خاتمي — أن يمر بسلام من الأزمة الراهنة والناتجة عن الحصار الاقتصـــادي وانخفاض أسعار النفط واحتكار السلع والتلاعب بالأسعار من قبل التجار الموالين للتيـــار المحافظ فتسير العملية الديمقراطية بسلام أيضا وذلك بالرغم من كثافة العراقيل السياسية التي يطرحها التيار المنافس للحكومة والذي يسيطر على مواقع هامة في السلطة الإيرانية.

كر وفر بين الصحف المستقلة والمحافظين في إيران

شهدت الصحف الإيرانية وبعد فوز الرئيس خاتمي على منافسه المحافظ علي أكبر ناطق نوري نقلة نوعية. فقد تنفست الجماهير المكبوتة الصعداء بعد قرون من الاستبداد المتوج بالحكم الفردي للأباطرة والملوك. فمرحلة خاتمي هي استمرار لفترات قصيرة من تاريخ إيران الحديث شهدت البلاد خلالها انفتاح الأجواء السياسية حيث لا تتجاوز هذه الفترات بعض السنوات المعدودة مثل حقبتي العشرينات والأربعينات من هذا القرن والسنوات الأولى بعد قيام الثورة الإيرانية في ١٩٧٩.

وقد رددت الجماهير الإيرانية من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها وبجميع قومياتها وخلال المظاهرات الشعبية العارمة إبان الثورة رددت شعارا أساسيا هو " الاستقلال والحرية والجمهورية الإسلامية ".

غير أن الصدامات المسلحة بين المعارضة والحكومة وكذلك اندلاع الحرب العراقية — الإيرانية أجلت تحقيق قسم من هذا الشعار الأساسي أي " الحرية " على أرض الواقع.

وبعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية بدأت مرحلة إعادة البناء التي اقترنت مع وجود هاشمي رفسنجاني رئيسا للجمهورية الإسلامية الإيرانية حيث كان التأكيد خلالها على التنمية الاقتصادية دون الاهتمام الكافي بالتنمية السياسية.

فقد تراكمت الأعمال والأمنيات لبلوغ الحرية والديمقراطية في المجتمع الإيراني خلال هذه السنوات كلها لتتفجر بشكل أصوات انتخابية أدت إلى انتخاب خاتمي رئيسا للجمهورية في أيار (مايو) ١٩٩٧.

وقد كان تعيين د.عطاء الله مهاجراني وزيرا للإرشاد الإيراني حدثا مفاجئا وأمرا غريبا لم يتوقعه أحد آنئذ. كما بدا تعيينه لهذا المنصب وكأنه بشير بدخول إيران مرحلة أكثر انفتاحا من المرحلة التي كان يصول ويجول فيها الوزير المتزمت السابق د. مير سليم العضو

البارز في حزب الجمعيات المؤتلفة الإسلامية اليميني، والذي شدد من وطأة الرقابة على الكتب، وحال دون توسيع دائرة الصحافة في إيران.

وقد تطورت الصحف بعد تولي مهاجراني الوزارة بوتيرة سريعة حيث بلغ عددها بأنواعها المختلفة ما بين يومية وأسبوعية وشهرية أكثر من ألف صحيفة ومجلة وفصلية وأصبحت هناك صحف ومجلات انتقادية ومستقلة بدأت تقترب – من حيث المستوى – من معايير الصحف الدولية العربية وغير العربية غير أنها تبقى أقل توزيعا قياسا بالصحف المصرية والتركية.

ويبدو أن التطور هذا أزعج التيارات والأجنحة المحافظة التي تخشى أي تغيير على الساحتين السياسية والاجتماعية حيث صرح أحد عناصرها البارزين وفي تعليقه على دور هذه الصحف وخاصة صحيفة "جامعة" المحظورة، طوس الآن، أنها تقوم بإيقاظ قوى كامنة في مجتمع يمكن أن تؤدي إلى تطورات غير مرغوب فيها. ولا شك أن نشر هذا الكم الهائل من المقالات والتحليلات والأخبار وكذلك الكتب التي كسرت سد الرقابة الرهيب والمقام في عهد الوزير السابق سيكون له أثر عظيم – كما وكيفا – في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية في المدى البعيد والمتوسط.

هذا ما حدث في مجال الصحافة. وقد لا نرى مثل هذا التطور على صعيد الأحزاب السياسية مما أدى بالصحف الإيرانية لتلعب دور الأحزاب السياسية وذلك علاوة على دورها كوسيلة إعلام لها مميزاتها الخاصة وأعني أن أي قارىء لأية صحيفة الآن ينتمي إلى حزب لم يعلن عنه رسميا تمثله هذه الصحيفة أو تلك.

لكن السؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارىء والمتتبع للقضايا الإيرانية أنه لماذا لم تتطور الأحزاب السياسية خلال العام الأول لحكم الرئيس خاتمي مثلما تطورت الصحافة الإيرانية ؟ والجواب هو أن المشكلة تكمن في اللجنة المسؤولة عن إعطاء الرخص للأحزاب السياسية والمعروفة في إيران بلجنة المادة عشرة حيث أن أغلبية أعضاء هذه اللجنة هم من المحافظين – ٢ من السلطة القضائية و٢ من البرلمان و١ فقط من وزارة الداخلية – الذين لا يؤمنون بجدوى التعددية وحرية الأحزاب في إيران أو بالأحرى يخشون نتائج هذه التعددية على مصالحهم السياسية والاقتصادية.

فالسلطة القضائية وبسيطرة التقليديين عليها حاولت أن تواجه مد الحريات السياسية ومنها حرية الصحافة حيث عارضت وبشدة الصحف المستقلة والليبرالية مثل " جامعة " و" كزارش روز " ... إلخ.

وقد أبدا مسؤولو أجهزة القضاء الإيراني والتيارات المحافظة مرات عديدة استيائهم لهذا الكم الهائل من الصحف المرخصة للنشر من قبل وزارة الإرشاد ووزيرها د. عطاء الله مهاجراني الذي كان قد احترق بدوره بنيران الرقابة على الصحف سابقا حين كان يصدر أسبوعية "بهمن" قبل عام ١٩٩٦ والتي منعها المسؤولون في الوزارة آنذاك عن الصدور حيث لم تصدر منها إلا أعدادا محدودة جدا.

وفي الحقيقة أننا لا يمكن أن نحلل الكر والفر بين الصحف المستقلة والأجهزة القضائية إلا في إطار الصراع السياسي العام الدائر الآن بين المحافظين من جهة والمعتدلين واليسار الإسلامي من جهة أخرى.

فالقوى التقليدية كانت وقبل رئاسة خاتمي تستخدم جميع الأساليب وخاصة المجموعات الضاغطة لعرقلة محاضرات المفكرين والسياسيين واجتماعات القوى المنافسة لها، و لم تكن تبالي بما يقال عن خشونة هذه الأساليب وعدم شرعيتها. لكن وبعد تأكيد الرئيس خاتمي على الحريات المشروعة للمواطنين والتمسك بالقانون وحق المعارضة لإبداء رأيها، حاولت القوى المحافظة الانسجام مع الأجواء الجديدة ومسايرة الأحداث حيث أخذت تستخدم تارة الأساليب القانونية لإضعاف التيارات السياسية الموالية للرئيس خاتمي، مثل القيام بمحاكمة رئيس بلدية طهران غلام حسين كرباسجي واستجواب وزير الداخلية السابق عبد الله نوري وفرض الحظر على صدور صحيفة "جامعة". وتارة بشكل استخدام الأساليب القديمة كما رأيناه مؤخرا في احتماع إحدى المجموعات الضاغطة أمام مبنى صحيفة "طوس" — جامعة — سابقا.

وبالأحرى حين تفاجأت القوى المحافظة باستخدام أساليب أخرى من قبل منافسها السياسي مثل تكتيك صحيفة (جامعة) وخروجها بحلة جديدة واسم جديد هي صحيفة "طوس" حيث ضربوا رئيس تحريرها وهددوا محرريها. وقد أصدرت الأجهزة القضائية عقب ذلك أمرا بإيقاف صدور صحيفة "طوس " حتى إشعار آخر، وذلك تحت ذريعة المعارضة الشعبية، غير أن وزارة الإرشاد عارضت هذا الأمر ووصفته بأنه أمر غير قانوني.

لكن النتيجة كانت فوزا للمعتدلين في الوزارة وصحيفة "طوس " بنقطة واحدة أمام المحافظين في الأجهزة القضائية، وذلك بعد أن تراجعت السلطة القضائية مساء يوم الأحد عن تهديداتها وسمحت لصحيفة "طوس " بالصدور بعد أن فرض غرامة خفيفة على رئيس تحريرها حوادي حصار.

ويرى بعض المراقبين أن المحافظين وبرغم محاولاتهم المتواصلة ومعارضتهم للرئيس خاتمي لفتحه الأجواء السياسية قد خسروا في انتخابات أيار (مايو) الرئاسية المعركة

السياسية والثقافية في إيران استراتيجيا غير أنهم يحاولون الفوز ببعض المكاسب التكتيكية هنا وهناك. مثل استجواب هذا الوزير أو محاكمة ذلك المسؤول المنتمين للتيارات الموالية للحرية والانفتاح. ويحفل تاريخ الصحافة الإيرانية بصفحات مشرقة من النضال المهني والسياسي وكسرها لقيود الاستبداد القاجاري منذ نشوئها قبل اكثر من قرن ونيف وخاصة عقب انتصار ثورة الدستور في مطلع القرن العشرين.

فالقرابين التي ذبحت على ساحة الصحافة ومن أجل تحقق الحرية والديمقراطية كثيرة. فهذا "صور إسرافيل" الذي ألقاه جنود الشاه محمد علي القاجاري في بئر عميق في إحدى معسكرات طهران ليموت خنقا، وهناك "ملك المتكلمين" و "عشقي" الذي قتل على يد أزلام الشاه رضا بهلوي و(فرخي يزدي) و (كريم بور شيرازي) الذي أحرق حيا لدفاعه المستميت عن حكومة د. مصدق الوطنية، والقائمة طويلة لا مجال لذكر كل الأسماء. والصحف في إيران تسعى الآن جاهدة لتحتل موقعها العصري في المجتمع الإيراني وفي المنطقة والعالم لكي تصبح السلطة الرابعة كما أرادها وحلم بها مناضلو ثورة الدستور وهي تناضل يوميا للوصول إلى هذا الهدف المنشود منذ ١٠٠ عام حتى الآن.

نبضات قلم تحاول جسر العلاقة الثقافية بين ضفتي المياه الدافئة

حوار الشبكة الادبية على الإنترنيت

بطاقة

قاص، مترجم، باحث، صحفي، عضو اتحاد الكتاب والصحفيين الإيرانيين وعضو اتحاد الكتاب العرب، مواليد محافظة الأهواز جنوب إيران عام ١٩٥١، ماجستير في العلوم الإنسانية، محرر الشؤون العربية في صحيفة همشهري الإيرانية.

ينشط يوسف عزيزي بني طرف في ثلاثة مجالات، كتابة القصة باللغتين الفارسية والعربية، ترجمة الأدب العربي المعاصر – رواية، شعر_ إلى الفارسية ووضع دراسات عن عرب الأهواز.

له ١٦ مؤلف ١٢ منها حول الأدب منها مجموعتين قصصيتين (حتة والنهر والمستنقع) و (عيون شربت). تعيش (حتة الشط والمستنقع) أجواء المجتمع العربي في الأهواز والقصة الرئيسية فيها هي قصة (حتة) البطل المحلي الذي يمثل رمز التوق إلى الانعتاق، البطل الذي يقتل قاتله كما يقول ويفعل ما يقول.

تصلح المجموعة القصصية كوثيقة بحثية لدراسة التركيبة النفسية والاجتماعية والعلاقات مع المحيط الخارجي لعرب الأهواز.

أما (عيون شربت) التي تقع في ١٠٠ صفحة فتضم ١٥ قصة تبرز قدرة الكاتب على استخدام الرموز وخلف أجواء سريالية مع الاقتراب من الواقعية السحرية وتتلون قصص المجموعة بلون الحياة وطريقة التفكير والعادات والطبائع في جنوب إيران.

و(عيون شربت) هي القصة الرئيسية في المجموعة وترمز (شربت) المرأة هنا إلى الأرض.

يوسف عزيزي بني طرف استضافنا في بيته ودخلنا معه في حوار هو فاتحـــة حـــوارات الشبكة الأدبية:

س: لمن ترجمت من الأدباء العرب ؟

ج: عرفت القارىء الفارسي على نجيب محفوظ، حنا مينا، محمود درويـــش، عبـــد الوهاب البياتي، الفيتوري، غسان كنفاني، كما ترجمت لعدة كتاب عـــرب وفلســـطينيين آخرين.

س: هل أنت أول من نقل محفوظ إلى الفارسية ؟

ج: هناك من سبقني لترجمة إحدى روايات محفوظ لكن لم يحالفه الحظ بالنجاح علـــى عكس رواية يوم قتل الزعيم التي ترجمتها وأعتبرها محظوظة لأنها نزلت إلى الأسواق مـــع منح مؤلفها جائزة نوبل ووقتها طبع منها ٥٥٠٠ نسخة نفذت جميعها.

س: لو عقدنا مقارنة بين واقع الرواية والقصة والسينما في إيران ومثيلاتهـــا في العـــالم العربي ؟

ج: الرواية كنوع جديد من الأدب قدمت إلى إيران من الغرب مثلما تـــأثر العـــرب بالشعر الحر والرواية في أوائل القرن العشرين.

في العالم العربي كتب محمد حسين هيكل عام ١٩١٦ أول رواية ذات تركيبة فنيـــة هي رواية (زينب) بعد ١٢ عاما من هذا التاريخ كتب صادق هدايت روايـــة (البومـــة العمياء)، وهي أول عمل روائي إيراني يمتلك عناصر الرواية بالكامل، الرواية نشرت بالهند عام ١٩٣٣ وطبعت في خمسين نسخة ووصلت حاليا طبعاتها إلى ١٤ طبعة.

البومة العمياء مترجمة إلى أكثر من لغة ومنها العربية الذي نقلها إليها المرحوم الدكتـــور الدسوقي شتا في مصر.

البومة العمياء أكثر جمالية من رواية زينب لكن إن قارنا هدايت هيكل فـــلا يمكـــن مقارنته مع نجيب محفوظ.

وفي مجال عقد المقارنة يرى الناقد الإيراني غلام علي سيار أن الرواية العربية متقدمـــة على الرواية الإيرانية بـــ (٢٥٠) عام وهذا الرأي طرحه سيار في مقابلة مع إحدى المجلات الأدبية والإيرانية.

القصة الإيرانية ظهرت على يد محمد علي جمال زاده وسبقت الرواية بالزمان والبنـــاء الفني وهي بنفس مستوى القصة العربية تقريبا، وعودة إلى الرواية نرى أنها تطورت علـــى

يد كتاب مثل بزرك علوي ومحمود دولت آبادي وهوشنك كلشيري وللتاريخ فإن هناك رواية قديمة لكاتب يدعى مستعان لكنها رواية ضعيفة البناء.

السينما الإيرانية أخذت طريقها إلى العالمية وأرى أنها أكثر تقدما من السينما العربية وأعتقد أن عالمية السينما الإيرانية جاءت من خلال اهتمامها بالجانب الإنساني المعنوي العرفاني وهو يعد مفقود في السينما العالمية.

عن الترجمة من العربية إلى الفارسية يقول عزيزي أنها بدأت من قبل الصحابي سلمان الفارسي (رض) الذي ترجم سور من القرآن الكريم وعرضها على النبي (ص)، أما الترجمة الحديث فبدأت مع ترجمة كتاب طبائع الاستبداد لعبد الرحمن الكواكبي وكان لهذا الكتاب أثر خاص في ثورة الدستور بإيران أوائل القرن العشرين.

س: لماذا القطيعة الثقافية بين شاطىء المياه الدافئة ؟

ج: السبب الأول أعزوه إلى الغزو الأجنبي السياسي والعسكري والثقافي الذي قسم العالم الإسلامي والعالم العربي واصطنع الحدود. وفي مرحلة لاحقة كان السبب الثاني صعود القوميين المتطرفين، فالتطرف القومي عندما وجد طريقه إلى السياسة والأدب ساهم بقطيعة ثقافية شبه تامة بين إيران والعرب استمرت نصف قرن هي فترة سيطرة النظام الملكي وحاضرا يعود سبب القطيعة إلى ارتهان الأدبي إلى السياسي وإذا استطردنا في قضية تأثير التطرف القومي على التواصل الثقافي الإيراني العربي، نرى أن الملكية البائدة كانت تقف موقف معاد لكل ما هو عربي والغريب أن يتساير معها في هذه الفكرة أدباء كانوا معارضين لها مثل صادق هدايت وملك الشعراء بهار وسعيد نفيسي وإخوان ثالث. وتصور أنني سمعت قبل سنوات من أحد الملكين القوميين في أمريكا يصف الثورة الإسلامية في إيران بأنها هجوم ثان للعرب على إيران والهجوم الأول يقصد به دخول العرب إلى إيران مع الفتح الإسلامي.

اللطيف في الأمر أن القوميين المتطرفين مع هذه المواقف، إلا أنهم يتجهون إلى الغرب في نفس الوقت. على الجانب الآخر هذا شيء كان موجودا أيضا وقصة محاربة ساطع الحصري للجواهري معروفة للجميع ومع مجيء الثورة الإسلامية اتجهت الأمور نحو الأحسن.

س: هل هناك مشروع حوار ثقافي عربي إيراني ؟

ج: لا، فلا الحكومات مهتمة بمثل هذا الحوار ولا المثقفين، واللوم على الحكومات في هذه القطيعة الثقافية لأنها لا تهيأ مستلزمات الحوار والتبادل الثقافي وتشكيل الجمعيات

الثقافية. ألمس هنا في الوسط الإيراني استعدادا لمثل هذا الحوار، ونحن نمد أيدينا لأخوتنا الأدباء العرب ومن خلال هذا المنبر.

والحوار ليس بالضرورة أن يكون رسميا، لماذا لا يكون بين الأدباء وأنا شخصيا وفي كل دولة عربية أزورها ألتقي مثقفيها وأدبائها، وعلى سبيل المثال لي عدة مقابلات مع رئيس اتحاد الأدباء العرب الدكتور علي عقلة عرسان والشاعرة سعاد الصباح، ولقاءات مع الكتاب السوريين والمصريين والفلسطينيين.

أرى أن هذا وقت العمل، ولا مجال للأعذار ونحن في إيران نتطلع للحوار بين الشعوب نتطلع إلى إرساء الحضارة الإسلامية الحديثة التي تتم بتعددية الأصوات والديمقراطية وتبادل الآراء والانفتاح والتسامح والتساهل في القضايا الثقافية والسياسية. وعلى هذا أدعو الكتاب والأدباء والصحفيين العرب الاهتمام بهذا الأمر وأن يشمروا عن سواعدهم، لنبدأ حتى لا تهضمنا الثقافات الدخيلة.

على أنه هناك إشارات إيجابية في المجال فثمة زيارات للأدباء عند كل طرف للطرف الآخر ولو أنها قليلة. وسينمائيا سمعت أن المخرج الإيراني محسن مخملباف أصبح عضو في هيئة تحكيم مهرجان قرطاج السينمائي بتونس وهناك دعوة مصرية للسينمائيين الإيرانيين.

س: ما هو جديد يوسف عزيزي ؟

ج: أتممت نقل كتاب (الفكر العربي الحديث) للمؤلف الروسي ليفين من العربية إلى الفارسية ويتناول الكتاب التطورات الفكرية والحركات الاجتماعية والسياسية للعالم العربي خلال القرن التاسع عشر وسيصدر الكتاب إن شاء الله بعد ثلاثة اشهر أو أقل. واضع اللمسات الأخيرة على المجلد الثاني لكتاب (نسيم كارون) الذي يتناول الحياة الثقافية والاجتماعية لعرب الأهواز.

ختاما فإن يوسف عزيزي يرى أن تأثير الأدب العربي على الفارسي كتأثير الأدب اليوناني على الأدب اللاتيني وهذا الترابط نتج من العرى والعلاقات الوثيقة والقديمة جدا قبل الإسلام وبعده بين اللغتين العربية والفارسية، فاللغة الإيرانية وفقا لما يقول الكاتب تطورت بشكل كبير بعد دخول الإسلام إلى إيران واستخدام الإيرانيين مفردات الحرف والخط العربي. ويضيف يوسف عزيزي لا أعتقد أن هناك أدبين بينهما علاقة وتواصل وارتباط وثيق كما هو الحال بين الأدب العربي والأدب الفارسي.

ويبقى المشروع الحلم لدى يوسف عزيزي هو جسر العلاقة بين الثقافتين العربية والإيرانية .

إيران والصراع بين التيارات السياسية

الصراع بين التيارات السياسية وخاصة بين المحافظين من جهة والإصلاحيين من جهة أخرى يأخذ كل يوم بل وكل ساعة أبعادا مختلفة. فنحن نرى مظاهر هذا الصراع في كل صغيرة وكبيرة من حياة الإيرانيين السياسية والاجتماعية وفي ساحة البرلمان وأحداث الاغتيالات وفي الشوارع ومراسم العزاء الحسينية وفي منابر صلاة الجمعة. وقد تكون حرب الصحافة هي أبرز صورة تعكس هذا الصراع الذي لم يحاول أحد بعد الآن التستر عليه.

فلم تكن الضربة التي تلقاها المحافظون في الانتخابات التشريعية في ١٨ شباط (فبراير) ٢٠٠٠ هينة حيث لا يزال يعاني هذا التيار من صدمتها الهائلة والمكملة لضربة الانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٧ وانتخابات المجالس البلدية عام ١٩٩٩. ونحن نعلم أن المتشددين والمحافظين بذلوا قصارى جهدهم للفوز في جميع هذه الانتخابات، ولكن من دون جدوى. ومن قراءة الأحداث التي تجري على الساحة السياسية في إيران يبدو أن المتشددين وباستمرار الحركة الإصلاحية يشعرون بالخطر على مصالحهم السياسية ومن ثم الاقتصادية القائمة على مبدأ الريع الحكومي. وقد أقنع هؤلاء سائر الفئات المحافظة الأكثر اعتدالا بحدة وقرب الخطر مما أدى بهذه الفئات للانسياق وراء المتشددين في مخططاتهم الرامية لتقييد الحريات الصحفية بل والقضاء على الحركة الإصلاحية الفتية إذا سمحت الظروف بذلك. وقد نشاهد الانشطار في المجتمع الإيراني أفقيا وعموديا. فهناك أغلبية من السكان الإيرانيين يدعمون خاتمي وبرامجه الإصلاحية وهناك أقلية تساند المحافظين والمتشددين؛ هذا أفقيا وأما عموديا فتختلف الصيغة تماما. صحيح أن الإصلاحيين يسيطرون حاليا على السلطة التنفيذية غير أن هناك ثمة وزراء بطيئين – أم لم نقل محافظين – لم يتمكنوا من السير مع خطوات الحركة الإصلاحية حيث يدور الكلام هذه الأيام عن

احتمال تغييرهم في إطار تعديل التركيبة الوزارية من قبل خاتمي وعند افتتاح البرلمان الجديد في أيار (مايو) ٢٠٠٠.

وأما في السلطة القضائية ورغم الحديث عن ضرورة تطبيق الإصلاحات في تركيبتها وإقصاء الرئيس الجديد للقضاء آية الله هاشمي شاهرودي لبعض المتشددين من مناصب مهمة كانوا يتولونها في عهد رئيسها السابق آية الله محمد يزدي غير أن هناك جيوبا متشددة لا تزال تتخندق في مناصب مفصلية مثل القاضي مرتضوي الذي يقوم بفرض العقوبات الصارمة ضد الصحفيين كان آخرها اعتقال رئيس تحرير صحيفة " عصر آزادغان " لمدة ٣٠ شهرا.

تبقى السلطة الثالثة أي السلطة التشريعية التي يسيطر عليها وحتى السابع والعشرين من أيار (مايو) القادم المحافظون حيث يتوقع – إذا سارت الأمور على ما يرام في البلاد – أن تنتقل إلى أغلبية إصلاحية اكتسحت أغلب مقاعد البرلمان في الانتخابات التي جرت في ١٨ شباط (فبراير المنصرم) ويبدو أن السابع والعشرين من أيار (مايو) هي النقلة الزمنية التي يمكن أن تقع قبلها العديد من الأحداث كي يتم إلغاء هذه النقطة أو على الأقل تأجيلها إلى موعد آخر. وقد جلبت النتائج في انتخابات شباط (فبراير) التشريعية وحتى هذه اللحظة الويلات للإصلاحيين الفائزين فيها حيث كادوا أن يفقدوا أبرز منظريهم أي سعيد حجاريان في محاولة قامت بها فئات متشددة يدعي الإصلاحيون أن عددا منهم ينتمون للبسيج والحرس الثوري وعددا آخر إلى قسم التفتيش في مجلس صيانة الدستور والجميع يعرف أن المؤسسات هذه هي في قبضة المتشددين.

أضف إلى ذلك المشروعات المقيدة لحرية الصحافة والتي أخذ البرلمان الخامس – الحالي – يصادق عليها في أيام عمره الأخيرة، ناهيك عن الهجمات المتواصلة من على منابر صلاة الجمعة والمناسبات الدينية الأخرى ومنها ما صرح به أخيرا وليس آخرا العدو اللدود للإصلاحيين والمنظر الرئيس للمتشددين آية الله مصباح يزدي حيث اتهم بعض المؤسسات الرسمية – الإصلاحية – بعرض البيرة والمشروب على الضيوف الأجانب في الحفلات كما واتهم الإصلاحيين بالعمل على إزالة الحجاب من النساء وتشجيع الفتيات والبنين على الرقص في الشوارع وتعطيل الأحكام الإلهية في المجتمع الإيراني.

ويبدو من الأحداث الأخيرة مثل محاولة اغتيال المنظر الرئيس للإصلاحات سعيد حجريان وأبطال مجلس صيانة الدستور لنتائج الانتخابات في بعض المدن لصالح المرشحين المحافظين الفاشلين في المرحلة الأولى للانتخابات والتي أدت إلى إثارة القلاقل في هذه المدن واعتقال رئيس تحرير صحيفة "آزادغان" الإصلاحية واستدعاء العديد من محرري الصحف

للمحاكم واعتقال عضو المجلس البلدي لمدينة طهران حكيمي بور وإصدار بيـــان قيــادة قوات الحرس الثوري الذي اتسم بالتشدد والاستفزازت والمؤامرات التي تحاك ضد الوجـوه الإصلاحية البارزة، كل هذه القضايا تدل على أن المتشددين قد شددوا إجراءاتهم للحـــد من العملية الإصلاحية أو إذا أمكن الأمر القضاء عليها. غير أن هذا الأمر لم يتم عن طريـق انقلاب عسكري بل يتم بشكل فرض الضغوط من كل حدب وصوب علـــى الحركـة الإصلاحية وزعيمها الرئيس خاتمي. إذ نشهد حاليا أن الخيارات التي طرحناها في مقابلتنـا مع زعيم حركة حرية إيران د. إبراهيم يزدي وهي : الانقلاب العســكري أو اســتمرار مسار الديمقراطية الخاتمية أو هيمنة القوميين على الحكم مطروحة وبشــكل ملــح علــى الساحة الإيرانية وباستثناء الخيار الثالث الذي لم توجد الظروف الملائمة له يرى المراقبـــون أن الخيارين الأوليين هما في تنافس حاد حيث لا تفصل بينهما إلى شعرة يمكن أن تقلـــب الأمور لصالح الخيار الأول أو الثاني.

السينما الإيرانية قطعت مراحل كبيرة من التطور

صحيفة القبس الكويتية تحاور يوسف عزيزي (آذار ١٩٩٥)

استقبلت رابطة الأدباء في العديلية أحد أعضاء الوفد الصحفي الإيراني الــذي يــزور البلاد بدعوة من وزارة الإعلام، يوسف عزيزي بني طرف. و هو كاتب صحافي.

حضر اللقاء أمين عام رابطة الأدباء و عدد من الأدباء و الشعراء.

و قد دار الحديث حول شؤون الثقافة و الأدب في كلا البلدين و طرق التواصل بـين الأدباء.

حول الشعر ومنابع الثقافة في إيران: تحدث السيد يوسف قائلا :أنه كمـا في العـالم العربي، هناك حركة شعرية حديثة ومنها ما هو مترجم إلى لغات عديدة وتتركز الحركة في العاصمة طهران. أما بالنسبة للرواية فهناك إصدارات عديدة لكنها ليست بحجم ما يصـدر في الوطن العربي.

وعن حركة الترجمة قال : هناك حركة نشطة جدا، فالأعمال تـترجم إلى اللغـات الإنكليزية والفرنسية والروسية. وعن الرقابة على المطبوعات أجاب : نعم هناك رقابة، ولنا صراع يومي مع الرقابة على الكتب. أما بالنسبة للصحافة فليس هناك رقابة بالمعنى الدقيـق. هناك رقابة ذاتية من الصحافيين، ومن أصحاب الصحف. هناك عشر صحف تصدر يوميا أهمها صحيفة " همشهري" أي - المواطن - وتوزع في أنحاء إيران كلها في اليـوم نفسـه وهي ذات اتجاه أدبي ثقافي. بالنسبة للكتب ورقابتها بدأت نتيجة الاحتجاجات التي قام بهـا الأدباء والكتاب والآن بدأوا يرفعون — أو يخففون من الرقابة — أما الكتب التي تأتي مـن الخارج فلدينا كل عام معرض دولي للكتاب من أعظم معارض الشرق الأوسط. وتشـارك فيه جميع دور النشر العالمية والعربية. ومن النادر أن تخضع الكتب للرقابة.

ــــ هل لديكم رابطة كتاب كما هو في جميع الدول العربية ؟

عن هذا السؤال أجاب بأسف : كانت هناك رابطة تأسست منذ ستين سنة بعد الحرب العالمية الثانية. أسسها كتاب إيران الكبار لكن الآن هي معطلة، فالجو يطغى عليه السياسي قبل الثقافي. وقد كتب الأدباء رسالة للحكومة مطالبين بتشكيل اتحاد كتاب للأدباء أسوة بالدول الأخرى، وحتى الآن لم يحدث شيء. هناك قضايا خاصة معقدة، وأمور كثيرة لا بد أن تحل بين الحكومة والأدباء.

وقد أبدى يوسف إعجابه بالتواجد في الرابطة، وقال أنه يلاحظ تواجد لأجيال مختلفة. فعلقت الكاتبة ليلى العثمان : إن هذا يعني أن تواصل الأجيال مستمر. وقد عقب الشاعر أحمد السقاف على هذا التعليق : لأن الأدباء الصغار " سنا " يعرفون أنهم يوما ما سيكونون — كبار سن — أما الأستاذ عبد الرزاق البصير فقد تخاطب مع السيد يوسف باللغة الإيرانية مما أشاع جوا من المرح. أما من حيث توجيه الأسئلة فقد حرص الأستاذ البصير على التحدث بالعربية التي يجيدها الضيف إجادة تامة. إنه أيضا يقوم بترجمة الأدب والشعر العربي إلى اللغة الفارسية. وقد ترجم لمحمود درويش والبياتي. والفيتوري. كذلك روايات لنجيب محفوظ وغسان كنفاني وحنا مينا.

وعن حركة الرسم والنحت والمسرح والسينما قال ": إن حركة الرسم والنحت تباطأت عن ذي قبل. وكذلك المسرح. وأما بالنسبة للسينما الإيرانية فقد قطعت مراحل كبيرة من التطور وتجاوزت السينما العربية. هناك تقنيات فنية عالية. وكثير من الأفلام حصدت جوائز. أما بالنسبة للموسيقى فهناك معاهد تدرسها وهي الآن الأفضل.

ماذا عن دور المرأة ؟

-للمرأة جذورها وإسهامها. لدينا روائيات وشاعرات بعضهن ينتمين للتيار الإسلامي. وبعضهن للتيار العلماني أو القومي. هناك تنوع بأفكار المرأة والحكومة إلى حد ما تسمح بتنوع الأفكار والتعبير عن الرأي.

وقد أكد يوسف أنهم يقومون بدور كبير لترجمة الأدب العربي ونشره. وقد ترجم لبعض كتاب الخليج. لكنه عتب أن حركة الترجمة من الفارسية إلى العربية قليلة.

بعد انتهاء اللقاءات قامت رابطة الأدباء بإهداء الضيف مجلة البيان. وبعض كتب الأدباء والشعراء.. وتم الاتفاق على أن يكون هناك تواصل ما بين الرابطة وأدباء إيران من خلال النشر وتبادل المطبوعات.

يوسف عزيزي كاتب ومترجم وصحافي. له ١٨ مؤلفا ما بين مجموعات قصصية وبحوث اجتماعية وكتابات عن التراث وكثير من الترجمات.

التمييز والاستعلاء القومي منافيان للإسلام، والمحافظون يعرقلون إصلاحات خاتمي

يوسف عزيزي يحاور العضو السابق في القيادة الإيرانية وأحد زعماء المعارضة ، حبيب الله بيمان

ولد د. حبيب الله بيمان، الأمين العام لحركة المسلمين المناضلين عام ١٩٣٥ في مدينة شيراز جنوب ايران حيث التحق بحركة الاشتراكيين الموحدين في الأربعينات ومطلع الخمسينات أي في الفترة التي شهدت نمو الحركة الوطنية في إيران، وقد اعتقل عدة مرات خلال عام ١٩٥٠ بسبب مشاركته الفعالة في هذه الحركة التي كان يقودها آنذاك الزعيم الوطني د. مصدق، حيث اعتقل بعد الانقلاب على مصدق وكانت أطول فترة قضاها في السجن بين ١٩٦٥ – ١٩٦٨ وأصبح د. حبيب الله بيمان عضو في مجلس قيادة الثورة الإسلامية، بعد قيامها ١٩٧٩، غير أنه لم يتول أي منصب حكومي.

وكانت له علاقة متينة مع الزعيم التقدمي الديني آية الله محمود الطالقاني. وبعد سنوات من عمر الثورة أخذ بيمان ينتقد تصرفات السلطة الإيرانية، وسرعان ما تحول إلى معارض للنظام الإسلامي من منطلق إسلامي، مطالبا بإطلاق الحريات الديمقراطية في البلاد. وقد ألف عددا من الكتب السياسية والدينية والاجتماعية باللغة الفارسية منها : "إيران عشية الثورة الاجتماعية" و "فلسفة التاريخ من نظرة قرآنية" و "الإسلام والديمقراطية ".

التقى يوسف عزيزي الدكتور بيمان – وهو طبيب أسنان – في عيادته بشمال طهران وطرحت عليه الأسئلة التالية :

ـــ ما هو تحليلك للتيارات والأجنحة السياسية في إيران، وما هي نزعاتها ومنشأها الطبقي الاجتماعي؟

ـــ ينبغي تقسيم التيارات والأجنحة السياسية في إيران إلى قسمين : قسم داخل منظومة السلطة وقسم آخر خارجها، وذلك بالرغم من أن هناك قواسم مشتركة عديدة بينهما فكريا واجتماعيا وطبقيا. لكن يجب الفصل بينهما سياسيا، أي من حيث امتلاكهم لأدوات السلطة أو حرمانهم منها.

أحد التيارين يميني ومحافظ وتابع للبورجوازية التجارية التقليدية والآخر معتدل وتحديثي ذو نزعات غربية تابع لشريحة التقنوقراط والرأسمالية الصناعية.

وهناك احتمالات للتقارب بين هذين التيارين للوقوف أمام الأجنحة اليسارية والحركات الشعبية والقوى السياسية المنظمة والمعارضة، وذلك بالرغم من الخلافات والصراعات العديدية بينهما للسيطرة السياسية في إيران.

فإن التيارين المذكورين وفي أعقاب الانتخابات الرئاسية (أيار / مايو ١٩٩٧) وبعد مشاهدتهما لتنامي الحركة التحررية من داخل منظومة السلطة، وكذلك إعادة نشاط الأحزاب والمجموعات المستقلة عن السلطة. ويشكل حزب الهيئات المؤتلفة الإسلامية وجمعية رجال الدين المجاهدين " روحانيت " النواة المركزية والتنظيمية للتيار اليميني، كما ويشكل حزب كوادر البناء، النواة التنظيمية للمعتدلين.

وقد انحسر التيار الموصوف باليسار (الإسلامي) بما فيه منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية ورابطة رجال الدين المناضلين "روحانيون" والذين كانوا يسيطرون على الحكومة في الحقبة الأولى بعد الثورة والمتمتعين آنذاك بمساندة البورجوازية الصغيرة وشرائح من العمال والقرويين، انحسروا جدا أثناء الحرب الإيرانية – العراقية وانفصلوا عن قواعدهم الشعبية. لكن هذه المنظمات حطمت ـــ لحد ما ـــ حصار انعزالها إثر مشاركتها النشطة في الحملة الانتخابية الرئاسية والتي أدت إلى فوز الرئيس خاتمي في ٢٣ أيار (مايو) ١٩٩٧. ومن بين التيارات الموجودة داخل منظومة السلطة، تيار جديد من المثقفين المناصرين للمجتمع المدني يضم في صفوفه عناصر انفصلت من التيارات اليسارية (الإسلامية) والمعتدلة وشرائح من الطلاب، حيث أخذ هذا التيبار الجديد يقود الكفاح ضد التيار اليميني، التجاري المحافظ ويمكن أن نجد قواعد هذا التيار – في أغلب الحالات – بين المثقفين، وطلبة الجامعات، حيث تتواجد فيه نزعات بورجوازية – ليبرالية وأفكار تحديثية وشذرات من الأفكار اليسارية – الدينية التحديثية. فهناك تياران خارجان عن منظومة

السلطة الإيرانية يقومان بنشاط أوسع من الآخرين، وهما التيار الليبرالي البورجوازي، الديني والوطني الذي يشمل حركة حرية إيران (التي أسسها مهدي بازرغان عام ١٩٦١) والجبهة الوطنية (التي أسسها د. مصدق عام ١٩٥٠). والتيار الآخر هو اليسار التحديثي، الديني، الراديكالي والذي يشمل حركة المسلمين المناضلين وأتباع د. علي شريعتي.

فالقاعدة الاجتماعية للتيار الأول هي التقنوقراطيين والبورجوازية الصناعية، فيما توجد معظم القواعد الاجتماعية للتيار الثاني بين الطلاب والجامعيين والمثقفين والشرائح الوسطى، شبه الميسورة والطبقات المعوزة في المدن.

وقد أصابت الأزمات التيار التجاري المحافظ بعيد انتخاب خاتمي رئيسا للجمهورية في أيار (مايو) ١٩٩٧ (وخاصة بعد الكشف عن أسرار الاغتيالات التي تعرض لها المثقفون على يد أحد الأجنحة في وزارة الاستخبارات)، وذلك بالرغم من بذله الجهود لإعادة موقعه السابق. غير أنه يحاول الاحتفاظ بمواقعه في البرلمان والسلطة القضائية وجهاز القيادة والحرس والبسيج (التعبئة)، كما ويعيش حالة استنفار دائم للدفاع عن كيانه أمام تطور الحركة التحررية والمجتمع المدني في إيران.

إن موقع هذا التيار التجاري – ووضعه في الانتخابات التشريعية القادمة (فبراير / شباط ٢٠٠٠) يرتبط بعاملين :

أ ـــ مدى استعداده للائتلاف مع التيار المعتدل المتمثل بحزب كوادر البناء.

ب-مدى نجاح حركة الرئيس خاتمي في كبح جماح الأزمة الاقتصادية والتجاوب مع مطالب حركة التحرر وإرضاء الجماهير المستاءة في البلاد.

كما ويمكن التنبؤ بأن توسيع رقعة الاستياء والتذمر بين الناس وخيبة الأمل المحتملة من الرئيس خاتمي لن تكون لصالح التيار اليميني، بل ستؤدي إلى تعميق راديكالية حركة التحرر ونمو التيارات اليسارية الإسلامية التحديثية في إيران.

ـــ كيف ترى وضع الأحزاب والصحافة والمؤسسات الدينية ؟وما هي المعوقات الأساسية أمام عملية الديمقراطية في إيران ؟

ـــ قد ازداد عدد الصحف الصادرة بعد انتخاب الرئيس خاتمي في أيار (مايو) ١٩٩٧ وحدث تطور ملحوظ في نوعية الأشياء المنتشرة في الصحف وذلك من أجل نشر الحقائق وأخبار البلاد.

غير أن حرية الصحافة لم تتجاوز إطار القوى والأحزاب الموجودة في داخل أنظمة السلطة.

فمعظم الصحف ترتبط حاليا بأجهزة السلطة وأركانها غير أننا نشاهد تنامي استقلاليتها إلى حد ما، وذلك إثر التناقضات الأساسية بين هذه الاجنحة، حيث تحاشت بعض هذه الصحف، أعمال الحظر المفروضة من قبل جهات رسمية وغير رسمية ضد المعارضة وأخذت تعكس آراءهم.

ولن تحصل أحزاب المعارضة والمستقلة على أي ترخيص رسمي للنشاط الحزبي ولم تتمكن من الحصول على أي ترخيص لإنشاء الأحزاب وإصدار الصحف. فقد تم خلال هذه الفترة (أي بعد انتخاب الرئيس خاتمي) منح التراخيص الخاصة بإنشاء الأحزاب والجمعيات السياسية والثقافية إلى القوى التابعة للسلطة فحسب (بما فيهم المحافظين والإصلاحيين)، غير أن الأحزاب والجمعيات الرسمية التابعة للسلطة في إيران لا تحظى بقاعدة شعبية عريضة لأن معظم أعضائها من النخب السياسية والاقتصادية، فعليه لا يمكن أن تلعب دورا حاسما في إرساء المجتمع المدني وتعزيزه.

كما انحسرت العلاقات العضوية والحميمية بين الأحزاب المستقلة (عن السلطة) وقواعدها الاجتماعية جراء الكبت والقمع المتواصلين لمدة حقبتين من الزمن، غير أنها، أي الأحزاب المستقلة، تملك وبالقوة، زخما قويا للنمو والتوسع إذا سادت ظروف حرة وآمنة للعمل السياسية في إيران.

وقد تعززت الساحة السياسية خلال العامين الأخيرين بفضل الصحافة والأحزاب إلى حد ما، غير أن هناك مسافة طويلة تفصلنا عن المجتمع المدني وإرساء الديمقراطية في البلاد، حيث أن استئثار شريحة البورجوازية التجارية السمسرية بالسلطة – وهي تتمسك بأيديولوجية ولاية الفقيه – هو العائق الأساسي أمام التطور إلى الديمقراطية في إيران.

كما أن هناك معوقات موضوعية وذاتية أمام الديمقراطية في البلاد، فإن الشرائح والطبقات الواسعة جدا من التجار والكسبة وأصحاب المحلات و "البازار" في المدن والقرى، وكذلك العلاقات الاقتصادية والاجتماعية البالية وسيطرة العلاقات الدينية والتقليدية تهيىء الخلفيات الملائمة للتيارات المعادية للديمقراطية لكي تستغلها لصالحها.

إن أعداء الديمقراطية المتواجدين في الأوساط المرتبطة بـ " البازار " ورجال الدين يعملون لإبعاد هذه القوى – الآنفة الذكر – عن الساحة العامة وعن مؤسسات المجتمع المدني ليحولوا دون نشر الفكر والثقافة الديمقراطية بينهم وذلك باستغلالهم لشبكة العلاقات التقليدية – الدينية والمساجد والحسينيات والهيئات

الدينية. أضف إلى ذلك المؤثرات الفكرية والثقافية للأنظمة الاستبدادية في إيـــران والمتجذرة منذ آلاف السنين وكذلك السلطة القبلية، حيث يحولان _ بصـــورة لا واعية _ دون تعزيز الثقافة والسلوك الديمقراطيين.

أن المبادىء النظرية للديمقراطية لم تجد مكانا في ثقافة المجتمـــع الإيـــراني و لم تتجذر في الثقافة الوطنية – الإسلامية في إيران، وأن المثقفين التحديثيين المعتقديـــن بالثقافة القومية القديمة (إشارة إلى ما قبل الإسلام) اتجهوا اتجاها غربـــيا وقلـــدوا الأنظمة الديمقراطية الغربية، حيث لم ينجحوا في تجذيرها بالمجتمع الإيراني وامتزاجها بثقافته وتاريخه.

كما وأن المسلمين التحديثيين وبرغم مساعيهم الحثيثـــة لامـــتزاج المبـــادىء الأساسية للديمقراطية مع الرؤية الوحدانية والثقافة الإسلامية العريقة، لا يزالـــون في منتصف الطرق و لم يصلوا إلى نظرية سياسية مستقلة. لكن ومع ذلك نجح هـــؤلاء وبشكل كبير خلال القرن الأخير من غرس الأفكار الخاصـــة بســـلطة الشـــعب ومؤسسة البرلمان والمجالس البلدية والانتخابات في التربة الإيرانية وإزالة الأفكـــار الخاصة بالأنظمة الاستبدادية الموروثة.

وأعتقد أن تجربة دولة الجمهورية الإسلامية القائمة على ولاية الفقيه فتحـــت الطريق للتطور نحو الديمقراطية وذلك بالرغم من بعض المعوقات خلال الأعـــوام العشرين المنصرمة وبالرغم من إرادة مؤسسي هذه الدولة ومسؤوليها.

الآن وقياسا لعهد ثورة الدستور، هناك آفاق أرحب وآمال أكبر لاســـتقرار الديمقراطية في إيران.

أظن أن القوى المساندة للديمقراطية تسعى حاليا بوعي أكبر وعمـــق أكـــثر لإعداد الخلفية الذاتية لهذه الديمقراطية، لكن هناك عائق أساسي أمـــام العمليـــة الديمقراطية وهو المشاكل القائمة في طريق التنمية الصناعية والاقتصادية في البلاد.

وتعتبر الأزمة الاقتصادية الراهنة مصـــدرا لمخـــاطر محتملـــة أمـــام الحريـــة والديمقراطية، أضف إلى ذلك غياب الجمعيات والنقابـــات المهنيـــة والأحـــزاب الجماهيرية الكبرى والقوية، الأمر الذي يحول دون مأسسة الديمقراطية والحريـــة في إيران.

ـــ يتهمكم البعض ويقول أن حزبكم – حركة المسلمين المناضلين – كان في المـــاضي، قريبا جدا من القوى اليسارية والراديكالية لكنكم حاليا تقفون جنبا إلى جنب مـــع القـــوى البورجوازية كحركة حرية إيران والجبهة الوطنية، فما هي الأسباب ؟

ـــ لا تزال حركة المسلمين المناضلين تؤمن بأهداف أيديولوجية يسارية – راديكالية، أي أنها تعتقد بالاشتراكية والديمقراطية وبضرورة القيام بتحولات أساسية في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، غير أن الشيء الذي أدى إلى تباين وضع الحركة اليوم مع ماضيها هو تحول الظروف الموضوعية في المجتمع الإيراني.

وتوصي الحركة في الظروف الراهنة بالنضال السلمي للوصول إلى الحرية وحكم الشعب وتجنب استخدام العنف. ثانيا أن الحركة ترى أن هناك معوقات صعبة أمام نجاح اليسار في إيران، وذلك بسبب انهيار المعسكر الاشتراكي وعولمة الرأسمالية والانحسار الذي أصاب حركات التحرر وتعتقد أن السير نحو بناء المجتمع الاشتراكي يتم بشكل تدريجي وبعد الانتقال من الفترات الوسيطة ونضوج الظروف الموضوعية والذاتية.

وللوصول إلى الأهداف الوطنية لم تكن المسايرة مع الليبرالية البورجوازية بأمر جديد علينا، حيث تحالفنا وفي جبهة واحدة مع جميع القوى الوطنية والحرة والبورجوازية والليبرالية ضد استبداد الشاه وسلطة الاستعمار في فترة نهوض الحركة الوطنية لتأميم النفط، وكذلك خلال الأعوام التي تلت سقوط مصدق في انقلاب عام ١٩٥٣.

ويقتضي النضال المشترك ضد الاستئثار بالسلطة من قبل التيار اليميني والكفاح من أجل الحرية وسلطة الشعب، يقتضي اليوم أيضا التحرك جنبا إلى جنب مع سائر القوى، حيث لا يمكن القضاء على الأزمات الاقتصادية والسياسية المستفحلة إلا بإنشاء جبهة وطنية متحدة.

ـــ عندما رشحت نفسك للانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٧ نصت إحدى مواد برنامجك الانتخابي على " العمل لجعل القوميات الإيرانية متساوية " فما هو هدفكم من طرح هذا الشعار ؟ وهل يشمل هذا التساوي العرب في الأهواز ؟

ـــ نحن نعتبر جميع الشعوب والأقليات القومية والدينية في إيران متساوين في الحقوق والمواطنة، ونعتقد بحقهم السوي للمشاركة في إدارة البلد والحكم على أنفسهم بأنفسهم ولا نفرق في ذلك بين عربي في خوزستان (الأهواز) أو بلوشي أو كردي أو تركي ونعارض أي نوع من التمييز والاستعلاء القومي والعقائدي، حيث نرى ذلك مناقضا لموازين الإسلام وحقوق الإنسان.

إن القوميات والأقليات الإيرانية وعلاوة على المشاركة في إدارة الشؤون الإيرانية الوطنية ستتولى إدارة شؤونها المحلية عن طريق مجالس المحافظات. ولحركة المسلمين المناضلين مؤيدون كثيرون بين العرب في الأهواز، غير أن الكبت الذي سيطر على البلاد لمدة عشرين عاما فصلنا عن أصدقائنا العرب في خوزستان (الأهواز) لكنني على ثقة بأننا

سنرتبط بهم في أسرع وقت ممكن إذا استتب الأمن واستقرت الحرية في إيران. إن نظرة حزبنا التحررية والمطالبة بالعدالة والمساواة تقع فوق النظرات القومية والدينية، فهي نظرة وحدانية – إنسانية أدت إلى توسيع قاعدة الحركة بين كافة القوميات والشرائح الاجتماعية المضطهدة والطامحة إلى الحرية والعدالة الحقيقية .

ـ كانت حركة المسلمين المناضلين من الأحزاب الأوائل – حتى قبل حزب تودة مازلتم الشيوعي والأحزاب اليسارية – التي ساندت حركة الطلاب في احتلال السفارة الأمريكية، هل تتمسكون بتلك المواقف أو تنظرون حاليا بشكل آخر إلى العلاقات الإيرانية – الأمريكية ؟

– لم يكن لنا أي دور في التخطيط النظري وفي عملية احتلال السفارة، و لم تكن لنا أية علاقة مع الطلبة النشطين المشاركين في العملية.

وقد تزامن هذا الحادث – أي احتلال السفارة الأمريكية – مع انفعال الجماهير الشعبية وإصابتهم بخيبة أمل جراء التراع بين الفصائل السياسية والصراع على السلطة بين الأجنحة، وكذلك السياسات الضعيفة للدولة والحكومة في إيران.

فقد أثار احتلال السفارة الهيجان بين الناس وحثهم لكي يركزوا على هدف مشترك بدل أن يولوا اهتمامهم للصراع الدائر بين الفصائل والتيارات السياسية.

وسرعان ما طلبنا من الطلبة المحتلين للسفارة أن يغتنموا الفرصة لتوحيد صفوف الثورة لتحقيق أهدافها وكذلك إنهاء قضية الرهائن بتسليم البعض من أعضاء السفارة الأمريكية للمؤسسات القانونية، إذا كانت هناك وثائق تثبت قيامهم بالتجسس. كان صعود الطلبة الشباب جدران السفارة والاجتماعات الجماهيرية المتواصلة لعدة أشهر خلف أبواب السفارة، كان كل هذا ينم عن الضغينة المتجذرة في قلوب الناس ضد الحكومة الأمريكية ولسنوات عديدة. على سبيل المثال يمكن أن أذكر لك ضلوع الولايات المتحدة في انقلاب عام ١٩٥٣ وإسقاط الزعيم الوطني المحبوب لدى الشعب الإيراني د. محمد مصدق. أضف إلى ذلك مساندة أمريكا للشاه الذي كان يمارس وبشكل متواصل، القمع والكبت ضد الشعب الإيراني، ولا ننسى الدعم الأمريكي اللا مشروط لإسرائيل التي تمتلك الأسلحة النووية، وكذلك قتل الفلسطينيين المسلمين وتشريدهم والتدخل في شؤون الدول الإسلامية وبناء القواعد العسكرية فيها لضرب وقمع الشعوب الأخرى، فكل هذه الأمور وعشرات القضايا الأخرى أدت إلى أن يفهم الشعب الإيراني أن منشأ العديد من مآسيه والبؤس الذي كان يعيشه، هي الولايات المتحدة الأمريكية وحضورها في إيران. لهذا وللحيلولة دون خطف الولايات المتحدة الأمريكية،

الثورة من أيدي الناس أو توجيه ضربة لها، تحرك الطلاب قبل أن تتحرك أمريكا، حيث أرادوا باحتلال السفارة أن يبعدوا الشر من جسم الثورة، فعليه جاءت مساندتنا لاحتلال السفارة متماشية مع الظروف الخاصة السائدة في تلك الفترة وأما حول العلاقات بين إيران والولايات المتحدة، فنحن لا نؤيد قطع العلاقات مع الدول إلا في ظروف خاصة جدا، وقد اضطر زعيم الحركة الوطنية لتأميم النفط د. مصدق، أن يقطع العلاقات مع بريطانيا في مطلع الخمسينات لأن سفارتها بطهران كانت تتدخل وبشكل مباشر في شؤون إيران الداخلية وتدعم الرجعيين المتمترسين في البلاط الملكي وهي بذلك كانت تحيك المؤامرات ضد الحركة الوطنية في إيران.

نحن نعارض وبشدة السياسات العدوانية الأمريكية ضد سيادة الشعب، وتدخلاتها الهوجاء في الشؤون الدولية، لكن هذا لا يكفي أن يكون سببا لقطع العلاقات معها، بل إن الأشياء التي ذكرتها هي من أسباب التشاؤم الإيراني تجاه الولايات المتحدة الأمريكية. تعود بعض المعوقات الراهنة في طريق إعادة العلاقات مع إيران إلى السياسات الأمريكية العدوانية المتواصلة ضد إيران والبعض الآخر إلى الخلافات والتناقض القائم بين التيارات وأجنحة السلطة.

ويقوم التيار اليميني (المحافظين) بعرقلة الخطوات التي يقوم بها الرئيس خاتمي لإزالة التوتر مع الدول وتحسين العلاقات مع أمريكا، حيث يستهدفون بذلك، إحباط سياساته وإضعاف موقعه في السلطة. ولا ننسى أيضا دور التيارات التابعة لبريطانيا حيث يعكس نوعا آخر من اصطفاف الأجنحة في السلطة الإيرانية.

إن بعض الأوساط المعارضة لإعادة العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية تخشى أن تحصل أمريكا على موطىء قدم في إيران لتقوم بإجراءات ضدها؛ كما ويضاف إلى ذلك، الخوف من الغزو الثقافي الأمريكي. وقد حال هذا الخوف الناجم عن انعدام التناسق الداخلي والضعف في الطاقات المادية والثقافية والسياسية للتيار المحافظ حال دون الحوار المباشر بين الحكومتين الإيرانية الأمريكية، لكننا يجب أن ننتبه أن شعبا منتجا مالكا للثقافة لا يخشى الغزو الثقافي شريطة أن تكون قواه المنتجة، نشطة ومسيطرة على شؤون حياتها.

ـ كيف ترى العلاقات بين إيران والعالم العربي في عهد الرئيس خاتمي وهل لك رأي خاص في هذا المجال ؟

- لقد قام الرئيس خاتمي ومنذ وصوله إلى السلطة بخطوات فعالة لإزالة التوتر بين إيران والدول الأخرى، وكان اجتماع القمة الإسلامية في طهران فرصة جيدة ومغتنمة للحكومة الإيرانية لتقوم بتحسين علاقاتها مع الدول العربية. ويبدو أن

تطورا ملحوظا قد حصل – منذ ذلك الحين وحتى اليوم – لتقريب النظرات بين إيران والعربية السعودية وتمتين العلاقات بينهما ، غير أن المساعي التي تبذل لحل الخلافات مع مصر وشيوخ الإمارات العربية المتحدة تواجه بعض الصعوبات كما ويشوب العلاقات الإيرانية – العراقية، الغموض والحذر بالرغم من التحسن النسبي الذي شهدته هذه العلاقات.

ويعتبر الخلاف بين التيارات المسيطرة على السلطة، الحاجز الأساسي لتطوير سياسات حكومة الرئيس خاتمي الخاصة بإزالة التوتر، حيث يسمح التيار اليميني لنفسه بالاتصال مع المسؤولين في وزارة الخارجية البريطانية، لكي تشارك إيران في مساعي الولايات المتحدة وبريطانيا لإسقاط النظام العراقي، وأن مثل هذه الأعمال ستحبط المساعي التي تبذلها الحكومة لتحسين العلاقات مع العراق.

وباعتقادي أن التعاون الإقليمي بين الشعوب التي تتمتع بحدود وعلاقات مشتركة، يعد ضرورة حيوية، وذلك نظرا لحضور الولايات المتحدة الأمريكية وسياساتها العدوانية في المنطقة ومنها سياسات الاحتواء المزدوج ضد إيران والعراق وتعزيز المتواصل لقوة إسرائيل – وهي الخطر الذي يهدد وجود دول المنطقة – وكذلك العولمة الرأسمالية والتهديدات التي تستهدف الاستقلال الاقتصادي والثقافي لشعوب العالم.

فعليه نحن نعتقد بوجود علاقات ودية بين إيران ودول المنطقة والجارة وكذاك التضامن بينهم للدفاع عن المصالح المشتركة تجاه الرأسمالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة وإسرائيل، أمر حيوي؛ حيث يغدو من المستحيل أمر التنمية الاقتصادية والحفاظ على استقلال الدول العربية ودول الشرق الأوسط والجنوب عامة، دون القيام بمثل هذا التعاون، ودون الاستفادة من المصالح المادية والقوى البشرية في هذه الدول. ولا ننسى أن إسرائيل ومن ثم الولايات المتحدة الأمريكية تعرقلان وبأشكال مختلفة، إقامة العلاقات الودية والقائمة على الثقة المتبادلة بين إيران وجيرانها العرب وهما ينثران بذور النفاق والريبة والعداء بين هذه الدول.

المحافظون يعملون على إيقاف مسيرة التغيير بالقوة

شقيق خاتمي ورئيس حزب (المشاركة) يتحدث ليوسف عزيزي عن برنامج الاصلاح والقوميات والمعارضة

يحتل الدكتور محمد رضا خاتمي (٤٠ سنة) موقعا في لوحة التجاذب السياسية الإيرانية، ليس فقط لكونه الشقيق الناشط لرئيس الجمهورية محمد خاتمي ولا لكونه رئيسا لجبهة المشاركة لإيران الإسلامية، بل لأنه، في المقام الأول، صاحب مواقف وآراء ومداخلات تصب في الدعوة لتفعيل برنامج الإصلاح وسد الثغرات في التحول السياسي والاجتماعي والاقتصادي لإيران. وفي التالي نص لقاء أجراه معه يوسف عزيزي أواخر آذار (مارس) ١٩٩٩، يتناول قضايا تتصل بالإصلاح والأكراد والأقليات والديمقراطية والمعارضة في الخارج.

ـ لماذا أنشأتم جبهة المشاركة ؟

-كان هدفنا من إنشاء الجبهة هو بلورة وصياغة المطالب الشعبية وتعبئة الطاقات التي برزت بعد انتخابات الرئاسة في إيران عام ١٩٩٧. آنذاك لم نجد بدا من العمل المنظم نحو تنفيذ برنامج الرئيس خاتمي الذي طرح خلال الانتخابات وصوت الشعب إلى جانبه.

ـ هل استعنتم في إنشاء الجبهة من تجارب سابقة في الحياة السياسية الإيرانية ؟

-كما تعرفون لم يكن لدى بلادنا تاريخ جلي وطويل للأحزاب والمنظمات السياسية، لأن معظم هذه الأحزاب والمنظمات وبسبب سيادة الأجواء الاستبدادية في إيران كانت مضطرة للعمل السري و لم تتمكن من التوسع والنفوذ بين الجماهير الشعبية. كما أن الناس لم تتقبل العديد من الأحزاب والفصائل السياسية وذلك لسبب تبعيتها للخارج. فعليه لم تستقم ظاهرة التحزب في الثقافة السياسية للشعب الإيراني كما يجب

وكما نراه في البلدان الأخرى. إننا لم ننشيء هذا الحزب على أسس مستنسخة من الآخرين، غير أننا نتوي الإفادة من التجارب الحزبية الموجودة في الداخل والخارج، فقد درسنا تجارب معظم المنظمات والفصائل السياسية التي كانت نشطة قبل وبعد الثورة في إيران، كما درسنا تجارب الأحزاب الناجحة في الخارج – في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية – حيث لا نزال نواصل مثل هذه الدراسات.

ـ ما هي معايير نجاح الأحزاب عندكم ؟

ـ ثمة خبرات تنظيمية وحزبية قائمة في تركيا وخاصة بين الفصائل والأحزاب الإسلامية، كما هناك سجل وتاريخ جيد للتحزب في باكستان وهي تجربة ناجحة نسبيا. ضف على ذلك التجارب الحزبية القائمة في الدول غير الإسلامية، خاصة أنهم يديرون بلادهم على أساس التصويت والاقتراع العام حيث تلعب الأحزاب دورا هاما هناك. إذا منحن نسعى أن نستفيد من تجارب هؤلاء، خاصة في تنظيم الشرائح المختلفة للشعب ولا سيما الشباب الذين يشكلون معظم سكان البلاد حاليا.

ـ منذ متى بدأتم بالدراسة لإنشاء هذا الحزب ؟

ـ منذ سنتين بدأنا بدراسة مستلزمات العمل التنظيمي. غير أننا ومنذ عشرين عاما أي عندما بدأنا العمل السياسي في الجامعة، أخذنا ندرس التجارب والنظريات الديمقراطية والحكومات البرلمانية في الدول المختلفة. وقد درسنا خلال العامين المنصرمين، النظم الداخلية للأحزاب المختلفة في إيران وخارج إيران لقد بدأنا عملنا، في الحقيقة قبل الانتخابات الرئاسية في أيار (مايو) ١٩٩٧ غير أن فصيلنا تجمع حول السيد خاتمي. وبما أننا لم نستطع في البدء أن نتكهن بنتائج الانتخابات، كنا نخطط وفي حال عدم نجاح خاتمي في الانتخابات أن نعمل بشكل حزب منسجم ومنظم في كافة أنحاء إيران.

ـ ماذا عن العوائق التي تواجه برنامج الرئيس خاتمي الخاص بالتنمية السياسية ؟

ـ برأيي أن أهم عائق للتنمية السياسية في إيران هو الثقافة الاستبدادية، حيث وبتأثيرها يطالب الناس دائما بفرد أو فصيل يقرر نيابة عنها ليحدد مصيرها. ولهذا السبب يشعر بعض الذين يجلسون في أعلى قمة الحكم في إيران بأنهم أوصياء على الجماهير وأن ما يريدونه، هو ما يريده الشعب. ويسمح هؤلاء لأنفسهم بأن يفرضوا أفكارهم وآراءهم الشخصية وبأي ثمن على المجتمع. وقد ينطلق العديد من هؤلاء من حوافز محبة وليست أنانية وثأرية. هذا هو العائق الرئيسي للتنمية السياسية في إيران حيث تحتاج ثقافة التنمية السياسية إلى عمل طويل الأمد.

ـ أين تكمن هذه الميزة بين التيارات السياسية. نعني نزعة التخلف والاستبداد والدكتاتورية ؟

ـ هذه النزعة موجودة بين التيارين الرئيسيين غير أنها تجسدت في التيار المحافظ أكثر فأكثر خلال السنوات الماضية ومع ذلك لم تختف من الفصائل المعارضة بشكل كامل ونأمل أن تتراجع هذه الظاهرة يوما بعد يوم بالتجربة والاختبار. وقد بدأنا بتجريب الديمقراطية منذ ٢٠ عاما حيث لم نختبرها قبل ذلك. كما علينا أن نتقبل أخطاءنا ونسعى لتصحيحها.

ـ يتهم البعض حزبكم بأنه حزب حكومي لضمه عددا من الوزراء ومستشارين لرئيس الجمهورية ويقولون بأنه سينهار بتغيير الحكومة ؟

ـ نحن لا نقبل بهذا التحليل وأن المستقبل سيؤكد بأننا حكوميون أو غير حكوميين. لا شك أن هناك أعضاء في الجبهة يحتلون مناصب هامة نسبيا في الحكومة غير أنه ينبغي أن ننتبه أن التطورات السياسية خلال العامين الماضيين هي التي أدت إلى وصول هؤلاء للحكومة. حيث إن لم تحدث هذه التطورات وإن لم يصبح هؤلاء أعضاء في الحكومة لقمنا أيضا بإنشاء هذه الجبهة مع هؤلاء الأشخاص و لم يطرأ أي تغيير في الأمر. لهذا فإن معيارنا الرئيسي هو طاقة الأشخاص والزمالة والانسجام الفكري الموجودة حاليا بيننا. فإننا أنشأنا هذا الحزب لمتابعة وتحقيق طموحاتنا السياسية والفكرية، إن كنا في الحكومة أو إن لم نكن.

ـ في الانتخابات البلدية. لماذا لم تنالوا الأغلبية إلا في طهران ومدينة أو مدينتين أخريين، حيث لوحظ صعود المستقلين في معظم المحافظات التي تقطنها قوميات غير فارسية وغير شيعية ؟

ـ ليس الأمر بهذه الصورة التي ذكرتها. فقد دخل ٥٠ في المائة من مرشحينا المجالس البلدية في حوالي ١٢٣ مدينة، كما دخلنا مجلس بلدية طهران بنسبة مائة في المائة. فعليه وعلى الرغم من عدم تعرف الناس على جبهتنا حديثة العهد، حققنا انتصارا كبيرا في الانتخابات.

ـ ما هو رأي جبهتكم بشأن الأحداث التي وقعت في مدينة سنندج إقليم كردستان في أواخر شباط (فبراير) ١٩٩٩؟ وهل تعتقد جبهة المشاركة لإيران الإسلامية أساسا بحقوق القوميات الإيرانية غير الفارسية كالأكراد والعرب والأتراك وغيرهم ؟

ـ نحن نعتقد بحقوق متساوية لكل المواطنين الإيرانيين الذين يعيشون في إطار الحدود الإيرانية وفي داخل البلاد. حيث يحقق للأكراد وأتباع المذاهب غير الشيعية الأخرى أن

يقرروا مصيرهم بأنفسهم كما يقرر المواطنون الفرس. يحق لهم ذلك في إطـــار المبـادىء العامة التي لا تنتهك مصالح البلاد وأمنها القومي. ويبدو أن المجالس البلدية وبصلاحياتهـــا القائمة تستطيع أن تلبي حاجيات الناس وتحقق آمالها في مناطق إيران المختلفة.

ـــ تستندون في إنشاء الحزب إلى تجارب أحزاب باكستانية، ولكن الكـــل يعـــرف أن باكستان دولة فيدرالية تراعى فيها حقوق القوميات، كما نعلم أن للمهندس حجاريان وهـــو أحد زعماء جبهتكم، آراء علمية جيدة حول الشعوب الإيرانية يدعو إلى نوع من الفدراليـــة غير أننا لا نرى شيئا من هذه الدعوة في برنامجكم الحزبي ؟

ـــ إننا لم نعلن عن برنامجنا التفصيلي في هذا المجال حتى الآن وقد أعلنا عن مبـــادىء عامة وقد أنشأنا لجنة تحضيرية تحضر وتخطط للانتخابات البرلمانية المقبلة حيث سنعرض من خلالها آراءنا التكميلية والتفصيلية. لكن هناك مبدأ عاما وهو أننا نعيش في منطقة تحـــاول فيها القوى العظمى وأعداء إيران انتهاك الوحدة الترابية للبلاد وذلك عن طريـــق إثـــارة الخلافات القومية والعرقية والطائفية لانتشار الفرقة في البلاد.

وباعتقادنا، إذا أردنا أن نهتم بالقوميات حاليا كما يهتمون في سائر البلدان ســـيكون مصيرنا كمصير باكستان، حيث تشهد الآن سلسلة من الاغتيالات الرهيبة تنشـــأ عـــن القضايا القومية والعرقية والذي تأخذ أحيانا منحى استقلاليا وانفصاليا. فعليـــه أن المـــهم عندنا مبدأ وحدة الأراضي الإيرانية وتمتع كافة المواطنين الإيرانيين بحقوق متساوية. فـــهذا مبدأ أساسي عندنا. وهناك أساليب مختلفة يمكن تجربتها في هذا الإطـــار لكـــي تتمكـــن الأقليات القومية أو الدينية من تقرير مصيرها. وسنتحدث أكثر إن شـــاء الله في برامجنـــا التفصيلية الآتية حول هذه الأمور.

ـــ كل مواطن إيراني يعترف بهذا المبدأ العام. ولا شك أن القوميات غير الفارســـية لا تطالب بتفتيت إيران. لا الأكراد ولا العرب ولا الأتراك والبلوش، حيث اثبتـــوا ذلـــك في المنعطفات التاريخية. لكن إذا لم يتم تطبيق المادة ١٥ من الدستور الإيراني والتي تنص علـــى بعض حقوق هذه القوميات فتتكرر مرة أخرى قضية القمع وتنسى هذه المادة الدســـتورية، وهذا يتنافى نوعا ما مع حديثك السابق ؟

ـــ إننا خاضعون لنص الدستور الإيراني. إذ نعتقد أنه يمكن إعادة النظر في الدســـتور الراهن لإدخال حقوق أوسع للأقليات القومية ولا أعتقد أن تكون هناك أية مشـــكلة في هذا المجال. ونحن نلتزم بتطبيق الحقوق الثابتة لكل مواطن إيراني ومنهم الأقليـــات الذيـــن يقطنون هذا البلد. نحن نقول أنه لا ينبغي أن تكون هناك أية قيود في تعلم اللغات القوميـــة غير الفارسية أو دراسة وتعليم تاريخهم ومذهبهم والعمل على انتشارها.

ـــ فهل يعني هذا أنكم ستهتمون أكثر بالمادة ١٥ من الدستور الإيراني ؟

ـــ نحن نحترم جميع مواد الدستور الإيراني ولها قيمة واحدة كلها في نظرنا.

ـــ وأنا أؤكد على المادة ١٥ لأنها لم تطبق لحد الآن ؟

ـــ طبعا ينبغي أن نهتم بشكل خاص بالمواد المعطلة من الدستور. وبرأيي أن حكومة الرئيس خاتمي وبإجراء انتخابات المجالس البلدية قامت بخطوة كبيرة في هذا المسار. إنشاء المجالس المحلية سيمهد لتطبيق المادة ١٥ من الدستور الإيراني، ونحن أيضا ندافع عن تطبيق هذه المادة ونعتقد أنه يمكن افتعال هذه المادة وإخراجها من التوقف والتعطيل وذلك في إطار المجالس البلدية.

ـــ هناك ملاحظة على حديثك حول القوميات. فالشعوب الإيرانية (غير الفارسية) لا تعتبر نفسها أقليات. وقد ادعى مؤخرا الكتاب والشعراء الأتراك من محافظة أذربيجان الإيرانية في رسالة بعثوها إلى الرئيس خاتمي، ادعوا أن الأتراك يؤلفون أكثر من نصف السكان في إيران بالإضافة إلى العرب والأكراد والبلوش. فعليه ينبغي تصحيح هذا المصطلح (مصطلح الأقليات) ومن الأفضل أن نقول القوميات أو الشعوب الإيرانية وليس الأقليات القومية الإيرانية.

ـــ نحن وبشكل عام لا نحب مصطلحي الأقلية والأغلبية. وقد أكدنا لرفاقنا أن يصفوا الأقليات الدينية غير المسلمة بالإيرانيين ولا يصفوهم بالأقليات. كما حاولنا أن نقدم مرشحين من الأقليات القومية غير المسلمة في البلاد لانتخابات المجالس البلدية. نحن ننظر للجميع بسواسية.

وقصدي ألا نستخدم هذا المصطلح، لأن الواقع يعارض ذلك.

انظر إلى الأكراد، فهؤلاء يعتقدون وبحق أنهم أكثر إيرانية من الفرس لأن جذورهم آرية ولهم تاريخ أطول من الفرس في هذه الأرض.

ـــ تحدثت شائعات عن احتمال وقوع محاولة انقلابية كان المفروض أن يقوم بها اليمين المتطرف أثناء وجود الرئيس خاتمي في إيطاليا وذلك لإغلاق الصحف المؤيدة للرئيس خاتمي وتعطيل الأحزاب وقمع الإصلاحيين، ما هو تقييمكم لهذه الأمور ؟

ـــ هذه كانت شائعات لا أكثر. فجميع الذين يعرفون الأوضاع السياسية في إيران يعلمون أن مثل هذه الأعمال والمخططات كإغلاق الصحف أو الاعتداء على الاجتماعات والتظاهرات لا يمكن أن تعيق عملية التنمية السياسية ومسار الخاتمية في إيران وإيقافها لا سمح الله.

ـــ هل تعتقدون بإمكانية القضاء على العملية الديمقراطية في إيران ؟

ـــ كلا. وبرأيي، حتى وإن استطاع المتشددون القيام بانقلاب ضد الحكومة وإسقاطها لا يمكن أن تعود المسيرة الديمقراطية المنطلقة في البلاد إلى الوراء. على كل حال فإن انتخابات مايو ٩٧ الرئاسية، أماطت اللثام عن الشرائح التحتية في المجتمع لتبرز نفسها ولتطرح آراءها ومعتقداتها. إن العملية الإصلاحية قد انطلقت ولا عودة إلى الوراء أبدا وسيكون لها ثمار ونتائج جيدة إن شاء الله.

ـــ هل معنى ذلك أنكم تستبعدون وقوع انقلاب عسكري في إيران ؟

-كل شيء ممكن في عالم السياسة. لا يمكن أن نقول مائة في المائة أن شيئا يحدث أو لن يحدث. لكنني أستبعد جدا وقوع انقلاب عسكري لأنهم يعلمون جيدا أن هذه هي ورقتهم الأخيرة وأن فشلها وانهيارها قطعي ومحتوم، فلهذا لا يجازفون بهذا الامر لينتهوا نهائيا.

ـــ ما هي القوى والأحزاب السياسية التي تقع في إطار موزاييك الديمقراطية في إيران وهل هناك قيود لبعض الأحزاب والفصائل السياسية ؟

ـــ نحن نستند في هذا الأمر إلى الدستور الإيراني حيث يوجد لدينا نص واضح برأينك يسمح حتى للأشخاص الذين يحملون أفكار! ملحدة العمل بحرية في البلاد. هكذا نحن نفهم الدستور. فلهؤلاء الحرية ليطرحوا أفكارهم وأن يعملوا على أساس هذه الأفكلو وأن يدعوا الناس إلى أفكارهم. فعليه نحن لا نعتقد بأية قيود على الأحزاب والفصائل السياسية في إيران. لا شك أن هناك بعض القضايا يمكن للحكومة أن تستغلها مثل التبعية للخارج. فكانت بعض الأحزاب ترتبط بالأجانب قبل الثورة مثل تبعية الأحزاب الشيوعية وحزب " تودة " الشيوعي بالاتحاد السوفيتي حيث كان جليا وواضحا وهذا ما يرفضه شعبنا. وباعتقادي لا حاجة هناك للأحزاب لكي تحصل على رخصة للعمل في السياسة من وزارة الداخلية، فبإمكان أي شخص أن يعلن عن وجود حزبه شريطة أن لا يتعارض نظامه الداخلي مع قوانين البلاد.

ـــ يبدو من كلامك أن كافة الأحزاب السياسية – من شيوعية وغير شيوعية وديمقراطية – حرة في نشاطها السياسي داخل البلاد. وقد سمعنا أن بعض القوى المعارضة في الخارج مثل منظمة فدائيي الشعب والحزب الديمقراطي الكردستاني بعثا برسائل للرئيس خاتمي طلبا فيها القيام بالعمل السياسي في إطار القانون والدستور، هل تسمح – برأيك – الحكومة الإيرانية لهذه الفصائل السياسية لكي تنشط في الداخل ؟

ـــ باعتقادي أن بعض الأحزاب والفصائل السياسية لا تتمتع بأي قاعد شعبية في الداخل. كما أن لهذه الأحزاب سجلا في اشهار السلاح في وجه الشعب والإعلان عن

إسقاط نظام الجمهورية الإسلامية في إيران. وقد شاهدنا ما قاموا بــــه مــن اغتيــالات وتفجيرات واسعة في الداخل حيث أعلنوا جليا عن قصدهم لإسقاط النظام في إيران. فعليه ووفقا للدستور والقوانين، فهؤلاء مجرمون. ويبدو من الأفضل لهؤلاء وقبل أن يعلنوا عــن نيتهم لإنشاء الأحزاب والنشاط في الداخل عليهم أن يقدموا أنفسهم للمحــاكم العادلــة لتقوم بمحاكمتهم للتهم والجرائم الموجهة إليهم في الماضي. فإذا برأتهم المحكمة يمكن لهم أن يطالبوا بإنشاء أحزابهم في الداخل.

ـــ يبدو أنك تخلط بين منظمة مجاهدي خلق المسلحة والداعية إلى إســقاط النظــام في إيران وسائر المنظمات والأحزاب السياسية المعارضة في الخارج والـــتي تطــالب بــالعمل السياسي القانوني والسلمي في إيران ؟

ـــ المنظمات التي ذكرتها، أعلنت بصراحة وفي الماضي عن برامج لإسقاط النظــام في إيران.

ـــ لكن في الوقت الراهن. تساند معظم هذه الأحزاب والفصائل اليسارية والقوميــة والديمقراطية ـــ ما عدا منظمة مجاهدي خلق – المسار السلمي للديمقراطية في إيــران بــل ويدعمون نهج الرئيس خاتمي ؟

– على الذين ارتكبوا خطايا في الماضي أن يتجهوا إلى المحاكم ليدافعوا عن أنفســهم كمدخل للمطالبة بالعمل السياسي في الداخل. فالعديد من الذين ذكرتهم ينوون إســقاط النظام في إيران و لم يثبت حتى الآن خلاف ذلك. وباعتقادي أن السادة الذيــن يعيشــون الآن في الخارج ويصدرون البيانات باسم المعارضة، هم مخادعون، أكثر مــن أن يكونــوا سياسيين.

ـــ يبدو أنك مصر وبالرغم من إعلان هؤلاء الكف عن الخيار المسلح ضــد النظــام الإيراني، والاعتراف بحكومة الرئيس خاتمي، على أن تصنف هــؤلاء في الجبهــة المعارضــة المسلحة للحكومة والنظام في إيران ؟ ألا تتصور أنها تتعارض وسياسات الرئيــس خــاتمي القائمة على كسب المعارضين في إيران ؟

ـــ لا، نحن لا نريد أن نصنف هؤلاء ضد النظام في إيران. فقد ارتكب زعماء هــذه الأحزاب والمنظمات جرائم مختلفة في الماضي. لكن يستطيع الشباب الذيــن يقيمــون في الخارج والمؤيدون لهذه المنظمات أن يعودوا إلى الوطن إذا لم يرتكبوا جرمــا في المــاضي حيث عاد فعلا الكثير منهم.

يوسف عزيزي من مواليد ١٩٥١ في مدينة الخفاجية (سوسنجرد) التابعة لمحافظة خوزستان (الاهواز) الايرانية.

ـ عمل في الصحافة الايرانية والعربية وكتب بالعربية والفارسية حيث تولى مسؤولية قسم العالم العربي في صحيفة "همشهري" الايرانية، وهي أكبر صحيفة فارسية توزيعا في ايران وخارجها. ومندوب لصحيفة الزمان ومجلة الزمان الجديد في ايران، وهي صحيفة دولية عربية تصدر في لندن. كما يحرر في الصحف الخليجية باعتباره خبيرا في الشؤون الايرانية.

وعلاوة على مهنته الصحفية، فهو يعمل في مجالات ثقافية أخرى كالبحث والكتابة حول العرب في الاهواز ، وترجمة الادب العربي الحديث الى الفارسية، بالاضافة الى كتابة القصة القصيرة.

وقد صدر له مجموعة من الابحاث والكتب على النحو التالي:

١ ـ دراسة حول عرب الاهواز

٢ ـ قبائل وعشاير خوزستان (عربستان)

٣ ـ نسيم كارون ، وهو كتاب حول الثقافة والادب العربي في الاهواز.

٤ ـ أساطير الشعب العربي في الاهواز.

كما قام بترجمة الكثير من الشعر العربي الحديث لمحمود درويش والفيتوري ، بالاضافة الى بعض الكتب حول القضية الفلسطينية، وروايات عربية لحنا مينه، ونجيب محفوظ وغيرهما.

هذا الكتاب يحتوي على مجموعة من المقالات التي كتبها عزيزي ونشرها في صحف عربية، ترصد الحدث الايراني وتربطه بشقيقه العربي، تأكيدا على ترابط المسارات في المنطقة، فمصير هذه الشعوب واحد، لمواجهة الخطر المشترك.

الناشر